صورة اليهود

في القرآن والسنة والأناجيل

إبراهيم أبو عواد





اليازوري

www.yazori.com

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة اليهود

في القرآن والسنة والأناجيل

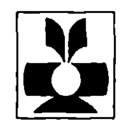
صـــورة اليهـــود

في القرآن والسنة والأناجيل

إبـراهيم أبـو عواد

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : ٢٠٠٦/٦/١٥٣٣
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٢٠٠٦/٦/١٦٢٩

الطبعة العربية - 2008



اليازوري

دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

عمـان / الأردن - شـارع الملك حسـين - تلفاكـس: ٤٦١٤١٨٥

ص.ب ٥٢٠٦٤٦ الرمـز البريـدي ١١١٥٢

www.yazori.com

صورة اليهود

في القرآن والسنة والأناجيل

إبراهيم أبو عواد



اليازوري



الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وإخوته الأنبياء الكرام وآل كُلٍّ وصحب كُلٍّ .

بدايةً كان موضوع هذا الكتاب بعيداً عن ذهني ، لأنني كنتُ غير مطلعٍ على الدراسات النصرانية التي تتناول اليهودَ . صحيحٌ أن لدي معلومات غزيرة عنهم مُستقاة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة ، ولكن جهلي بالنصوص الإنجيليةِ في السابق حال دون الخوضِ في هكذا بحث . فقد طمحتُ إلى تقديم دراسة مستندة إلى الإسلام والنصرانية. وفي أحد الأيام زرتُ صديقاً قديماً في بيته ، فأطلعني على مكتبته ، حيث وجدتُ الإنجيل ضمن الكتب الموجودة . أمسكتُ به وبدأت أقرأ . لاحظ صديقي ذلك فأخبرني بإمكانية أن آخذه ، وتم ذلك.

صار عندي إحساس بإمكانية أن أصبح ذا اطلاعٍ على الآخر ، اطلاع ينقلني من وضعية الجاهل إلى الحاصل على نصيب من العلم . يومها اتضحت لي معالم الطريق الظاهرية ولم يبق لتحقيق مسعاي إلا أن أكتشف بنفسي ذلك الطريق . أريدُ القراءة بعيوني لا أن يقرأ الآخرون نيابةً عني ، أريد الاطلاع على النصوص بنفسي لا أخذها من مصادر غير أصلية .

ثم عكفتُ على القراءة والدراسة والتحليل ومقابلة النصوص _ الإسلامية والنصرانية_ بعضها ببعض. ولاحظتُ التقارب الواضح الذي يصل أحياناً إلى التطابق لولا الفارق البسيط. والحق يُقال أنهما ينهلان من مصدر واحد، ولولا الأيادي العابثة بالإنجيل لما ظهر تناقضٌ بالمرة بين القرآن الكريم والإنجيل ، فالكتب السماوية مصدرها الله تعالى، وهو منزه عن التناقض والخطأ . فالقرآن العظيم الكتابُ السماوي الوحيد المحفوظُ من التغيير والتحريف. قال اللهُ عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ ﴾ [الحِجْر: ٩]. وهذا الفضلُ الإلهي مختص بالقرآن حصرياً دون باقي الكتب السماوية .

استندتُ في بحثي على النصوص المقدسة لدى المسلمين والنصارى(*) لأن كل جانب خاضعٌ لنصوصه. فذهبتُ إلى النص الملزِم لمعتنقه مع الاطلاع على دراسات أخرى كثيرة لمؤلفين من الشرق والغرب استفدنا منها .

وإنني أريد من عملي إبراز الصورة والشكل الحقيقي لليهود الملعونين على الدوام. ذلك لنعرف حجم الانهيار والانتكاسة التي أصابت عقول الكافرين جراء التحريف، وحجم الكفر والضياع الذي يعيشه أهل الكتاب _ عامة واليهود خاصة_ ويحسبون أنهم يُحسنون عملاً .

هذه رسالتي إلى كل منصف ، أما الذين أعطوا عقولهم إجازةً مفتوحة ، وحقنوا أعمارهم بالخرافات حتى تكلست في أرواحهم وقلوبهم وأجسادهم . فسيعبرون كالعادة معرضين ساخرين ينظرون ولكنهم لا يبصرون . أولئك كالأنعام بل هم أضل.

حاولتُ تكوين تشكيل يسبرُ غور الشخصية اليهودية _ الصهيونيةِ ، بواسطة تحليل النفسية البنائية مروراً بالطباع والسجايا المستندة إلى عقيدة وتفكير داخلي. وقد

(*) النصوص المقدسة لدى المسلمين هي نصوص الكتاب والسنة الصحيحة . والنصوص المقدسة لدى النصارى هي " العهد القديم" والمقصود به التوراة ، و" العهد الجديد" والمقصود به الإنجيل . والتوراة والإنجيل اللذان أنزلهما الله تعالى على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مقدسان ولا نكون مسلمين إلا بالإيمان بهما ، ولكن الموجود حالياً بين أيدي اليهود والنصارى فاقدُ القدسية ولا نعترف به كمسلمين. وأنبه القارئ إلى أن اليهود وغيرهم بدلوا التوراة "العهد القديم" بحيث تُلَمِّعُ سيرهم وصورهم وتتماشى مع أهوائهم . ورغم التحريف في الإنجيل إلا أنه يعطينا صورة عن اليهود متوافقة مع الحقيقة في أحيانٍ كثيرة.مع الانتباه إلى أن اليهود يؤمنون بالعهد القديم وحده ويكفرون بالعهد الجديد (الأناجيل) ، أما النصارى فيعتبرون العهد القديم شطراً من الكتاب المقدس ، ويؤمنون بالعهدين معاً .

عَزَّزْتُ رؤيتي بالتوثيق، حيث رددت النصوص إلى مصادرها . ولما كان السلوك الظاهري يُنبئ عن الباطن في الغالب _ فالنادرُ لا حكمَ له _ أستطيع القول أننا وصلنا إلى دراسة منطقية للذات اليهودية ممثلةً بأهم أطوارها تاريخياً ، وصولاً إلى واقعنا الذي نعيشُ .

إنه التاريخُ مرةً أخرى ، يأخذ بأيدينا إلى اكتشافِ عوالم الذات الإنسانيةِ . نحن البشرَ حَوَّلْنا الأرضَ إلى مدفن كبير يزداد شراسةً . وإذا كان الأنبياءُ بُناةَ الحضارة الإنسانيةِ المستقيمةِ قد أسسوا لنا منهاجاً ربانياً معصوماً ، فإن السواد الأعظم شرعوا يهدمون الحضارة ويُنازعون خالقهم تعالى في حكمه . أنا واثقٌ أن ما بناه ربنا جَلَّ جَلَالُهُ ما له من هادمٍ . إنه الإنسانُ بغروره سقى نفسه كأس الهلاك فهوى إلى مرتبةٍ سحيقةٍ من التخبط واختفاء الهدف والوعي وغياب مفهوم المصير .

واللهَ أسألُ أن يعصمنا من كل ما يضرنا ، وأن يجعل عملَنا خالصاً لوجهه العظيم . لعلنا نشهدُ رجوع الإنسانية عن غيها وضلالها وافتتانها بالرُّكامِ المنثور . ربما نشهدُ يوماً نرقى بأرواحنا عن سفاسف الأمور ، وأن نُحَكِّمَ منطق العقل والحوار مع المؤهلين والمستعدين للحوار ، ولا حوار مع من يوجهون بنادقهم إلى صدورِنا في هذا العالم الذائب في البورصات والبنوك الربوية وصالات القمار وممالك الموت والأوبئة . يحتاجُ سادةُ العالم الجدد السائرون على خطى فرعون إلى الاقتناع بأن الدبابة لن تقتل الفكرة، والاغتيال لا ينهي القضية ، والباطل غير قادر على مواجهة الحق .

إبراهيم أبو عواد

عَمَّان في ٨ جمادى الأولى ١٤٢٦ هجرية

الأربعاء ، ١٥ حزيران ٢٠٠٥ ميلادية

تمهيد

الفرقُ هائلٌ بين مصادر التشريع في الأديان المختلفة . وما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع أن مصدريها القرآن والسنة الصحيحة نُقلا إلينا بواسطة السند. فالقرآن الكريم(*) : ((كلام الله تعالى ، المنزل على سيدنا محمدﷺ بوساطة جبريل عليه السلام بلفظه المتعبد بتلاوته، المعجز (١)المنقول بالتواتر (٢) المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس)) (٣) . وهذا الخصائص العظيمة التي لم تجتمع لغيره تجعله فوق مستوى النقد والطعن والتشكيك . أما السُّنة النبوية الشريفة (٤) فيمكن تعريفها في الاصطلاح الشرعي بأنها ((ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة)) (٥) . ومن الجدير بالذكر أن الله تعالى هيأ علماء أجلاء في دراسة السُّنة والحديث(٦) ، وبينوا ما هو صحيح وما هو غير ذلك .

(*) لفظ القرآن في اللغة العربية مصدر قرأ. قال الله _ عز وجل _ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٨].

(١) هو الذي لا يمكن أن يُؤتى بمثله أو بسورة واحدة منه . وفي اللغة (أعجز) الشيء فلاناً أي فاته ولم يدركه [انظر المعجم الوجيز ص ٤٠٧] ، وقد تعددت مستويات التحدي . وأقل ما وقع فيه التحدي هو سورة ، ولم يقع التحدي بآية .[انظر عقيدة المسلم وما يتصل بها ، عبد الحميد السائح ، ص ٢٥٨] .

(٢) التواتر (لغةً) : التتابع . يُقال تواترت الأخبار أي تتابعت . والمتواتر: ما رواه جمع لا يُخشى تواطؤهم على الكذب .

(٣) قراءة القرآن ، محمد نبهان ، ص ٨ .

(٤) السُّنة (لغةً) : الطريقة المعتادة .

(٥) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، د. إبراهيم الكيلاني وزميلاه ، ص ٨٧ .

(٦) الحديث أعم من السُّنة . فكل سُنَّة حديثٌ وليس كل حديث سنة [المرجع السابق ص ٩١].

أما في الأديان الأخرى فمصادر التشريع مشوشةٌ لأنها تستندُ على نصوص لا سند لها ، يُخَيِّمُ عليها الكثير من الغموضِ والشكوك . فعندما نأتي إلى ما يُدعى بالكتاب المقدس نجده مكوناً من أربعة أناجيل : مَتَّى ، مرقس، لوقا ، يوحنا . بالإضافة إلى رسائل عديدة بالإضافة إلى أعمال الرسل و سِفْرِ الرؤيا . وهذا يدلنا على كثرة الأيادي التي عبثت بالإنجيل[1] الأصلي الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله عيسى المسيح ﷺ. فالإنجيل واحدٌ ولكنه الآن أناجيل متعددة متناقضة أيما تناقض، وقد اكتشفتُ من خلال بحثي ودراساتي وجود تناقضات مُذهلة ، حيث ألحقتها بهذا الكتاب لتعم الفائدة حسب رؤيتي وتقديري . ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤] .

والجدير بالذكر أن أكابر علماء أوروبا فشلوا في معرفة متى كُتبت الأناجيل أو بأي لغةٍ أُلفت. وهي مقطوعة السند بالاتفاقِ . واتهم بعضهم بولس بوضع أكثرها ، كما ترى في دائرة المعارف الفرنسية وغيرها . ويقول إيفارلستر : ((إن الأناجيل كُتبت باللغة الإغريقية في القرنين الرابع والخامس))[2]. وانبرى كثيرٌ من العلماء الذي شككوا في تاريخ كتابة الأناجيل، وهم في ذلك محقون . فالأناجيل تاريخُ كتابتها غامضٌ حتى على أولئك الكرادلة المتبحرين في دراسة الأسفار الدينية والكتب القديمة.

---

(١) لفظة " إنجيل " باليونانية مركبة من كلمتين " إيف " ومعناها حسن أو خير ، و " إنجليون " ومعناها الإخبار . ويكون تعريب اللفظتين معاً " الإخبار بالخير " أو " الخبر الحسن " . أما السبب في إطلاق هذا الاسم عليه _ حسب زعم النصارى _ فهذا النص المسلسل بالعلل : ((لأنه هكذا أحب اللهُ العالَمَ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية)) [يوحنا ٣ : ١٦] . نُلاحظ مما سبق أخطر الخرافات في الإنجيل وهي وجود ابن لله تعالى .

(٢) العودة إلى النصرانية ، د. يوسف شويحات ، ص ٥ .

وتوالت الردود من داخل العالم النصراني[1] وخارجه لتبين الأخطاء الفادحة في الأناجيل، والنصوص العديدة التي تُصادم بعضها بعضاً. كما أن الكثيرين من اللاهوتيين والمفكرين قد رفضوا النصرانية ، واعتنقوا الإسلام بعدما تبين لهم الحق الدامغ[2] .

وما دفعني للتنقيب عن صورة اليهود بالذات هو التقارب الغريب بين النصارى واليهود وعلى أعلى المستويات، رغم كل المتناقضات الصَّارخة بين الجانبين والاختلاف العظيم في العقائد عند الفريقين ، والاتهامات المتبادلة سابقاً ، وعدم وجود أي خلفية مشتركة قد تدفع إلى التلاقي والمودة والهُيام المتبادل . لدرجة أن الفاتيكان قد بَرَّأ

---

(١) أجمع مؤرخو النصرانية على أنه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة ، وأن رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي ، والمقبولة هي : إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا . وإن هذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام ، وقرر نقاد النصارى أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس ، دون سائر الحواريين ، ودون أقرب الأقربين إلى عيسى. [انظر العقائد الإسلامية، ص ١٦٨] .

(٢) من أمثال الراهب اللاتيني فرامينو الذي عثر على رسائل (الإبريانوس) ، ويُذكر فيه إنجيل برنابا ويستشهد به ، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن هذا الإنجيل ، وقد توصل إلى مبتغاه حينما صار أحد المقربين إلى البابا (سكتش الخامس) حيث وجده في مكتبة هذا البابا ، وقد كُتب بالإيطالية وعلى الورق الإيطالي المعروف بالآثار المائية التي فيه ، والتي يمكن اتخاذها دليلاً صادقاً على تاريخ النسخة الإيطالية . فأخذ الراهب فرامينو هذا الإنجيل ، وإذا فيه ((وسيبقى هذا إلى أن يأتيَ محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله)) [انظر صفحة ٣١٨ من إنجيل برنابا ، الفصل العشرون بعد المئتين] .

وأيضاً الدكتور الفرنسي الشهير موريس بوكاي الذي هداه الله إلى الإسلام ، فقام بواحدة من أهم الدراسات التي بينت خلو القرآن الكريم من أي خطأ _ ونحن لا ننتظر شهادة براءة ذمة من الآخرين فكتابنا محفوظ خال من أي نقص أو خطأ ولا يحتاج إثباتاً _ وامتلاء التوراة والإنجيل بالأخطاء .[انظر كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)] .

اليهود الحاليين من دم المسيح[1]. كما أن بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني[2] اعتذر لليهودِ ! ، مما يدل بشكل قاطع على أن الفاتيكان تم اختراقُه من اليهود ، وبتنا نشهد لوبي صهيوني على غرار اللوبي الموجود في أمريكا[3] .

هذا الجو الرهيب من الغرائبية كان حافزاً لي على الكتابة . ولندرك أن النصارى أنفسهم غير مقتنعين بالنصوص التي بين أيديهم ، وأنهم يعلمون _ في قرارة أنفسهم _ بتحريفها ولكن الهوى والتعصب يحولان دون الإعلان والبوح ، وها نحن نراهم يُلقون بالنصوص وراء ظهورهم متى عارضت مصالحهم وأهدافهم . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمَاً وَعُلُوَّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النَّمل : ١٤] .

وتظل أوهام النصارى تُكسَرُ وتتهاوى أمام الحقيقة الثابتة التامة في الآية القرآنية :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن

---

(١) نحن كمسلمين نؤمن أن اليهود حاولوا قتل المسيح ، ولكن الله تعالى أنقذه من أعدائه . بيد أنني في هذا المقام أعرض ما في كتبهم . فقرار تبرئة الفاتيكان لليهود الحاليين يُكذِّبُ ويهدم ويطعن في النص الإنجيلي الذي يحكي عن اليهود قولهم : ((ليكن دمُه علينا وعلى أولادنا !)) [مَتَّى ٢٧ : ٢٥] . فهلا أخبرَنا الكرادلة هل الصواب مع الفاتيكان أم مع إنجيل مَتَّى ؟ . وربما المصالح السياسية قد أدت إلى أن يُضربَ بهذا النص عرض الحائطِ ! .

(٢) (١٩٢٠م _ ٢٠٠٥م) اسمه الحقيقي كارلوس فويتيلا. وُلد في بولونيا. تربع على كرسي البابوية منذ العام ١٩٧٨م وحتى هلاكه . اعتذر لليهود وللطوائف النصرانية الأخرى . رفض الاعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية ، مما يدل على اعتقاده بأنها ليست جريمة ولا ذنباً ! .

(٣) اللوبي جماعات الضغط اليهودية لها نفوذ قوي في المؤسسات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني في أمريكا ، وتهدف بشكل خاص إلى دعم الكيان الصهيوني في فلسطين . وهذه الجماعات مخترقة للحزبين الجمهوري والديمقراطي من خلال التبرعات الفلكية التي تقدمها ، والشخصيات القيادية الخاضعة لها .

شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨) ﴾ [سورة النِّساء] .

ومن المسائل التي كشفها الخالقُ ﷻ للعلماء مخطوطات البحر الميت[١] والتي عُثر عليها داخل أواني فخارية بحالة جيدة ، وهي تضم كتابات حول الكثير من العقائد . وتتناول المخطوطاتُ مواضيع متعلقة بالإنجيل ستحدث انقلاباً فكرياً جذرياً في طريقة البناء العَقدي لدى الغرب . وقد قال عنها الدكتور د.ف. ألبرايت[٢] : ((إنه لا يوجد أدنى شك في العالم حول صحة هذه المخطوطات وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية)) . وقال عنها القس أ. باول ديفز[٣] في كتابه (مخطوطات البحر الميت) : ((إن مخطوطات البحر الميت وهي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة قد تغير الفهم التقليدي للإنجيل)) . وقد جاء في هذه المخطوطات: ((إن عيسى كان مسياً للمسيحيين ، وإن هناك مسياً آخر))[٤] وكلمة مسياً بالآرامية تعني رسولاً[٥] .

ومن الواجب التنبيه إلى بعض الألفاظ الخاطئة والمستخدمة على نطاق واسع من قبيل " المسيحية " أو " المسيحيين " . فهاتان اللفظتان ما أنزل الله بهما من سلطان ، فهما لم تردا في الكتاب ولا في السنة. بل هما تطعنان في عقيدتنا الإسلامية طعناً هائلاً .

---

(١) تملك الأردنُّ هذه المخطوطات .

(٢) واحد من أبرز العلماء في علم آثار الإنجيل ، ويُعتبر عمدةً في تخصصه .

(٣) رئيس كنيسة كل القديسين في واشنطن .

(٤) كتاب توحيد الخالق ، الجزء الأول للمرحلة الثانوية للأستاذ عبد المجيد الزنداني وآخرين ص ٩٦_٩٩ ، قطر ١٩٧٧م .

(٥) المرجع السابق جزء ٣ للمرحلة الإعدادية، صفحة ٨٩ . [راجع عقيدة المسلم وما يتصل بها عبد الحميد السائح ، ص ٢٤٦_ ٢٥١] .

فالله ﷻ أرسل المسيح وكل الأنبياء بالإسلام ولم يرسله بشيء يُدعى المسيحية ، وأيضاً لا يجوز أن ننسب كفاراً إلى سيدنا المسيح فندعوهم بالمسيحيين ، فهو بريء منهم . قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] . وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((أنا أولى الناسِ بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياءُ إخوةٌ لعلاتٍ أمهاتهم شتى ودينُهم واحدٌ))[1] .

وهكذا اتضح لنا العوامل المحيطة ببحثنا . صحيحٌ أنها استندت على تمهيد وتوطئة عامة إلا أنها جَلَّت كثيراً من الضبابية المغروسة في بعض العقول ، وشملت أهم الجوانب الدائرة في فلك بحثنا . وللأسف فإن هادماً واحداً كفيلٌ بتدمير نتاج حضارة واحدة . فشخصٌ مثل بولس مؤلف غالبية العقائد في الإنجيل قد قام بأخس عملٍ وهو التحريف والتجديف، فاحسب كم عدد الذين تبعوه فأضلهم وضلوا معه . وسأعطي مثالاً واحداً وهو غيض من فيض ، لكي يدركَ القارئ حجم الكوارث المستوطنة في كتب أولئك القومِ ، ولكي يعرف مع أي نوعيةٍ نحن نتعامل عندما ندرس تلك النصوص المحرفة والمشوشة. فقضية تحريم لحم الخنزير ثابتة في التوراة ، واليهود يأخذون بها . وثابتة كذلك في القرآن الكريم ، والمسلمون يأخذون بها . لكنها مختفية في الإنجيل . إذن الحلقة المفقودة تكمن في الإنجيل . فتحريم لحم الخنزير لم يُنسخْ ، فكان من المنتظر أن نجده . فانظر كيف تمت الخطة لإزالة هذه المسألة . أولاً ، نسبوا إلى المسيح قولة لم يقلها وهي : ((ليس ما يدخل الفم يُنَجِّسُ الإنسانَ ...)) [2] . وهذا معناه أن الخمر والخنزير وكل الخبائث لا تنجس الإنسان . فها نحن نرى الأهواء الساعية لاستباحة

---

(١) رواه البخاري (٣ / ١٢٧٠) برقم (٣٢٥٩) واللفظ له ، و مسلم (١٨٣٧/٤) برقم (٢٣٦٥) .

(٢) إنجيل مَتَّى (١٥ : ١١) .

المحرمات قد عملت عملها من أجل تحليل الحرام . ثم انبرى بطرس ، وبطرس بالذات ! إلى تفسير تلك المقولة: ((ألا تُدرِكون بعد أن الطعامَ الذي يَدْخل الفمَ ينزل إلى البطن ثم يُطرَح إلى الخلاءِ ؟ أَمَّا ما يخرج من الفم فإنه من القلب يصدر وهو الذي يُنَجِّسُ الإنسانَ))[1]. وهذا التفاف وتحايل . فالشخص الطيب يختار الطعام الطيب لحرصه على النقاء الجسدي والروحي . فهل يُعقل أن شرب الخمر أو التبغ أو لحم الخنزير لا تأثير لها وأن تناولها كعدمه لأنها _ وفق بطرس _ لا تُنَجِّسُ الإنسان ؟. وكيف سيكون قلبٌ طيبٌ في جسدٍ خبيثٍ عامرٍ بالنجاساتِ ؟. كيف ستصدر كلمة الخير من جسدٍ غُذِّيَ بالشرور والخبائثِ ؟. حتى أن عرب الجاهلية عبدة الأوثان حَرَّموا بعض الحيوانات تقذراً[2] ، فقد حَكَّموا عقولهم في ظل غياب الشرائع . فالفطرة والعقل لا تقبلان أن يكون لحم الخنزير ولحم الضأن في نفس الرتبة ، وأن كلاهما لا تأثير له بحجة أنه داخل إلى الإنسان وليس خارجاً منه . أي عقلٍ يرضى أن يتساوى الماء النقي مع ماء المجاري ؟ وهل من المعقول_ وفق منطق وعبقرية بطرس! _ أنهما بلا تأثير لو دخلا جوف إنسان ؟.

وفي الجهة المقابلة حرص الإسلام على أن يتناول الإنسان الطيبات وأن يستمد قوته من مصدر حلال . قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة: ١٦٨].وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ((أيها الناسُ إن اللهَ طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً وإن اللهَ أَمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحَاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[3] وقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

---

(١) إنجيل مَتَّى (١٥ : ١٧و١٨) .

(٢) الحلال والحرام في الإسلام ، القرضاوي ، ص ٤٢ .

(٣) المؤمنون : ٥١ .

[البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجلَ يُطيل السَّفرَ أشعثَ أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرامٌ ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغُذّيَ بالحرام فأنى يُستجابُ لذلك))[1]. لقد اعتنى الإسلام اعتناءً فائقاً بما يدخل إلى جوف الإنسان . فالتقوى عملية متكاملة تتضافرُ فيها جهود كل الجوارح . ولن نصل إلى النقاء إلا بتنقية الأرواح والقلوب والأبدان ، فهذه علامة هامة على الخضوع لأوامر الله تعالى ، مما يجعلنا جديرين بأن يُستجاب لنا . وشتان بين المنهج الإسلامي في تنقية الفرد وبين المناهج المنحرفة الأخرى .

تكاثرت الأيدي العابثة بالنصوصِ تحريفاً وتبديلاً وحذفاً وإضافةً . وإنما يدل ذلك على خضوع الدين النصراني للمصلحة والشهوة . ونحن في الإسلام نُخضعُ رغباتنا وشهواتنا للنص المقدس، ولا نلتف عليه من أجل تطويعه لخدمة نزواتنا . فالكتب السماوية وُجدت لِتُخْدَمَ لا لِتَخْدِمَ .

أردتُ عقد مقارنات سريعة ، نكتشف من خلالها اختلاف المناهج والقيم عند الأمم . إن الأناجيل فيها الحق وفيها الباطل . والقرآن والسنة الصحيحة هما الحكم . فإذا أدركنا معنى ما سبق فليس غريباً أن نجد نصوصاً تكاد تتطابق ، لأن الحق لا يُعارِض الحق . وفي المقابل هناك نصوص ترفض النصوص الأخرى، لأن الحق في القرآن يرفض الباطل في الأناجيل .

من المهم الإلمامُ بالجوانب المحيطة بأي عملٍ،فالعملُ ليس منفصلاً عن محيطه . ولكي

---

(١) رواه مسلم (٧٠٣/٢) برقم (١٠١٥) ، وأحمد (٢/ ٣٢٨) برقم (٨٣٣٠) والترمذي (٥/ ٢٢٠) برقم (٢٩٨٩) وقال : ((هذا حديث حسن غريب وإنما نعرفه من حديث فضيل بن مرزوق)) ، والدارمي (٢/ ٣٨٩) برقم (٢٧١٧)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٤/٢) برقم (٢٦٥٧) وقال : ((رواه مسلم والترمذي)). قلتُ : ((ولم ينتبه إلى أن الإمام أحمد قد رواه في مسنده)) .

تدرك ما أريد إيصاله اقرأ النص التالي : ((لا فرقَ بين الزواج والزنا من ناحية التفاعلِ الجنسي . ولكن ما الذي جعلَ الزواج حلالاً والزنا حراماً ؟. إنها الشريعة الكاملة لا تُناقش . والمرأة المتزوجة تمنح جسدها لرجل ، والمومس تمنحُ جسدها لرجل، فما الذي جعل الناس يحترمون الأولى ولا يحترمون الثانية ؟ إنها الشريعة . فالأمور لا تُؤخذ مُجتزأةً منفصلةً عن سياقها ومحيطها، لأن الجو العام الذي يُحيط بالأمور له تأثيرٌ بالغٌ . ويوجدُ مسائلُ كثيرةٌ خُلقَتْ تابعةً لا تتمتعُ باستقلالية ، فعلينا أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار))[1] . ومعنى الكلام أن الرؤية العامة والأهداف المجملة ضرورية.فلن نجد الحق إلا إذا وضعنا الأمور في نصابها الصحيح، فَلَوْيُ أعناقِ النصوص ، واجتزاؤها ، وفصلها عن سياقها سوف يزيدنا بُعداً وشططاً ، في الوقت الذي نتوهم فيه أننا توصلنا إلى الحقيقة الساطعة. ونكون كمن يمشي إلى الوراء سعيداً، ظناً منه أن خطواته إلى الأمام ! . الوهم مدمرٌ ، لكونه يقلب لك الأمور رأساً على عقب ، ويمتص جهدك ووقتك .

وتألبت الجهود على إزالة كل ما يتعلق بسيدنا محمد ﷺ في الإنجيل والتوراة ، حسداً من عند أنفسهم وكراهيةً لظهور الحق على غير أيديهم . وسيكونون في غاية السعادة وقمة السرور لو ردونا عن الحق المبين الذي جاءنا: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدَاً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[البقرة : ١٠٩] . وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقَاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرَاً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] .

وانطلق علماء أفذاذ أفحموا علماء النصارى وبينوا أخطاء الأناجيل منهم الشيخ العلامة أحمد ديدات _ رحمه الله _ الذي اشتهرت مناظراتُه في العالم . كما توالت

---

(١) صرخة الأزمنة ، المؤلف ، مخطوط .

الردود على محرفي التوراة والإنجيل قديماً وحديثاً . وإليك هذه القائمة من أهم الكتب في المجال السابق ذكره . قديماً : الملل والنحل للشهرستاني . الفصل في الملل والنِّحل لابن حزم . السيرة النبوية لابن هشام وبخاصة الجزء الأول . الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك باجه جي زادة. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي. ومن المعاصرين : الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا. التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة. وتفسير المنار لمحمد عبده وقد دونه وأكمله ونشره محمد رشيد رضا .

إن التلاعب بكلام الله تعالى أكبر جريمةٍ تُرتكب بحق الإنسانية . فكلمة الله تعالى الموجهة إلى البشر الذين هم عبيده ، حين تطالها يد التحريف تنتكسُ البشرية ، وتغور في أحقر مرتبة . وانظر إلى مئات الملايين الهائمة دونما هدف ، وانظر إلى المليارات التي تُنفق لمعاداة الخالق ، ظانين أنهم يُنفذون أوامره . ممالك وبلادٌ بُنيت على محاربة الرَّبِّ تعالى . يعبدون الشيطان اللعين ويسجدون لأهوائهم المتشعبة ، ثم يسمون ذلك إيماناً وخلاصاً . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

***

الإنسانُ لفظٌ مشتقٌ من كلمة ((أَنِسَ)) ومعناها سكن وفرح ، وهي نقيض التوحش.وهذا يلزم أن يكونَ ظاهراً غير مستتر. فالقرآن الكريم ذكر كلمة((الإنس)) في مقابل ((الجن)) التي تدل على الخفاء والاستتار وعدم الظهور . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّاريات: ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧] . وقد وردَ عند مَتَّى : ((فيذهب ويحضر معه سبعة أرواح أخرى أكثر شراً فتدخل جميعاً وتسكن ذلك الإنسان))[١] . أي أن النصوصُ تُبرز معنى الخفاء وعدم الظهور للجن ، وإن كان نَصُّ مَتَّى يتناول الشياطين الذين هم قِسْمٌ من الجن . فقوله : ((أكثر شراً)) يدل على الشياطين خاصةً، فالجن فيهم المؤمن والكافر ، والشياطين لا يكونون إلا كُفَّاراً . والخلاصة هي الاتفاق على موضوع الظهور للإنس ، والخفاء للجن .

وتُطلق كلمة إنسان على ذلك الجنس البشري الحي المفكر، المؤهل للخلافة في الأرضِ وتحمُّل تبعات التكاليف والقيام بواجب الأمانة التي تحمَّلها فهو ليس مجرد بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق[٢] . لذلك فالتكريم حاصلٌ للإنسانِ سواء كان مُسلماً أم كافراً . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠] . قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : ((كَرَّمْنا تضعيف كرم أي جعلنا لهم كرماً أي شرفاً وفضلاً وهو كرمُ نفي النقصان لا كرمُ المال وهذه الكرامةُ يدخل فيها خلقُهم على هذه الهيئة

---

(١) إنجيل مَتَّى (١٢: ٤٥)

(٢) الثقافة الإسلامية للصف الأول الثانوي الشامل ، د. شوكت العمري وآخرون ، ١٩٩٨م ، وزارة التربية والتعليم في الأردن .

في امتداد القامة وحُسْنِ الصورة وحملهم في البر والبحر ...))[1]. فكل البشر باعتبارهم بشراً تحت فضلِ الله ورحمته . ((فإنه يُشرقُ بشمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار وغير الأبرار))[2].

فلم يجعل الله تعالى المسلمَ يمشي على قدميه والكافر يزحف على بطنه . ولكي يُقيمَ اللهُ تعالى الْحُجَّةَ على عباده خلقهم في نفس الهيئةِ وزودهم بنفس الأجهزة والأعضاء من عقلٍ وقلبٍ وروحٍ وجهاز تنفسي وعصبي وتناسلي ... إلخ . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لجاء الكافرُ يوم القيامة حاملاً كومةَ أعذارٍ يقول لربه الكريم لو خلقتَ لي عقلاً لكنتُ آمنتُ بك ، ولو جعلتَ لي أذنين لأصغيت إلى كلامك ، ولو خلقتَ لي فماً لدعوت إليك وهكذا . فاللهُ تعالى أقام الحجة ، وأغلق طريق الأعذار على الإنسانِ. والإنسان مجزيٌّ بما يفعل. قال تعالى : ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ [القيامة].

قال ابن عباس: ((الإنسانُ شاهدٌ على نفسه وحده _ يشهد عليه _ سمعُه وبصره ورجلاه وجوارحه))[3]. ولو جاء بكل معذرة ليبرر إجرامه وفجوره فإنه لا ينفعه ذلك لأنه شاهد على نفسه وحجة بينة عليها[4]. قال اللهُ تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)﴾ [الزَّلزلة] . وقد ورد : ((فإنكم بالدَّينونةِ التي بها تَدينون تُدانون))[5] . وحسابُ العباد على رب العباد وحده ، وليس للأنبياء محاسبةُ الناس . قال تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٩٣) .

(٢) إنجيل مَتَّى (٥: ٤٥) .

(٣) تفسير الطبري (٢٩/١٨٥) .

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني ، (١٩/ ٧٧) .

(٥) إنجيل مَتَّى (٧: ٢) .

بوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام: ٦٦] . ومعنى﴿ لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي لستُ عليكم بحفيظ وُكِّلَ إِلَيَّ أمرُكم فأجازيكم . ويتفق مع هذا المعنى: ((وإذا سمع أحدٌ كلامي ولم يُؤمنْ به فأنا لا أَحكمُ عليه فقد جئتُ لا لأحكمَ على العالَم))[1]. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ((أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويُقيموا الصلاةَ ويُؤتوا الزَّكاةَ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[2] . الشاهدُ في الحديث أن الحساب ليس على الأنبياء وإنما على الرب ﷻ، فالمخلوق لا يُحاسبُ مخلوقاً. مع الانتباه إلى أن القتال في الإسلام يكون بضوابط تحددها الشريعة ، ولا يُجبر أحدٌ على اعتناق الإسلام . أما الكفار المحاربون والذين يحولون دون وصول الدعوة فهؤلاء يُقاتَلون . قارن بين هذا الموقف السَّامي وبين موقف الأناجيل التي تحث على العنف والإجرام . وإليك هذا القول المكذوب على المسيح بلا أدنى شك يعتنقه النصارى ويقدسونه رغم ما يحمله من إرهاب وعنف وإجرام : ((لا تظنوا أَني جئتُ لأُرسيَ سلاماً على الأرضِ. ما جئتُ لأُرسيَ سلاماً بل سيفاً))[3] . فليت شعري أيها العالَم المغفل هل يُصبح القرآن الكريم الذي جاء بالسَّلام مصدراً للإرهابِ، وتصبح الأناجيل التي تحوي مثل هذا النص الإجرامي منبع التسامح والإخاء ؟! .

الإنسانُ هو الإنسانُ ، مخلوقٌ من المخلوقات . اختاره اللهُ تعالى خليفةً في الأرضِ

---

(١) إنجيل يوحنا (١٢: ٤٧) .

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧) برقم (٢٥) واللفظ له ، ومسلم (٥٣/١) برقم (٢٢) ، وقال الحافظ في الفتح (١/ ٧٧) : ((وحسابهم على الله أي في أمر سرائرهم ... وفيه دليل على قبول الظاهر والحكم بما يقتضيه الظاهر)) .

(٣) إنجيل مَتَّى (١٠: ٣٤). [وهذا يشير بلا أدنى شك إلى أن الإنجيل المحرَّف يحوي نصوصاً تدعو إلى القتل والإبادة والإرهاب والجريمة] .

بهدف أن يعمرها ، ويقيمَ شرعَ الله تعالى فيها . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ . [البقرة : ٣٠] . ومفهوم الخلافة يتضمن إقامة الشريعة ، وأفضل من طَبَّقَ الشريعةَ هم الأنبياء عليهم السَّلام . وهذا المبدأ المجمَع عليه في الشَّرائعِ السماوية[١] ذُكر عند مرقس : ((فأجابه يسوع : ((أولى الوصايا جميعاً هي : اسمعْ يا إسرائيل ، الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحد_ فأحب الرَّبَّ إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قوتك . هذه هي الوصيةُ الأولى. وهناك ثانية مثلها ، وهي أن تحب قريبك كنفسك. فما من وصية أخرى أعظم من هاتين))[٢] . فهنا نرى السيد المسيح يؤسس مبادئ سامية من شأنها النهوض بالخلافة على أكمل وجه . فالتوحيد هو الركيزة والتي إن غابت غاب كل شيء واضمحل ، وأيضاً محبة الله ليست شِعاراً يُرفع أو شعوراً مؤقتاً أو إحساساً متقلباً . إنها عقيدة راسخة تسيطر عليك بشكل كامل ، وينقادُ كُلُّك إليها . ثم أن تحب الآخر ، ولفظة((قريبك)) لا تعني قريبك بالنسبِ ، بل إن كل آدمي قريبك وأخوك في الإنسانية . فكيف ستُبنى الأرضُ دون المحبة بين أبناء الجنسِ البشري ؟ . لو كان الحقد مسيطراً وسائداً لهدم الطرف الثاني ما يبنيه الطرف الأول ، وعندها ستكون الأرضُ خراباً، وليس عماراً . لذلك فالمحبة بينك وبين خالقك ، والمحبة بينك وبين أخيك تبنيان الأرضَ وتحققان معنى

---

(١) من الأخطاء الفظيعة استخدام عبارة " الأديان السماوية" ، فهذه عبارة كُفرية تُكَذِّبُ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] . فالإسلام هو الدِّينُ السماوي الأوحد. وباقي الأديان أرضية اخترعها الشَّيطان. أما الشَّرائع فمتعددة ومختلفة باختلاف الزمان والمكان . قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة: ٤٨] . فهناك شرائع سماوية وكتب سماوية ولكن لا توجد أديان سماوية . فاحذر من هذه المسألة التي وقع فيها كثيرون من العوام .

(٢) إنجيل مرقس (١٢: ٢٩و٣٠و٣١)

الخلافة . وقال رسول الله ﷺ :((فمن يَعْدِلُ إذا لم يعدل الله ورسولُه))[1] . وهذه الحقيقةُ السَّاطعةُ تقودُنا إلى أن وظيفة البشرِ الخضوع للشرعِ لا التشريع[2] . وسيدنا محمد أسس العدل كأحد أهم ركائز النهضةِ الإنسانية والاضطلاع بمسؤولية التكليف والخلافة . كل نبيٍّ يُكملُ مسيرة النبي السابقِ باقتدار وأيما اقتدار .قال تعالى :﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ [المائدة: ٤٦] . ومعنى قَفَّيْنَا أي بعثناه متتبعاً آثارهم . لذلك قال المسيح : ((لا تظنوا أني جئتُ لأُلغيَ الشَّريعةَ أو الأنبياءَ . ما جئتُ لأُلغيَ ، بل لأُكملَ))[3] . إذن ، الأنبياء جسم واحد سائرون في طريق واحد يدعون إلى دينٍ واحدٍ . لذلك كان تكذيبُ أي نبيٍّ تكذيباً لكل الأنبياء ، أي تكذيباً لمرسلهم. ((لأني لم أتكلمْ بشيء من عندي بل أقول ما أوصاني به الآبُ الذي أرسلني))[4] .

لقد شَيَّدَ الأنبياءُ بناءَ الحق والحقيقةِ والعدل والنَّجاةِ من احتمى به نجا ، ومن رفضه رُفِضَ . كلهم يد واحدةٌ أعطت البشريةَ معناها ، وإنني لا أتصورُ كيف ستكون الحياة لولا مجيء الأنبياء. فانظر أي دينٍ احتوى جميع الأنبياء بلا استثناء، إنه الإسلامُ .

---

(١) رواه البخاري (٣/١١٤٨) برقم (٢٩٨١) ، ومسلم (٢/٧٣٩) برقم (١٠٦٢) ، وابن حبان (١١/١٦٠) برقم (٤٨٢٩) .

(٢) ومن هنا تعلم فساد تلك الترهات المسماة مجالس تشريعية ، حيث يُنازعون الله تعالى فيذهبون ويُشرعون قوانين وأحكاماً ودساتير . يتركون الشَّريعة السماوية ، ويذهبون إلى حفنة من المحامين ورجال قانون كي يجعلوا آرائهم شريعةً لازمةً للعباد المغلوب على أمرهم . والله المستعان على ما يصفون .

(٣) إنجيل مَتَّى (٥: ١٧) .

(٤) إنجيل يوحنا (١٢: ٤٩) . ومعنى الآب أي السيد الخالق العظيم ، وليس كما يزعم النصارى أنها تحمل معنى الأبوة الحسية . فهذا تجديفٌ على الشَّريعةِ .

وانظر أي دين أمر بالإيمان بكل الكتب السماوية[1] ، إنه الإسلامُ . وهكذا يتبينُ لك من يتبعون الحق ممن يتبعون العصبيات القبلية والتطرف ، ويعتقدون أن الإيمان بنبيٍّ يعني النَّيلَ من نبيٍّ آخر ، والانتقاص من مكانته . يا لهم من عُميانٍ . وسأوردُ في هذا المقام حديثاً شريفاً يبينُ وحدة الأنبياء وأنهم جسدٌ وبناءٌ واحدٌ متناسقٌ لا انحراف فيه أو نقص . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ مثلي ومَثَلَ الأنبياء من قبلي كمثلِ رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويُعجَبون له ويقولون هلا وضعتَ هذه اللبنةَ قال: فأنا اللبنةُ وأنا خاتَمُ النَّبيين))[2] . وهذا الحديثُ الصحيحُ يدحضُ ما قاله بطرسُ : ((يسوع هذا الحجرُ الذي رفضتموه أيها البُناةُ، وهو نفسه صار حجرَ الزاويةِ الأساسيَّ))[3]. فقولُ بطرس مردودٌ لوجهين، أولاهما أنه كان يُخاطبُ زعماءَ اليهودِ فكيف يصفهم بالبُناةِ وهم قتلةُ الأنبياء وهدمة المذابحِ ؟!، وهذا ليس كلامي بل ما ورد في كتابكم : ((يا رب! قتلوا أنبياءَكَ ، وهدموا مذابحك))[4] . محالٌ أن يكون المسيح حجراً في بناءٍ يبنيه قتلةُ الأنبياء وهدمة المذابح. فالهادمُ لن يبنيَ، حيث أن فاقدَ الشيء لا يعطيه. وثانيهما أن عبارة" حجر الزاوية الأساسي" تقتضي أن مركز البناء هو سيدنا المسيح وهذا قد يُفهَم على وجهين. الأول أن السيد المسيح صار أعظم المخلوقات في عصره وهذا مقبول ، والثاني أن السيد المسيح صار أعظم المخلوقات في كل العصور وهذا مرفوض ، لأن هناك أنبياء يفوقونه في المنزلةِ والرُّتبةِ . وما حاول فعله بطرسُ هو تعظيم السيد المسيح

---

(١) عددها غير معروفٍ ، لكن أشهرَها القرآن والإنجيل والتوراة والزَّبور .

(٢) رواه البخاري (٣ / ١٣٠٠) برقم (٣٣٤٢) واللفظ له ، ومسلم (٤ / ١٧٩١) برقم (٢٢٨٦) .

(٣) أعمال الرُّسل (٤: ١١) .

(٤) الرِّسالة إلى روما (١١: ٣) .

وإضفاء أعظم منزلة عليه بعد أن جعله إلهاً ! . يا بطرسُ ! إن السيد المسيح عظيم ولا يحتاج إلى أكاذيب لإبراز مناقبه .

إذن الأنبياء أسسوا مفهوم الخلافة على الأرض ومنهجية التطبيق والتنفيذ، وجعلوها واقعاً مُعاشاً وتطبيقاً عملياً مستنداً إلى تعاليم الشَّريعةِ. فلا تناقض ولا تضاد ، لأنهم يسيرون في خط واحد وليس خطوطاً متوازية أو متقاطعة . فكل واحد منهم يُكملُ ما بدأه الآخر ويبدأ من حيث انتهى من قبله، وصولاً إلى خَتمة النبوةِ والنبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ .

ووجبَ على الأتباع اقتفاء أثرهم والتزام مناهجهم . لكن أمراً كهذا يقودُنا إلى موضوعٍ غاية في الأهمية ، ألا وهو (النَّسْخ) و (الناسخ والمنسوخ). بدايةً ، النسخ في اللغة يعني الإزالة والمحو . يُقال نسخت الشمسُ ظلَّها ، يعني أزالته ومحته ، وأحلت الضوءَ محله . وقد أشار ابنُ الفارضِ (*) إلى هذا المعنى عندما قال :

نَسَخْتُ بحبـي آيةَ العشـقِ مـن قبلي فأهلُ الهوى جُنْدي و حُكمي على الكُلّ

وفي الشَّرع هو وقفُ العمل بحكمٍ أفاده نص شرعي سابقٌ من القرآن أو من السُّنة الصحيحة، وإحلال حكم آخر محله أفاده نص شرعي آخر لاحق من الكتاب أو السُّنةِ لحكمة قصدها الشَّرعُ مع صحة العملِ بحكم النَّصِّ السَّابقِ قبل ورود النص اللاحق(١)

(*) وُلد بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ _ ١١٨٠م . شاعر صوفي تَوَسَّعَ في استخدام البديع والمجاز مما ورطه في كثير من الإشكاليات . توفي سنة ٦٣٢ هـ _ ١٢٣٤م .

(١) هذا التعريف اختاره أكابر علماءِ الأزهر الشَّريفِ وفيه جمع ما تفرق من تعريفات الأصوليين مع مراعاة الدقائقِ والوضوح . وهناك تعابير مختلفة تصب في نفس الخانة، ولكنها في أحيان كثيرة تحتاج إلى مستوى عالٍ من العلم حتى تُفهم وإليك إحداها: ((النسخ في اصطلاح الأصوليين هو إبطالُ العمل بالحكمِ الشرعي بدليلٍ متراخٍ عنه، يدل على إبطاله صراحةً أو ضمناً، إبطالاً كلياً أو إبطالاً جزئياً لمصلحة اقتضته ، أو هو إظهار دليل لاحق نسخ ضمناً العمل بدليل سابقٍ)) [انظر علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ص ٢٢٢] .

وقد قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] . وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية الشَّريفة : ((قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما ننسخ من آية ما نُبَدِّل من آية وقال ابنُ جُريج عن مُجاهد ما ننسخ من آية أي ما نمحو من آية وقال ابنُ نجيح عن مُجاهد ما ننسخ من آية قال نثبت خطها ونبدل حكمها))[1] .

أما أولئك الذين ذهبوا إلى نفي وقوع النَّسخ في القرآن[2] ، فرأيهم لا تقوم له قائمة ورأيهم لا يعتد به بالمرة لمخالفته نصوص الشريعةِ . كما أن جمهور الفقهاء وعلماء الأصول يقرونه _ أي النَّسخ _ بلا أدنى حرج .

وقد حاولت حفنةٌ من المستشرقين اتخاذ النَّسخ وسيلةً للطعن في القرآن، وقد أوردوا شبهتهم كالتالي : ((القرآن وحده من دون سائر الكتب الدينية، يتميز بوجود الناسخ والمنسوخ فيه، مع أن كلامَ الله الحقيقي لا يجوز فيه الناسخ والمنسوخ، لأن الناسخ والمنسوخ في كلام الله هو ضد حكمته وصدقه وعلمه، فالإنسان القصير النظر هو الذي يضع قوانين ويغيرها ويبدلها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف. لكن الله يعلم بكل شيء قبل حدوثه. فكيف يُقال إن الله يغير كلامه ويبدله وينسخه ويزيله ، فليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسانٍ فيندم ؟!)) .

إن النسخَ لا يقدح في حكمة اللهِ تعالى ، بل هو من حكمته ، فتطور الأحكام التشريعيةُ والتدرج بما يُزيل الحرج على الناس من صميم المنهجِ الإسلامي ، فالشريعة جاءت لرفع الحرج لا لتعقيد حياة الناس. ولأن الناس تختلف قدراتُهم وإمكانياتهم خاصةً وأنهم خارجون للتو من جاهلية مدقعة جاءت الشَّريعة تنتشلهم رويداً رويداً ،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٥٠) .

(٢) منهم الدكتور عبد المتعال الجبري وله فيه كتاب خاص نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة، والدكتور محمد البهي ، ومنهم الشيخ محمد الغزالي .

فالجاهليُّ الذي قضى عمره في شرب الخمر وتعود عليه إلى الإدمان ، ويعيش في مجتمع غارق _ إلى شحمة أذنيه _ في الخمور والحانات ، من الصعب عليه في يوم وليلة أن تأمره بترك الخمر قطعياً ، فكان التدرج في تحريم الخمر حتى الوصول إلى التحريم الكلي النهائي . إن مثل هذا المنهج يأخذ بعين الاعتبار قدرات البشرِ، ويخفف عنهم ، ويبنيهم لبنةً لبنةً . أما قولهم أن النَّسخَ لم يحدث إلا في القرآن الكريم فهذا لا نُسَلِّمُ به ، ويتعارضُ مع الحقيقة ، وسأوردُ _ إن شاءَ اللهُ تعالى _ أمثلةً تؤيد ما ذهبتُ إليه.

ووَضَّحَ الشيخ عبد الوهاب خلاف الأمرَ بقوله : ((وهذا النَّسخُ وقع في التشريع الإلهي، ويقع في كل تشريع وضعي، لأن المقصودَ من كل تشريع سواء أكان إلهياً أم وضعياً تحقيق مصالح الناس. ومصالح الناس قد تتغير بتغير أحوالهم . والحكم قد يُشرع لتحقيق مصالح اقتضتها أسباب _ قد تظهر لنا وقد لا تظهر _ فإذا زالت هذه الأسباب فلا مصلحة في بقاء الحكم))[1] .

وإنني أسمحُ لنفسي أن أستخدم مفهوماً جديداً لم يسبقني إليه أحد وهو النسخ الدَّاخلي والخارجي[2]. ذلك أن تقسيمَ النسخ ضروري لنفهم كل أمر في مجاله، وضمن أفقه الخاص به . وسأبدأ في إعطاء أمثلةٍ على النَّسخ .

لنأتِ إلى القرآن الكريم، فقد وقع فيه النَّسخ على نطاق ضيقٍ. وإليك المثال التالي المتعلق بنسخٍ داخلي حصل داخل القرآن ، فالآية القرآنية الكريمة : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النُّور : ٢] نسخت الآيةَ الكريمة التالية : ﴿ وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا

---

(١) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ص ٢٢٢ .

(٢) النسخ الداخلي يكون في نفس الكتاب أو في نفس الشريعة (مثلاً النسخ في القرآن الكريم أو النسخ في الأناجيل) ، أما الخارجي فيتعدى إلى أكثر من كتاب أو أكثر من شريعة (مثلاً كأن ينسخ نص في القرآن نصاً في الأناجيل ، أو أن ينسخ نص في الأناجيل نصاً في التوراة) .

فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾[النِّساء:١٥] .

وإليك مثالٌ على نسخٍ داخلي حصل في السُّنَّة النبوية . عن بريدة عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ : ((نهيتكم عن زيارة القبورِ فزوروها، ونهيتكم عن لحومِ الأضاحي فوقَ ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سِقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكراً))[١] . ففي الحديثِ نسخ واضح وقع في أكثر من مسألة .

ولنأت إلى نسخٍ داخلي ، ولكن هذه المرة في الأناجيل. فالنصان التاليان بينهما نسخ : ((فإن من ليس ضدنا فهو معنا))[٢] ، ((من ليس معي فهو ضدي))[٣] . فلا يُعقل الجمعُ بينهما إذن أحدهما ألغى الآخر، ونسخه . لكننا لا نعلم الناسخ من المنسوخ ، لأن الأناجيل عشوائية الترتيب والجمع ، فلا تاريخ لها يُعتد به . وكما أسلفنا فإن غموضاً هائلاً يحيط بها من حيث زمان كتابتها ومكان تدوينها ومن قام بهذا العمل ، لذلك لا نعلم السابق من اللاحقِ . والنسخ لا يَصدر إلا من الله تعالى أو الأنبياء . فعلى فرض أن المقولتين السابقتين للسيد المسيح فإن هناك نسخاً شرعياً . أما لو كانتا لأشخاص آخرين اختلقوهما فبينهما نسخٌ باطلٌ بسبب عدم صدوره عن الله تعالى أو الأنبياء ، وإنما صدوره عن مجدفين وكذابين فجرة .

بيد أن النصارى يُجادلون بالباطل لمحاولة إثبات انعدام النَّسخ . فسِفْرُ أعمال الرُّسل يُخبرُ بأن اليهودَ قدموا شهادة زورٍ على استفانوس[٤] : ((فقد سمعناه يقول إن

---

(١) رواه مسلم (٦٧٢/٢) برقم (٩٧٧) ، وأحمد (٣٥٠/٥) برقم (٢٣٠٠٨) ، وابنُ حبان (٢١٣/١٢) برقم (٥٣٩١) ، والنَّسائي (١/ ٦٥٣) برقم (٢١٥٩) . [والمراد بالنبيذ نقيع التمر والزبيب ونحوهما] .

(٢) إنجيل مرقس (٩: ٤٠) .

(٣) إنجيل مَتَّى (١٢: ٣٠) .

(٤) هو واحدٌ من السبعة الذين تم اختيارهم لمساعدة " الرُّسل " _ حسب زعم لوقا مؤلف " أعمال الرُّسل " _.والجديرُ بالذِّكر أن كلمة " الرُّسل" يُقصدُ بها التلاميذ الذين اختارهم السيد=

يسوعَ الناصري سيهدمُ هذا الهيكلَ ويُغيِّرُ الطُّقوسَ التي تَسَلَّمْناها من موسى))[1] .
وهذا القولُ اعتبره لوقا _ مؤلف سِفْر أعمال الرُّسلِ _ تهمة باطلة . بمعنى أن تغيير الطقوس باطلٌ ، إذن الحق _ حسب لوقا _ أن اعتماد الطقوس التي تسلمها اليهود من سيدنا موسى هي الذي نادى به السيد المسيح، وهذا يعني أنه ليس هناك نسخ بالمرة . لكن الأمر فيه نظر . فتحريم لحم الختزير في شريعة موسى ، نراه اختفى في الأناجيلِ . والختانُ حسب شريعة موسى : ((ولما تَمَّت ثمانيةُ أيامٍ لِيُختنَ الطِّفلُ، سُمِّيَ يسوع))[2] . لكننا نرى الختان قد أُلغيَ بمزاجية طائشة صدرت من قِدِّيس النصارى بولس ! . وأرى أن فعلَه ذلك يُعتبر تجديفاً غريباً من نوعه : ((ولا بِخِتَان ما كان

= المسيح . وقد سماهم القرآن الكريم (الحواريين) . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].
قال ابنُ كثير في تفسيره (٢/١١٦) : ((المراد بهذا الوحي إلهام كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[القَصَص : ٧] وهو وحي إلهام بلا خلاف ، وكما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النَّحل : ٦٨])) اهـ. وهكذا يتبين لك أن تلاميذ المسيح ليسوا أنبياء وبالتالي ليسوا رُسلاً . وقد يكون المراد بلفظة " الرُّسل " أي رسل السيد المسيح إلى الآخرين ، وهذا ما أراه . وتلاميذه ليسوا معصومين فيهوذا الإسخريوطي كان ضمن تلاميذه الإثني عشر ومع هذا خانه . وإليك هذه القائمة : ((وهذه أسماء الاثني عشر رسولاً : أولاً ، سمعان الذي دُعيَ بُطرس ، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدي ، ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرثلماوس، توما ، ومَتَّى جابي الضرائب ، يعقوب بن حلفي ، وتداوس، سمعان القانوي، ويهوذا الإسخريوطي الذي خانه)) [إنجيل مَتَّى (١٠: ٢و٣و٤)] .
(١) أعمال الرُّسل (٦: ١٤) .
(٢) إنجيل لوقا (٢: ٢١) . وهذا النص دليلٌ على أن الختان كان في شريعةِ موسى ، إذ لو لم يكن كذلك لما أقدمت السيدة العذراء مريم وهي التقية النقية العالمة بالشَّريعة على ختان ابنها . وأيضاً تم الأمر بدون إنكار من أحد ، مما يجعلنا نستنتج أن أمر الختان واضح وضوح الشمسِ في شريعةِ موسى .

ظاهراً في اللحم))[1] . ثم زادنا نغمةً في طنبوره فقال : ((والخِتان هو ما كان خِتاناً للقلبِ بالرُّوحِ لا بالحرف))[2]. يعني أنه حول الخِتان إلى شيء معنوي وليس حسياً مادياً وهذا زيغٌ ابتكره بولس لغاية في نفسه[3] .

---

(١) الرِّسالة إلى روما (٢: ٢٨) .

(٢) الرِّسالة إلى روما (٢: ٢٩) .

(٣) بولس شخصية غامضة ومحيرة ، لكن الأكيد أنه انحرف بالكنيسة إلى وجهة كان يُريدها ، وبَدَّلَ وغَيَّرَ في الشَّريعةِ وتلاعب بالنصوصِ الإنجيلية ، فالكثير من العقائد الباطلة إنما جاءت على لسانه ومن صنع يديه . يقول بولس في أوضح نص على الإطلاق يتعلق بسيرته الذاتية :((أنا رجل يهودي ، وُلدتُ في طرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكية ، ولكني نشأتُ في هذه المدينة وتعلمتُ عند قدمي غمالائيل التربية الموافقة تماماً لشريعة آبائنا . وكنتُ غيوراً في أمور الله ، مثلكم جميعاً اليوم . فاضطهدتُ هذا الطريقَ حتى الموت ، فكنتُ أعتقلُ أتباعه من الرجال والنساء، وأزج بهم في السجونِ . ويشهدُ رئيسُ الكهنة ومجلس الشيوخ على صدق كلامي هذا . فقد أخذتُ منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبضِ على الذين هناك، لأسوقهم إلى أورشليم فينالوا عقابهم . ولما وصلتُ إلى مقربة من دمشق ، وكان الوقت نحو الظهر، أضاء حولي فجأة نورٌ باهر ، فوقعتُ على الأرضِ ، وسمعتُ صوتاً يقول لي : شاوُل ، شاوُل ، لماذا تضطهدني ؟ فأجبتُ : من أنت يا سيد ؟ فقال : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . وقد رأى مرافقيَّ النور، ولكنهم لم يسمعوا صوتَ مُخاطبي . فسألتُ : ماذا أفعل يا رب ؟ فأجابني الرب : قم وادخل دمشق ، وهناك يُقال لك ما يجب عليك أن تفعله)) [أعمال الرُّسل (٢٢: ٣_ ١٠)] .

سأحاول تحليل شخصية بولس من خلاله كلامه ورسم أهم مراحل تاريخه وأبرز المعالم . فقد كان يهودياً مطلعاً على الشَّريعةِ ، ثم اضطهد الكثيرين ممن ينسبون أنفسهم للسيد المسيح ، وفي يومٍ من الأيام _ وفق زعم بولس _ سمع صوت المسيح ، لكن من معه لم يسمعوا ! ، وبعد أحداث صار من الذين يُسمون أنفسهم أتباع المسيح . وهذا الكلام مليء بالشكوكِ والرِّيب. فبولس جاء بأمور كثيرةٍ مضادة لدعوة المسيح حيث أنه يسمي سيدنا عيسى إلهاً في أكثر من موضع وهذا قمة التجديف والافتراء والكذب. فتارةً يقول: ((من بولس عبد يسوع المسيح))[الرسالة إلى روما=

يظهر لنا اختلاف واضح بين الشَّريعتين ، مع اعتقادنا بوجود أصابع كثيرة وضعت مزاجها وأفكارها البشرية في الأناجيل . وهناك نسخٌ في الأناجيلِ لشيء كان في شريعة موسى . لقد ((سمحَ موسى بأن تُكْتَبَ وثيقةُ طلاقٍ ثم تُطَلَّق الزوجةُ))[1] ، وقد عُلِّلَ هذا الأمر بسبب قسوة قلوب اليهود ((بسببِ قسوةِ قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصيةَ))[2] . وقد نُسخ هذا الأمر بالقول : ((إذن، لا يُفَرِّقَنَّ الإنسانُ ما قد قَرَنَهُ اللهُ))[3] . وهكذا ترى وجود نسخ خارجي يطال شريعتين . وأيضاً نورد ما يلي لنجتث رأي أولئك المكابرين ، والقائلين بعدم وجود نسخٍ متعلق بشريعتي موسى وعيسى . ((كتبَ لنا موسى : إنْ مات لأحد أخٌ متزوج وليس له ولد، فعلى أخيه أن يتزوجَ بأرملته ويُقيمَ نسلاً على اسم أخيه))[4] . وانظر كيف نسخها بولس _ مُقَدَّس النصارى_ والذي كلامه يُعتبر عندهم نصاً مُنزلاً : ((إنَّ الزوجةَ تظل تحت ارتباط ما دام زوجها حياً . فإذا رقد زوجُها ، تصير حرة يحق لها أن تتزوج من أي رجل تريده ، إنما في الرب فقط))[5] .

(١:١)]. وتارةً أخرى يقول : ((وإلى جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح)) [الرسالة الأولى إلى كورنثوس (١: ٢)] . ومرة يُمعن في تجديفه فيتفوه بهذا الهراء : ((لتكن لكم النعمة والسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح)) [الرسالة إلى أفسوس (١: ٢)] . والنصوص السابقة التي اخترعها بولس من خياله المريض وأوهامه المتكاثرة تُعارضُ نصوصاً كثيرة ضد جعل المسيح إلهاً، منها: ((فقد كُتب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد !))[إنجيل مَتّى(٤: ١٠)] .

(١) إنجيل مرقس (١٠: ٤) .

(٢) إنجيل مرقس (١٠: ٥) .

(٣) إنجيل مرقس (١٠: ٩) .

(٤) إنجيل لوقا (٢٠: ٢٨) .

(٥) الرِّسالة الأولى إلى كورنثوس (٧: ٣٩) .

ونحن نعتقد بأنه لا يملكُ حق النَّسخ إلا الله تعالى ورسله، وبولس قطعاً ليس منهم. فقوله مردودٌ عليه . لكننا نسردُ ما يقوله لأن النصارى يقدسونه ويقدسون كلامه . فمن فمكم نُدينكم . ونحن نعتقد أن الإنجيل الأصلي نسخ بعض الشرائع في التوراة . قال اللهُ تعالى مورداً قول المسيح: ﴿ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

إن التدرج في النسخ ، وأن الشريعةَ التالية تكتسب شرعيتها من نسخ الشريعة السابقة ، يقودنا إلى خاتمة الشَّرائعِ وهيَ شريعة سيدنا محمد شريعة الإسلام . فهل نسخت الشَّرائعَ السابقةَ ومحتها أم لا ؟ .

للإجابة على السؤال السالف ذكره _ والذي يتمنى كثيرٌ من أهل الكتاب لو كانت الإجابة بالنفي هروباً من الحق الأبلجِ _ علينا قبل أي شيء الإقرار بوجود النَّسخِ ، ثم نتبع الأدلة ، فلولا الدَّليلُ لقال من شاء ما شاء استناداً إلى رأيه الشخصي وهواه ونزعته .

إن شريعة محمد تميزت بأنها ناسخة لما قبلها بفضل القرآن الكريم ، فهو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ وبالتالي هو المرجعية والحكم فكل ما وافقه كان حقاً وكل ما خالفه كان باطلاً ، ولأن سيدنا محمداً أُوتيَ القرآن فشريعته ناسخة لما قبلها . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨]. قال ابنُ كثير في معنى قوله تعالى: ﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ ما نصه : ((فهو أمينٌ وشاهدٌ وحاكمٌ على كل كتاب قبله))[١] .

وقال اللهُ تعالى :﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ [النِّساء : ٨٠] . ويُفهَم من الآية السابقة أن الذي يعصِ الرسولَ فقد عصى الله تعالى ، لذلك فمن طاعة الرسول الخضوع لشريعته بكل حيثياتها . وبسبب وجود اختلاف وتحريف في الشرائع

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٦٦) .

السابقة نتيجة أيدي بشرية، كان القول الفصل لشريعة محمد[1] . وتأييداً للمعنى السابق صنف الإمام مُسلم[2] في صحيحه باباً سماه " باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته "[3] . وقد روى أحاديث عدة في هذا الباب نأخذ منها الحديث التالي : عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني[4] ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار))[5] .

وهناك حكم كثيرة جعلت شريعة سيدنا محمد ﷺ ناسخة، منها أنها شريعة عالمية. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]. أي أن سيدنا محمد بُعث إلى الإنس والجن وكان الرسل قبله يُبعثون إلى أقوامهم خاصة . وهذا المعنى يوضح علو رتبة شريعة محمد وتفوقها على الشرائع السابقة التي لا تصلح لكل زمانٍ ومكانٍ ، وإنما حملها أنبياء كرام لقومٍ معينين في زمن معين . في حين أن الشريعة

---

(١) لأنها صالحةٌ لكل زمانٍ ومكان وكل إنسيٍّ وجِنّي .

(٢) (٢٠٤ هـ _ ٨٠٨ م / ٢٦١ هـ _ ٨٦٥ م) . يُعتبر واحداً من أعظم أئمة الحديث الشريف في كل العصور . رحل في طلب علم الحديث إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وصنف كتباً كثيرة أشهرها (صحيح مسلم)، وقد قام الإمام النووي بشرحه . روى عنه كثير من العلماء منهم الإمام الترمذي . تأثر بشيخه البخاري في منهجه العلمي .

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٣٤) .

(٤) هذا لا ينحصر في اليهود والنصارى بل هو شامل لكل كافر مهما اختلفت ملته . وإنما ذُكر اليهود والنصارى لأنهم الأقرب إلى المسلمين من غيرهم ، حيث أنهم أهل كتاب رغم كل ما أصاب كتبهم من تحريف وتبديل . ولفظة الأمة ههنا تعني أهل الكتاب .

(٥) رواه مسلم (١/١٣٤) برقم (١٥٣) واللفظ له ، وأحمد (٢/ ٣١٧) برقم (٨١٨٨)، والطيالسي (١/ ٦٩) برقم (٥٠٩) ، وأبو نُعَيْم في الحلية (٤/ ٣٠٨) وقال : ((رواه ابن المبارك عن شعبة مثله ، ورواه أبو عوانة عن أبي بشر مثله)) .

المحمدية صالحة لكل زمانٍ ومكان. فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : ((وكانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناسِ عامة))[1] .

إن ظهور سيدنا محمد كالشمسِ التي غطت بتوهجها كل النجوم الأخرى. فمحمدٌ ﷺ ، وباقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نجومٌ . ولو وُجدوا لما وسعهم إلا أن يتبعوه . فالرِّسالةُ العامة تحوي على كل الرِّسالات الخاصة ، والشريعة الشاملة لكل الأمور تخضع لها كل الشرائعِ المؤقتة وغير الشاملة .

أوصلنا الحديثُ إلى أمر دقيق وسؤال هام ، هل نَسخت الشريعةُ المحمديةُ ما قبلها نسخاً كلياً أم جزئياً ؟ . هذه المسألة مُختَلَفٌ فيها ، وتتمحور حول مفهوم " شرع من قبلنا " ، وتحدث فيها كثير من أهل العلم ، لكننا سنلخص المسألة . فشريعتنا قد نسخت ما يُخالفها فقط ، أما إذا قص القرآن أو السنة الصحيحة علينا حكماً شرعياً سابقاً ، ولم يرد نص بنسخه فهو مُلزِم لنا ، ويجب علينا اتباعه . وهو قول جمهور الحنفية وبعض المالكية والشافعية[2] .

فلننتقل سريعاً إلى موقف الأناجيل من القضية السابقة، فمن الواضح للمتخصصين في الدراسات الإنجيلية أن الأناجيل تقر بأنها ستُنسَخ يوم قدوم الشريعة الخاتمة شريعة

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٢٨) برقم (٣٢٨) واللفظ له ، وأحمد (٣ / ٣٠٤) برقم (١٤٣٠٣) ، وابنُ حبان (١٤/ ٣٠٨) برقم (٦٣٩٨) ، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٣) برقم (٣١٦٤٢) ، وأبو نعيم (٨/ ٣١٦) .

(٢) لذا فعندما تراني أقول بنسخ الشرائع السابقة فهذا ضمنياً يعني نسخ ما يخالف شريعتنا فقط . إن مسألة النَّسخِ غاية في الدِّقة ، حتى النَّصارى يعتقدون بها من الجانب المقابل ، بمعنى أنهم يكتفون بما يعتقدون أنه رسالة سَيِّدنا المسيح ، ولا يهتمون بما جاء به سيدنا محمد رغم إيمان كثير من النصارى به كنبيٍّ ورسول ! .

محمد، وأن مكابرة بعض اللاهوتيين ليست في مكانها فالنصوص تعارِض وجهة الكنيسة واللاهوتيين ، ومن العار محاولة تطويع النصوص لتتأقلم مع انحرافات رجال الدين النصراني أينما وُجدوا .

ويطلع علينا نصٌّ غاية في الأهمية : ((إن كُنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي ، وسوف أَطلبُ من الآبِ أن يُعطيَكم مُعيناً[1]آخر يبقى معكم إلى الأبد))[2] . إن الكلمات السابقة والتي أوردها يوحنا ، تدل على أمور عديدة هامة، نُجملها في النقاط التالية :

١) إن المخلصين حقيقةً للمسيح هم الذين سيتبعون الْمُعين وهو سيدنا محمد الذي سيرسله الله تعالى .

٢) ((وسوف أطلب من الآب أن يعطيكم مُعيناً آخر)) تمثل دعاءَ نبي بأن يُرسل اللهُ تعالى نبياً آخر ليتمم ما مضى. ويشبه دعاءَ سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل أن يبعث اللهُ تعالى رسولاً . فتأمل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

٣) ومعنى ((يبقى معكم إلى الأبد)) ، أي أن شريعته خالدة وخاتمة لكل ما سبق ، فليست بعدها شريعة ، وهذا النبي (محمد) ليس بعده نبي ، وهذا الأمر واقع إلى قيام الساعة ، وفي العبارة دلالة واضحة على سيدنا محمد ﷺ .

---

(١) لفظة " الْمُعين " هي الترجمة للكلمة اليونانية " براكليتيس " ، وأيضاً تعنى " الْمُعزي " و " الشفيع " و " المحامي " . ويزعم النصارى أنها تشير إلى عمل الروح القدس لأجلهم [انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٢٦] . وهم واهمون أو يتصنعون التوهم ، فالروح القدس في الأصل اليوناني " بنيوما PENUMA " . وللتحايل وإخفاء الحقائق قام النصارى بتغيير كلمة معزي (مساعد COMFORTER) إلى كلمة وسيط (MEDIATOR) في الإنجيل باللغة الإفريقية ، وأقحموا فيها جملة الروح القدس، وهكذا يصنع النصارى كلماتِ الله . [انظر محمد الخليفة الطبيعي للمسيح ، ص٩٠و٩١] .

(٢) إنجيل يوحنا (١٤: ١٥و١٦) .

وأيضاً مما يدل على أن شريعتنا ناسخة وما قبلها منسوخ ، هذه الكلمات الهامة :
((وموسى هذا هو الذي قال لبني إسرائيل : سيبعثُ اللهُ لكم من بين إخوتكم نبياً مثلي))[1] . ويزعم النصارى أن هذه النبوءة متعلقة بسيدنا عيسى ﷺ ، ولكن كلامهم مردود ولا تقوم له قائمة ، فالمسيح ليس مثل موسى ، بل محمد مثل موسى ، وسأوردُ نقاطاً _ استفدتها من الشيخ أحمد ديدات _ تؤيد ما ذهبنا إليه :

١) إن محمداً وموسى وُلدا ولادة طبيعية ، أما المسيح وُلد بمعجزة مميزة .

٢) كان لمحمد والدان ، وكان لموسى والدان : ((وأخذ عمرام بوكابد عمته وزوجة له فولدت له هارون وموسى))[2] ، أما المسيح فله أم فقط .

٣) لقد تزوج محمد وموسى وأنجبا ذرية ، أما المسيح ظل أعزب طوال حياته .

إنها أدلةٌ دامغةٌ تجلو الشك والريبة من صدور أولئك المرتابين. ولكن في كل زمان ومكان سيظل هناك مكابرون همهم لا ظهور الحق بل الجدال بالباطل اتباعاً لأهوائهم ومصالحهم . إنهم أغلقوا قلوبهم وعقولهم وهاموا في الوديان على رؤوسهم ، فضلوا وأضلوا . فمن الطبيعي أن يرفضوا الحق ويُعادوه ، لكنني أكتبُ للفئة التي تُعمِل عقلها وفكرها سعياً إلى الوصول للحقيقة ، والله تعالى الهادي .

كان عندي تلميذٌ نصراني ، فقال لي يوماً إنه على الرغم من تمسكه بالنصرانية فهو يشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وسألني هل أكون بذلك مسلماً ؟ . فأجبته: لا. حيث أن النطق بالشهادتين معتقداً بها لا ينفع مع وجود النواقض مثل اعتقاد صلب المسيح أو ألوهية المسيح . وكثير من النصارى يؤمنون بأن الله واحدٌ ، لكن من منظور منحرفٍ مضاد لمفهوم التوحيد عند المسلمين . فهم يزعمون أن الله تعالى واحدٌ ذو ثلاثة أقانيم (الآب ، الابن ، الروح القدس) . تعالى الله علواً كبيراً .

---

(١) أعمال الرسل (٧: ٣٧) .

(٢) سفر الخروج (٦: ٢٠) .

وقد قرأتُ لعالم نصراني كلاماً مضحكاً حول هذا الموضوع، فقد ضرب مثلاً لهذه العقيدة الفاسدة فشبهها بالشعاع الواحد الذي يتخذ ثلاثة مسارات ! . وكأن التَّوحيدَ مسألة فيزياء متعلقة بانكسار الضوء والتشتت ! .

فالاعترافُ بِنُبُوَّةِ سيدنا محمدٍ ورسالته لا ينفع ما داموا يرفضون الشَّريعة المحمدية الإسلامية منهجاً لهم . لذلك كانَ عليَّ توضيح مفهوم النسخ ، وأن الذي لا يعتنق الإسلام فهو خالدٌ في النارِ ، وأن الإنسان غير المسلم هالكٌ لا محالة ، وأعماله مهما تميزت بالصلاح فهي لن تنفعه ولن تنجيه من الخلود في جهنم . نعوذ بالله تعالى من الخذلانِ .

***

يحتاج التخطيط إلى عقلية استشرافية ، تستطلع المستقبل بدقة ، وتضع أهم الركائز للتعامل معه وفق ما تقتضيه المصلحة . وأي عقلية _ كما هو معلوم _ قد تُستغل في الخير أو الشر . ولما كان اليهودُ على مر العصور قوماً أصحاب دهاء وعقلية كبيرة، كان من الطبيعي جداً أن يستخدموا نتاج فكرهم ورؤيتهم، ولكن كيف وأين ومتى ؟ . فلنحاول سبر أغوار العقلية اليهودية ، والتي تتضح من خلال ما تقدمه لنا مصادرُ التشريع الإسلامي والنصراني .

اليهودي كأي إنسانٍ آخر ، ليس له جيناتٌ خاصةٌ باليهودية ، فيتميز عن سائر المخلوقات. ولم يأت إلى الأرضِ مختوماً بطابع بريد يسمى اليهودية، فيتيه على المخلوقات زاعماً أنه من عنصر راقٍ متفوق .وإنما الأمر كله يتضح في حديث أبي هريرة ﷺ حيث كان يحدث قال النبي ﷺ : ((ما مِنْ مولودٍ إلا يُولَد على الفِطْرة فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ))[1] . وفيه إشارة إلى الاكتساب من المحيط ، وتأثير البيئة في صياغة شخصية الفرد وسلوكه ، ودور الوالدين والتربية في توجيه الطفل إلى اعتناق معتقدهما .

وأنا أرى أن اليهودي _ وحيداً_ لا يملك كليات التخطيط والتنفيذ لاقتراف أمر ما ، لكنه حينما يتواجد في بيئة مزدحمة بأبناء جلدته ، فإنهم سوف يوجهون مسارَه نحو أهدافهم[2] . وما قلته ينطبق على باقي العناصرِ البشريةِ ، ويتعداها ليشمل الحيوانات

---

(١) متفق عليه . البخاري (١ / ٤٥٦) برقم (١٢٩٢) ، ومسلم (٤ / ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨) .

(٢) والواقع التاريخي في فلسطين يعطيك صورةً حيةً . فقد كان اليهود في فلسطين خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين أقلية مبعثرة ، فلم يكن لهم فاعلية ، وحينما ازداد عددهم=

في الغابة ، لذلك رأينا القطيع كمجتمع متحرك ترأسه إدارة عليا .

وتوضح الآية التالية بدقة بليغة القدرة التخطيطية للإجرام في الذهنية اليهودية التي تغيب في ضلالها : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

قلتُ : ((لفظة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاءت بالمضارع وليس بالماضي ، فلم يقل الله تعالى وفريقاً قتلتم، لتنبيه السامع على محاولات اليهود المستقبلية لقتل النبي محمد ﷺ ، وسعيهم الدؤوب للتخلص منه ، وهذا يستلزم قدرة على حبك الخطط ورسمها بدقة لإزالته من طريقهم ، وهم بذلك يستندون إلى قدرات عقلية ودهاء . إذ أن الأغبياء عاجزون عن رسم المكائد وخطط التصفية الجسدية ، فنستدل على ذكاء اليهود وامتلاكهم تفكيراً واسعاً ، بيد أنهم _ وللأسف _ يستخدمونه في الشر)) .

وقد ذكر أهلُ السِّير قصةً تُنبئ عن بُنية التخطيط لدى اليهود. فقد روى ابنُ هشام عن عبد الله ابن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عوانة أن امرأة من العرب قدمت بجلب[1] لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[2] .

والشاهدُ في القضية هي أنْ عَمِدَ الصائغ إلى طرف ثوب المرأة فعقده إلى ظهرها بهدف

= جراء قدومهم من أنحاء العالم تساندوا سوياً ، وأسسوا العصابات مثل الهاجانا وغيرها ، وبدأوا التخطيط الإجرامي متكاتفين ، بعد أن جروا إليهم أولئك المترددين .

(١) ما يُجلبُ إلى السوق من بضاعة أو متاع بقصد البيع .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٤٧) ، وانظر السيرة الحلبية (٢/ ٤٧٥) .

أن تُكشَــف عورتها . فانظر كيف نبعت الفكرة الجهنمية في ذهن ذلك اليهودي، وقام بتــنفيذها بحــرفية على أرضِ الواقع. إذن ليس هؤلاء القوم أغبياء ، بل هم يُشَغِّلون عقولهم في أقصى طاقتها ، ولكنْ في الطريق الخاطئ .

وتراهم يُعَوِّلُون كثيراً على تصميم الحيل ، ونسجها بحيث تُصيب هدفها المرسوم من قبلهم . والأمر غير متوقف على مرحلةٍ زمنيةٍ معينة ، وإنما يظهر في كل مراحل وجودهم ، فالحاجةُ أم الاختراع . إنهم يحتاجون إلى فرض نمطهم وأهوائهم وانحرافاتهم، فيندفعون باذلين ما بوسعهم للوصول إلى طموحاتهم الشريرة . والعجيب أن الذي يبذلونه من مالٍ وجهدٍ وتفكيرٍ وتنفيذٍ للالتفافِ على الحق ومحاولة طمسه كافٍ لاشعال جذوةِ الحق في قلوبهم، لو وَجَّهُوا جهودهم في الطريق الإيجابي .

وتمتلأ كتب النصارى بعبارات عديدة عن محاولات اليهود وسعيهم وتصميمهم على القتلِ، وتسخير عقولهم في التحضير للإجرام ، وتجهيز التربة الخصبة لنمو الجريمة. ((فقد ماتَ الذين كانوا يسعون إلى قتله !))[1] . إنها عبارةٌ مؤلمة ، تبين درجة الخسة الــتي وصــلت إليهــا أصنافٌ من البشرِ محاولين قتل السيد المسيح ﷺ ، وكلمة ((يســعون)) جــاءت فعلاً مُضارعاً، وهي تكشف لنا جهداً حثيثاً متواصلاً مُحاطاً بالاســتمرارية ، وتُــبرز لنا اللهاث وراء شيء ما وهو القتل . والجري المحموم خلف القــتل يتطــلبُ خُططاً ومشروعات مبنية على المكر والخديعة ، لتضييق الخناق على هدفهم المنشودِ وإبعاده عن حياتهم ودُنياهم . ويتوالى الغليانُ المسعور في صورة مُخزية مؤلمــة تعكــس اللهاث وراء الجريمة والمؤامرات التي شكَّلت لها أرضيةً ترمي إلى إنهاءِ وإجهــاضِ الدعــوة الإســلامية التي قادها سيدنا المسيح ﷺ . إنها محاولاتٌ محمومةٌ مســعورةٌ لا مكــان لــلعقلِ فيها إلا بقدر ما يُقدِّم من حَبْكٍ ونسجٍ للخططِ الجهنمية البائسة ، وحياكة ثوب العار الذي سيظل ملتصقاً باليهودِ إلى أبد الآبدين نتيجة أفعالهم

(١) إنجيل مَتَّى (٢: ٢٠) .

القبيحة . ((ولكنَّ الفَرِّيسيين[1] خرجوا وتآمروا على يسوع ليقتلوه))[2].

إن الفَرِّيسيين وهم من أكابر علماء اليهودِ ! ، والذين يُفترض أن لديهم علماً بالكتاب والشريعة ، خرجوا وتآمروا على قتل يسوع . فإذا كان هؤلاء العلماءُ يتصرفون هكذا، فكيف سيتصرفُ زعماء العصابات والرُّعاع من بني إسرائيل ﷺ ؟!. وبدلاً من أن تُوَجَّهَ قلوب وعقول الفريسيين إلى الإيمان بتعاليم المسيح ﷺ ، وُجِّهَتْ إلى التآمر عليه ، واعتصار الأذهان لإيجاد طريقة ناجحة وفعالة لإزالته من عالمهم ، كي يتفرغوا للسيطرة على الشعب وإفساده ، واستغلاله واستعباده باسم الشريعة ، والقيام باستنزاف خيرات البلاد ، وكل هذا تحت غطاء لباس الأحبار والعلماء الأتقياء ! .

ويظهر نوعٌ جديدٌ من التآمر الخبيث ، ألا وهو التآمر الفكري الواضح فيما يلي : ((فذهب الفَرِّيسيون وتآمروا كيف يوقعونه بكلمة يقولها))[3]. إنه نوعٌ خاص يهدفُ إلى إفحام الخصم واصطياد ما يُظَنُّ أنها عثرات أو سقطات، وهذا غير وارد بسبب عصمة الأنبياء فيما يُبَلِّغُون عن الله تعالى ، وارتفاعهم عن مستوى النقد، فلا يُمكن الاستدراك على كلامهم . فالفَرِّيسيون يحاولون التقاط كلمة يُسجلونها كتهمة أو تجديفٍ ، وهمهم تشكيك الناس بالمسيح ، فهم ليسوا قادمين ليتعلموا الذي لا يعرفونه، بل لسلب الثقة في الحق الذي يسمعونه ، ويأبى اللهُ تعالى إلا أن ينصر أنبياءه ويثبتهم .

وإننا لنخلصُ إلى تكوين بنيوي يكشف النسقَ التفكيري لدى اليهودِ، واستخدامه في رؤية التخطيط ، وابتكار الأباطيل . فمحاولات الاستدراج واضحة جداً بوصفها

---

(١) الفَرِّيسيون والصَّدُّوقيون هما الصنفان الرئيسيَّان اللذان ينتمي إليهما زعماء اليهودِ وعلماؤهم، ويوجد فرقٌ بينهم : ((فإن الصَّدُّوقيين يُنكرون القيامة والملائكة والأرواح ، أما الفَرِّيسيُّون فيقرون بها كلها)) [أعمال الرُّسل (٢٣ : ٨)].

(٢) إنجيل مَتَّى (١٢: ١٤) .

(٣) إنجيل مَتَّى (٢٢: ١٥) .

أولى خطوات الامتصاصِ من أجل إفقاد الخصمِ الشرعية _ حسب ما ترمي إليه تركيبةُ المؤامرة في قلوب اليهود[١] . ((وسأله واحد منهم ، وهو من علماء الشريعة ، يحاول أن يستدرجه))[٢] . ((وهم يُراقبونه سعياً إلى اصطياده بكلام يقوله))[٣].

إنهم يحاولون استدراج نبي كريم معصومٍ ، واصطياده بكلام يقوله _ حسب تعبير لوقا _ . والمخيلة التي تعملُ لإنجاز العمل الاستدراجي ، لا بد أن تكون مخيلة فاسدة . فهي لا تسعى إلى الحقيقة ، بل إلى إخفائها ، وإلباسها ثوبَ البطلان . فكان أول خطوة هي الاستدراج ، لعجزهم عن المواجهة وتقديم حججهم وبراهينهم . فالشخصُ الخاوي من الْحُجَّةِ والبرهان والعلم، لا يقدر على المجابهة ، فتراه يُهرع إلى كلام خصمه ليفسره وفق هواه ، ويتأوله على مزاجه مستنداً إلى سوء نية مبيتة . وما ذاك إلا لخلوه من الحصيلة الإيمانية والعلمية .

ثم تأتي مرحلة إلقاء التهم دون وجه حق ، ورمي الافتراءات يمنةً ويسرةً .((فأخذ الكتبةُ والفَرِّيسيون يُراقبون يسوع : هل يشفي في السَّبتِ ، لكي يجدوا ما يتهمونه به))[٤] . وخطوة إلقاء التهم هي إعلان فشل خطة الاستدراج . فالاستدراج الباطل يمكن وصفه بعملية استباقية خفية نتائجها موجودة سلفاً ، يحددها صاحبها بما يتلاءم مع ميوله ووجهته . أما إلقاء التهم دون دليل فحرب علنية مكشوفة للعيانِ بُغية إحداث البلبلة والاضطراب داخل النفوس وخارجها في المجتمع .

ثم تجيء مرحلة التآمرِ لاجتثاث ما يريدون اجتثاثه نهائياً ، فهي الجريمة المتوجة لجهود الإجرام المتكرر في المراحل السابقة لها. ((وتآمروا ليقبضوا على يسوع بمكر

---

(١) نحن لا نعلم الغيبَ ، لكن الأفعال الظاهرية تعكس غالباً ما في القلب .

(٢) إنجيل مَتّى (٢٢: ٣٥) .

(٣) إنجيل لوقا (١١: ٥٤) .

(٤) إنجيل لوقا (٦: ٧) .

ويقتلوه))[1] . ((ولما طلع الصباحُ، عقد رؤساءُ الكهنة وشيوخُ الشعب اجتماعاً آخر، وتآمروا على يسوع لِيُنْزِلُوا به عقوبةَ الموت))[2] . إذن فالتآمر عملية متقدمة تستند على أرضية تسبقها . فأي مؤامرة تحتاج قاعدةً تكون مرتكزاً ، ويلزمها دعماً لوجستياً ، أي دعماً يقوم به أشخاص على الأرضِ لتهيئة الظروف والمناخ الملائم ، ويكون عندهم دفة التوجيه والمساندة ، المؤثرة في التنفيذ اللاحق . لذلك بدأ العمل الفعلي يتأجج واقعاً مُعاشاً . والنصوص التالية تبين ذلك : ((وفي الحال خرج الفَرِّيسيون من المجمع، ومعهم مُحازِبو هيرودس، وتآمروا عليه ليقتلوه))[3] .

إن خروجهم من المجمع ومعهم مُحازبو هيرودس ، أي الذين تحزبوا والتفوا حول قيادته، يشكل بدء اقتراب ساعة الصفر كما ينظرون إليها . وإنها لتطبيقٌ واقعي عملي، نقل معركتهم ضد الحق إلى أرضِ الواقع ، لاتخاذ إجراءاتِ ملموسة. ذاك أن الفكر لا يُلمَس ، وإنما يقود إلى مادة ملموسة . وكإجراء رسمي جاء مرسوم علية القوم الذي ينص على أمور تنال سيدنا المسيح ﷺ : ((وكان رؤساءُ الكهنة والفَرِّيسيون قد أصدروا أمراً بأن على كل من يجد يسوع أن يُبَلِّغَ عنه لِيُلْقُوا القبضَ عليه))[4] .

إنه مسلسل من الأحداث المرسومة بدقة ، يستهدف النيلَ من نبي كريم. ولم تكن أفعالهم الشريرة نتاج عشوائية ، أو أفعال أناس رُعاعٍ. بل التنظيم الدقيق الصادر عن قمة هرم السُّلطةِ ، وأصحاب القرار الذين يملكون الإمكانياتِ الهائلة ، من عسكرٍ ومال ... إلخ. والمجرمُ عندما يكون ذكياً يكون خطره مُذهلاً ، وذا تأثير بالغ من شأنه إعاقة مسيرة الخير، ولكن الخير مستمر رغم أنف المعارضين . فليس بوسع غيمات

---

(١) إنجيل مَتَّى (٢٦ : ٤) .

(٢) إنجيل مَتَّى (٢٧ : ١) .

(٣) إنجيل مرقس (٣: ٦) .

(٤) إنجيل يوحنا (١١: ٥٧) .

الريبة والتشويش أن تتغلب على شمسِ الحقيقة الساطعة . ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصَّف : ٨] .

ولأن بعض علماء النصارى وأخص بالذكر المستشرقين لم يستوعبوا ما حصل، أو أنهم يتغافلون عما حصل ، خوفاً من غضب سادة العالم الجديد اليهود ، تراهم ينتحلون ويتبنون خطط محاربة المسيح التي أسسها بنو إسرائيل ، فيستخدمونها لمحاربة دعوة الحق التي جاء بها سيدنا محمد رسول الله تعالى. وكأن التاريخ بالفعل يُعيد نفسه. فكما أن اليهود أنكروا المسيح ، وشككوا فيه : ((وكانوا يَشُكُّون فيه))[1] ، جاء أحد المستشرقين المعروفين وهو شبرنجر ، وشَكَّكَ في اسم النبي محمد ﷺ ، وزعم أن لفظة(محمد) لم تكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرة ، وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى ! .

وقد رد عليه الدكتور عماد الدِّين خليل : ((وقد يتوجب أن نسأل شبرنجر هنا: إذا كان النبي ﷺ قد التقط اسم (محمد) من خلال قراءاته لنبوءات الإنجيل فأين ذهب إذاً (محمد) الحقيقي الذي بَشَّرَ به العهدان القديم والجديد))[2] .

فحريٌّ بعلماء النَّصارى أن يرفضوا خطط اليهود الشريرة لا أن يروجوها ، ويعيدوا إنتاجها بأسلوب عصري . إنهم ذموا أفعال اليهود تجاه السـيد المسيح ، فكيف يعيدون تبني هذه الأفعال ، ويحملونها عقيدةً في محاربة دعوة الإسلام ؟ .

وصناعةُ المؤامرات مهنةٌ يتفوق فيها اليهود . فقد أخرج ابنُ إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر قالا : ((خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى بني النضيرِ[3] يستعينهم على دِيَةِ العَامِرِيَّيْنِ اللذين قتلهما عمرو بن أمية

---

(١) إنجيل مَتَّى (١٣: ٥٧) .

(٢) المستشرقون والسيرة النبوية ، عماد الدين خليل ، ص ١٣١ .

(٣) من يهود المدينة ويشكلون مع بني قُريظة وبني قينقاع ، مثلث الإرهاب اليهودي في المدينة .

الضمري فلما جاءهم خلا بعضهم ببعض فقالوا : ((إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فَمُروا رجلاً يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه)). فقال عمر بن جحاش بن كعب[1] : ((أنا)) . فأتى النبي ﷺ الخبر، فانصرف . فأنزل الله فيهم وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾[المائدة: ١١]))[2] .

فالهوسُ الممتزجُ بتحقيق الهدف الآثمِ، قادهم إلى فكرة رمي صخرةٍ على النبي ﷺ . وانظر إلى كيفية تنسيق الإثمِ ، وتحضيره بدقة وحرفية . إذن ، نحن أمام رسامي خططٍ من الطراز الإجرامي الأولِ . وحَبْكُ خيوطِ التآمر _ نزولاً عند رأي جماعة العقل الجمعي[3] المدبِّر _ من أهم أساسات العمل الصامتِ . ومن يعمل في الصمتِ أقدر على إنجاز أفعاله الخفية . وتبادلُ الأدوارِ وتوزعها بين المخططين والمنفذين ، يدل بما لا يدع مجالاً للشكِ على اتساق مرعب ، وتنظيم دقيق ، يتخذ من التروي والتحليل ودراسة المقدمات والنتائجِ منهج عمل .

ليس العمل عشوائياً أو فردياً _ مثلما يزعم البعضُ _ ، ولكنه ثمرة أفكار شيطانية وأفعال تضارع أفعال الأبالسةِ . وهناك من البشرِ من أهم أكثر شراً من إبليس . فعلينا أن نرفض الشياطين ، ونحارب ما يقومون به ، خصوصاً شياطين الإنسِ ، الذين

---

(١) عمر بن جحاش النضري ، رجل من بني النضير، لم يُعرف عنه إلا حقده الشديد على الإسلام والرسول والمسلمين . وكونه تطوع لإلقاء الصخرة ينم عن طبيعته الإجرامية القاسية .

(٢) الدر المنثور ، السيوطي ، (٣/ ٣٦) .

(٣) العقل الجمعي: التصرف كعقل واحد. وهذا لا يحدث إلا داخل مجتمع أو جماعة متحدة على هدف واحد ، وتسعى إلى تحقيقه ، ولو اختلف الأسلوب فهذا لا يلغي العقل الجمعي . فوحدة الهدف كافية لأن يتصرف الناس كعقل جمعي . وتبرز هذه الخاصية أكثر من أي موضع آخر عند حصول تهديد حقيقي .

يسيرون بيننا ، وقد يبتسمون في وجوهنا ، ويُخفون ناراً مجنونة في دواخلهم ، هدفها ليس تدميرنا نحن البشر العاديين ، وإنما إجهاضِ الدعوة الإسلامية التي جاء بها كل الأنبياء عليهم السَّلام . ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

ومن المضحك أن يأتِيَ أحد كبار المستشرقين (إسرائيل ولفنسون) والذي يُفترض أن لديه عقلاً ، فيدعيَ بأن محاولة يهود بني النضير اغتيال رسول الله ﷺ ما هي إلا من كذب المؤرخين العرب[١] . ومثل هذا القول الذي يتهاوى أمام ما قدمناه من أدلة دامغة ، يُعَرِّي حقيقة تعصبه الأعمى وتعاطفه غير المبصر مع اليهودِ . فعار على قطيع المستشرقين الذين رموا المنهج العلمي في البحث وراء ظهورهم ، أن يصلوا إلى هذه المترلة من نفي الحقائقِ بدون أدنى دليلٍ .

ولكن يبدو أن كثيراً من أساتذة الجامعات الغربية ، والعلماء الغربيين لم يجدوا في المنهج العلمي حاجتهم المتمثلة في الطعن بدعوة الحقِ ، فراحوا يحللون النصوص ويدرسون العلوم بعقليةِ بائع الخضراوات الأمي ، الذي لم يسمع بشيء يُدعى الموضوعية أو البحث العلمي الدقيق .

إنها شبكةٌ من التخطيطِ الإجرامي العابر للقارات والكتب والأبحاثِ . وقد قال غوغنو ده موسو في كتابه (اليهودي واليهودية وتهويد الشعوب المسيحية) ما يشير إلى ما ذهبنا إليه ، فقال بالحرف الواحد : ((لقد وُجد دوماً عند اليهود ، منذ تشتيتهم حتى اليوم، مركز قيادة وتوجيه بين أيدي أمراء خفيين خلفوا بعضهم بعضاً بكل انتظام. وهكذا فإن الأمة اليهودية كانت دائماً مُسَيَّرة كجمعية سرية هائلة تعطي بدورها الاندفاع للجمعياتِ السرية الأخرى)) .

---

(١) المستشرقون والسيرة النبوية ، عماد الدين خليل ، ص ١٣١ .

ومن الكتب التي فضحت خططهم الإجرامية ومؤامراهم، والتي ذكرها إميل الخوري حرب في كتابه " مؤامرة اليهود على المسيحية " الصادر عن دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٧م :

١) مذكرة في تاريخ الجاكو بينيسم ، بقلم بارويل ، لندن ١٧٩٦م .

٢) الكنيسة الرومانية أمام الثورة ، بقلم كرتينو جولي ، باريس ١٨٦٣م .

٣) الجمعيات السرية والمجتمع ، بقلم ديشان ، باريس ١٨٨٣م .

٤) مسألة اليهود في ألمانيا ، بقلم فالبر، ١٨٨٠م .

والقرآن العظيم رد بشدة على الإرهاب اليهودي (إرهاب بني إسرائيل) خصوصاً في تبديل نعم الله تعالى . فالأنبياء نعمة فقاموا بقتلهم ، والتوراة نعمة فحرفوها ، والمرأة نعمة فحولوها إلى بغيٍّ، والعقل نعمة إلا أهم استعملوه في التخطيط لاقتراف الخطايا والجريمة المنظمة. قال تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ٢١١] .

وأُعجبوا بفسادهم الكريه ، واعتمدوه منهاجاً ، وعتوا وتجبروا وعَلَوْا في الأرض بغير الحق . قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ [الإسراء : ٤] . وفساد اليهود وإفسادهم للآخرين ليس له نهاية . أما المرتان الموضحتان في الآية الشريفة فهما قمتا الفساد، وأكثرهما غطرسة ، والله تعالى أجل وأعلم .

وبسبب كل هذه الخصال السيئة فيهم أصابهم العذاب الإلهي . قال أسامة ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((الطاعونُ رِجْزٌ أو عذابٌ أُرْسِلَ على بني إسرائيلَ))[1] . ما أعدلَك يا إلهي ! ، إنك تُمهِل ولا تُهمِل . جاء انتقامك وعقوبتك عادلةً بسبب ما اقترفوه من

---

(١) رواه مسلم (٤ / ١٧٣٧) برقم (٢٢١٨) واللفظ له ، وابن حبان (٧/ ٢١٧) برقم (٢٩٥٢) ، ومالك (٢/ ٨٩٦) برقم (١٥٨٨) .

خطايا مقصودة وآثام مبرمجة رافضين الرجوع إليك ، ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التّغابن : ٥] .

***

لا نكون ظالمين إذا قلنا إن مهنةَ اليهود قتلُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلم يعرف التاريخ فئةً متخصصةً في قتلِ المبعوثين من قبلِ الله تعالى كاليهودِ . إنهم محترفون في هذه الصنعة الكفرية التي تُرسل صاحبها إلى جهنم خالداً فيها، والعياذ بالله تعالى .

الاضطهاد نموذجٌ قبيحٌ وتنفيذ فوري لأفكارٍ شريرةٍ هادفة إلى خنقِ الدعوة ووأدها في مهدها. إنه يتخذ منهج التضييقِ النفسي ممثلاً بإغلاق الطرق أمام الداعية، والتضييق الجسدي الممثل بالتصفية الجسدية العمياء دون وجه حق . إنه حصارٌ في أكثر صوره شراسةً وعذاباً وهمجيةً . وهذا يؤدي إلى تضييق الأرضِ بما رَحبت ، حتى يُصاب الداعية بالإحباط والضعفِ ، مما يجعله يتخلى عن هدفه ، وينسحبُ من برنامجه الدعوي ، هكذا دونما نتيجة ملموسة .

ولكن الأنبياء مؤيدون بالوحي ، ومحفوظون بأمر مُرسلهم تعالى. فهم _ رغم ما قد يحدث لهم _ لا يُهزمون البتة . قد يشعرون بالألم ، لكنهم لا ينكسرون. قد يُصابون بالمرضِ والإعياء، لكنهم لا يسقطون. قد يُصابون في المعركة ، لكنهم ليس لديهم راية استسلام يرفعونها . ومثل هذه المزايا ما كانوا ليحصلوا عليها لولا العظمة الإلهية التي تتولاهم وتعتني بهم ، وترعاهم في كل الأمور ، صغيرها وكبيرها . فإن لاحظتك عنايةُ الله تعالى فالوقتُ صافٍ والزمان أمان . لا قلق ولا اضطراب. ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾[الإسراء: ٧٤] .

قال القرطبي في تفسيره (١٠/٣٠٠) : ((وقيل : ما كان منه هَمٌّ بالركون إليهم بل المعنى : ولولا فضل الله عليك لكان منك ميل إلى موافقتهم ولكن تم فضل الله عليك فلم تفعل، ذكره القشيري . وقال سيدنا ابن عباس : كان رسول الله ﷺ معصوماً ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من

أحكام الله تعالى وشرائعه))[1] .

وفيه دليل على وجوب الثبات على العقيدة الإسلامية وعدم إدخال المجاملات فيها، أو موافقة الكافرين . بل من الواجب مخالفتهم في كل شيء ، في صغير الأمور وكبيرها ، دقها وجلها ، تفاصيلها ومجملها .

فعن سيدنا أبي هريرة ﷺ قال إن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اليهودَ والنَّصارى لا يَصْبغون فخالفوهم))[2] . والأمر غير مقصورٍ على الصبغ بل يُستفاد من الحديث مخالفة اليهود والنصارى وغير المسلمين في كل عاداتهم ، فكل عادة يقوم بها غير المسلمين تُقاسُ على الصبغ، إلا إذا ورد نص شرعي يقرها فعلينا ساعتئذ أن نمتثل، ونعتبر العادة ضمن منظومتنا الدينية .

والأنبياء حين يُقتَلون فهذا لا يعني البتة أن الله تعالى تخلى عنهم أو تركهم . بل إنها عملية رفع مقامات لهم ، فالمعاناة والألم في طريق الدعوة يرفعان مقام العبد . ويريد الخالق تعالى أن يعلمنا أن سادة البشر تعرضوا لبالغ الأذى ، فما بالكم أنتم معشر الأتباع والمؤمنين . ولا يحسب القتلة أنهم هربوا بفعلتهم دونما حساب بل خسروا الدارين. ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[محمد: ٤].

((اعلم أن من القواعد القطعية في العقائد الشرعية أن قتل الأنبياء أو طعنهم في الأشياء كفر بإجماع العلماء فمن قتل نبياً أو قتله نبي فهو أشقى الأشقياء))[3] .

وإذا فهمتَ ما قلته حول رعاية الله تعالى لحملةِ رسالته من الأنبياء والرسل عرفتَ

---

(١) تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية _ الطبعة الثالثة ، تحقيق : أحمد البردوني .

(٢) متفق عليه . البخاري (٣ / ١٢٧٥) برقم (٣٢٧٥) ، ومسلم (٣ / ١٦٦٣) برقم (٢١٠٣) .

(٣) حاشية ابن عابدين ، محمد أمين ، (٧/ ١٦٢) .

الترهات المتخابطة في النص الإنجيلي المتهاوي أمام نور الحقيقة : ((وفي الساعة الثالثة، صرخ يسوعُ بصوت عظيم: ((أَلُوِي أَلُوِي ، لما شبقتني ؟)) أي : ((إلهي إلهي ، لماذا تركتني ؟))))[1] .

نَصٌّ مصادمٌ للعقلِ ، وللحقيقة الناصعة . وفيه إساءة إلى الخالق والنبيين . إذْ يزعم أن الله تعالى يتخلى عن مبعوثيه . كما أنه ينسب سوء أدب في الخطاب إلى نبي معصوم هو عالم وعارف بالسنن الإلهية التي لا تتبدل ، وعلمه يقوده إلى اليقين التام والحقيقة الحتمية اللازمة أن المرسِلَ لا يترك المرسَل . وأن المعبود تعالى لن يتخلى عن خيرة خلقه من النبيين والرسل لا في الدنيا ولا في الآخرةِ . وانظر إلى الحق القرآني الذي يجلو ضبابَ نصوص الأناجيل . فالآية التالية التي يوجه الله تعالى خطابَه لسيدنا موسى وسيدنا هارون : ﴿ قَالَ لا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] . فعِلْمُهما وثقتهما المطلقة بمرسلهما جعلاهما لا يقولان لماذا تتركنا نواجه هذا المصير؟ أو لماذا تلقينا إلى الهلاك ؟. والمرسِل العظيم تعالى طمأنهما بأنه معهما يسمع ويرى ويُدافع عنهما وعن المؤمنين . موقف غاية في التدليس الذي يخترعه مرقس ، وربما كان يرمي من وراء ذلك إلى تصوير مأساة خيالية تتكامل فيها عناصر تراجيدية وهمية مُستقاة من الوهم الذهني يُحاول أن يعمل لها إسقاطات على قصة المسيح ﷺ .

والكفر هو الخلفية الفكرية لقتل الأنبياء . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [البقرة : ٦١] . فالكافر قد خسر كل شيء، فالقتل عنده تحصيل حاصل ، وقد غرق في فساده ، وأبى الإيمان ، فاستمر في غيه . إن الغريق الذي لا يُبالي بوجود طوق النجاة أو عدمه ، سوف يوغل في استكباره ، لدرجة أنه لو رأى شخصاً ماراً لمنعته نفسه من طلب المساعدة اعتداداً أحمق بهذه النفس المتكبرة المتغطرسة . وليس بعد الكفر ذنب . إن الأداء الإرهابي اليهودي

---

(١) إنجيل مرقس (١٥: ٣٤) .

حقيقة وليس دعاية مغرضة _ كما يتصور البعض _ . وإن كان تاريخك مظلماً وغارقاً في الإجرام ، فما ذنب المؤرخين الذين يسعون إلى تحليل النسق التاريخي ؟ . إنكَ حاصرتَ نفسك أيها التاريخ اليهودي بسبب أفعالك الظالمة . ويستمر الرفض لهذه الأفعال ، وفضحها على الملأ . ((فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياءَ من قبلكم !))[1] .

إنه خطاب فاضح موجه إلى الملأ ، ليتم بناء التحذير والحيطة تجاه هذه النوعية من البشر . هو أمر لا يُعالَج في الخفاء ، بل علانية . فالنصائح رُفضتْ واستُهزئ بأصحابها، فلا بد من خطاب حازم حاسم يضع الأمور في نصابها السليم .

لذلك وَجَّهَ مَتَّى خطاباً شديداً لمعشر يهود فضحهم أيما فضيحة وزلزل كيانهم بقوة: ((أيها الحياتُ ، أولادَ الأفاعي ! كيف تُفلتون من عقاب جهنم ؟ لذلك : ها أنا أُرسِل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين ، فبعضهم تقتلون وتصلبون ، وبعضهم تجلدون في مجامعكم ، وتطاردونهم من مدينة إلى أخرى . وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض : من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين محراب الهيكل والمذبح))[2] . [نُسب هذا الكلام للمسيح ، والحقيقة أنه ليس كذلك . فالمسيح عبد الله ورسوله ولا يملك أن يُرسِل الأنبياء، لأن مُرسلهم هو الله تعالى ، لكن مَتَّى حاول عبثاً تأليه المسيح ﷺ] .

يا له من كلام موجع ، ولكنهم يستحقونه . فهم لم يكتفوا بالقتل ومقدماته ، بل نَوَّعوا أساليبه . فهناك قتلٌ وهناك صَلْبٌ . ولستُ أدري هل اخترعوا طرقاً أخرى أم لا ؟. ونَوَّعوا أيضاً في أساليب محاولات القتل، من الجلد إلى المطاردة . وقد حَمَّلهم النص مسؤولية كل دم زكي سُفك على الأرض . إلا أننا كمسلمين نُعامِل الناس بالعدل سواء كانوا أصدقاء أم أعداء . وبالتالي لا نُحمِّل اليهود مسؤولية كل الجرائم

---

(١) إنجيل مَتَّى (٥ : ١٢) .

(٢) إنجيل مَتَّى (٢٣ : ٣٣_ ٣٦) .

التي ارتُكبت على الأرض ، بل كل إنسان يتحمل مسؤوليته ومسؤولية رعيته قال تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء : ١٥] . أي لا تؤخَذ نفسٌ بذنب غيرها ، بيد أن هناك من يحمل إثمه وإثم رعيته إذا سَهَّل لهم ارتكاب المعصية وغشهم وأفسدهم ، ولم يرع حق الله تعالى فيهم .

وروى أبو داود الطيالسي بسنده حديثاً موقوفاً على ابن مسعود ﷺ أنه قال : ((كانت بنو إسرائيلَ في اليوم تَقتل ثلاثَ مئة نَبيٍّ ، ثم يُقيمون سوق بَقْلهم من آخرِ النهار))[1] . وهذه منتهى وقاحة الكفر ، فكأن شيئاً لم يكن ، أو أن القتل صار روتينياً بحيث لم يعد يستحق أي التفات . اعتيادية الجريمة وغرور أصحابها وقسوتهم اللانهائية .

ويأتي الإنذار شديد اللهجة لعل القلوب الحجرية ترق : ((يا أُورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلةَ الأنبياء وراجمة المرسلين إليها !))[2] . والمقصود بالنداء هم أهل أورشليم من اليهود ، فالمدينة _ كما هو معلوم _ جماد لا تقوم بالقتل ، وبما أن أورشليم هي مكان تجمع اليهود ومستقرهم أو سبب اجتماعهم تم النداءعليها ، والتعبير عنهم بها . وهذا الأسلوب متداول في شتى اللغات، وهو شبيه باللغة القرآنية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسُف : ٨٢] ، أي اسأل أهل القرية ، وحُذفت أهل للبلاغة ، كما أن ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية .

فمن كثرة ما اقترفه اليهود من قتل صُبغت أُورشليم بوصمة القتل . فالمشهد الظاهر من خلال السياق يريد تصوير المدينة كاملةً وكأنها غارقة إلى شحمة أذنيها في الإبادة والجريمة ، فالسكان المحليون شوهوا سمعة مدينتهم بسلوكهم الشاذ عن مسار

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٣) . وانظر الدر المنثور (١/ ١٧٨) .

(٢) إنجيل متَّى (٢٣ : ٣٧) .

الإنسانية والحضارة. فلو قيل لشخص ما أول ما يتبادر إلى ذهنك عند ذكر أورشليم ؟ فسيقول : القتل ! .

والغريب في الأمر أنهم يشهدون على أنفسهم دون خجل أو حياء أو أدنى شعور بالذنب . ((الويل لكم ، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . فأنتم إذن تشهدون موافقين على أعمال آبائكم : فهم قتلوا الأنبياء ، وأنتم تبنون قبورهم))[1] .

إنه نَصٌّ مليء بالإشارات والدلالات . إنهم يبنون القبور ويزخرفونها ويجمِّلونها، فالظاهر جمال وزخرفة وأناقة ، في حين أن دواخلهم كفر وحقد وظلمات. فهم يكرهون الأنبياء ولكنهم يسعون إلى المظهر الاجتماعي البراق والمكانة العالية ، حيث يظنون أن الزخارف والفنون المعمارية ستُخفي حقدهم المتفجر .

وعن عائشة وابن عباس _ رضي الله عنهم _ قالا قال رسول الله ﷺ : ((لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ))[2] . يا لها من محاولة يائسة لليهود لتجميل أعمالهم القبيحة وصبغها بصبغة الجمال والمحبة ! ، والأدهى من هذا أن النصارى تبعوهم في ضلالهم الواضح كلمعان سيوف القاتلين على رقاب الأنبياء عليهم السلام ، رغم معرفتهم بالكوارث التي ارتكبوها. ولن أُسَمِّيَ الأمر إلا عمىً مزدوجاً !.

وتأتِي الشهادةُ على أنفسهم ، فمن فمهم نُدينهم ، لا سيما وأن الاعتراف سيد الأدلة . فعلى الرغم من كل محاولات التدليس والظهور بمظهر الأتقياء إلا أنهم وقعوا في الحفر التي كانوا يحفرونها لوأد الحقيقة ، وفضحوا أنفسهم بأنفسهم . قال تعالى: ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

---

(١) إنجيل لوقا (١١: ٤٧و٤٨) .

(٢) متفق عليه . البخاري (٣ / ١٢٧٣) برقم (٣٢٦٧) ، ومسلم (١/ ٣٧٧) برقم (٥٣١) .

وبدلاً من أن يتبرؤوا من أفعال آبائهم ، تراهم موافقين لهم سعيدين بما حصل ، ولو رجع الزمان لقاموا بنفس الفعلة، دون أي تردد . ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨]. والموافقة على الفعل بمثابة الاشتراك فيه . وإننا لنسمع رجال القانون يقولون : ((المتستر على المجرم شريك في الجريمة)) . فإذا كان وضع المتستر هكذا ، فما بالك بالموافِق والمؤيِّد والداعم ؟! . وتجيء المفارقة بكل ما تحمله من مأساة ((فهم قتلوا الأنبياء ، وأنتم تبنون قبورهم)) . مفارقة من نوع خاص جداً ، تضم في طياقا غدر البشر وسخريتهم وعيشهم في حضيض اللامبالاة . وكأن قتل نبيٍّ مسألة عادية مثل تناول الغَداء أو الذهاب في رحلة .

قال ابن عباس ــ رضي الله تعالى عنهما ــ : ((اشتد غضبُ الله على من قتله نبيٌّ واشتد غضب الله على من دَمَى وجهَ رسولِ الله ﷺ))[1] . فإذا كان من يُدمي وجه نبي هكذا حاله ، فما بالك بمن يُقدِم على قتله ؟! . نعوذ بالله ربنا تعالى من الخذلان .

وتنطلق الشكوى إلى الخالق تعالى على لسان إيليًا : ((يا رب ! قتلوا أنبياءك ، وهَدَموا مذابحك ، وبقيتُ أنا وحدي ، وهم يسعون إلى قتلي !))[2] . تالله لقد أفسدوا في الأرض ، وعاثوا فيها فساداً حَفَرَ تاريخهم الملطخ بالعار . وهذه العبارة المذكورة في " الرسالة إلى روما " تحمل تنبيهاً لأهل روما ، وإرشاداً لهم حول طبيعة دور اليهود في محاربة الأنبياء عليهم السلام ، حتى يأخذوا الحيطة والحذر ، ولا يقعوا في براثن دعايات اليهود الإعلامية ، والفقاعات الإعلانية ، وطمسهم للحقائق التي ستلاحقهم من عصر إلى عصر . تنبيه وضوء أحمر من أجل معرفة التاريخ ، وعدم الوقوع ضحية التزوير التاريخي ، فهذا العصر ضحية عملية نصب واحتيال مدعمة

---

(١) رواه البخاري موقوفاً (٤/ ١٤٩٦) برقم (٣٨٤٨) ، وروى ابن حبان الجزء الثاني من الحديث مرفوعاً (١٥/ ٤٣٦) برقم (٦٩٧٩) .

(٢) الرسالة إلى روما (١١ : ٣) .

بغسيل دماغ على نطاق كبير وجنوني ، ولا يسقط فيها إلا العُميان .

وفي الواقع إن اليهود لا يكرهون الأنبياء فحسب ، بل ويكرهون المؤمنين في كل عصر . قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : ٨٢] . الكراهية عند هؤلاء القوم عقيدة لا محيد عنها . ولا أجد أفضل من الكلام الإلهي للرد عليهم وتوبيخهم وعقابهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١] . ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [المائدة : ٣٢] .

يتضح لنا الممارسات الدونية الخسيسة لبني إسرائيل الذين يعتنقون القتل منهج حياة ، ويستمرون في صلفهم وإثمهم . فالأنبياء الذين أُرسلوا بالإسلام والأخلاق يتم معاملتهم باحتقار وازدراء ، ويتم قتلهم بدم بارد في كل الأوقات ، دون الالتفات إلى الشريعة أو القيم الإنسانية . ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠] .

***

تاريخ أَسود

يمثل التاريخُ الامتدادَ الإنساني ومعنى سلالة الشخص والخلفية التي جاء منها ، والغطاء المحتوي لأصله ووجوده . وتكمن أهميته في قدرته على تشكيل ذهنية الطمأنينة لدى الفرد ، فمن لا يملك تاريخاً يشعر بالنقص ، وحاله مثل كومة أعشاب طافية على سطح الماء ليس لها جذور . وعلى الرغم من كثرة المحاولات لتكوين رؤية موجهة للتاريخ تخدم بعض الفئات عن طريق طمس الحقيقة ، وإحلال الأكاذيب مكانها ، إلا أن التاريخ ما زال يشكل صورة ذات مصداقية ، فعوامل البحث والتمحيص والفحص التي تأتي من المؤرخين المبصرين الأكفياء تغربل أحداث التاريخ ، وبالتالي فإن التاريخ يعيد بناء نفسه عن طريق إلقاء الخرافات من جوفه ، لكن الأمر يحتاج إلى مبصرٍ ومنصِف كي يحس بما أقول .

والجماعات اليهودية الموجودة حالياً لا ترقى لأن تكون شعباً ، فالشعب بُنية متجانسة ذات هوية واضحة غير ملتبسة تتأسس في وطن حقيقي . والمقصود بالوطن الحقيقي هو امتلاك السيادة دون الاعتداء على أحد . وما نراه اليوم نقيض الشعب ، حيث يظهر المال والنفوذ كهوية ، وتحل سرقة بلاد الآخرين محل الوطن ، ويصير التاريخُ سكيناً حادة على رقاب حامليه ، وعبئاً ثقيلاً على ظهور رافعيه ، بدلاً من أن يكون امتداداً راقياً للوجود البشري . فصار التاريخ يستدعي الخجل والشعور بالدونية، وهكذا فُقد أحد أهم العناصر في المكوِّن الوجودي للفرد .

والواقع أن كل الأحداث هي تاريخية الطابع ، فالتاريخ وعاء مرن يتسع لكل ما يجري . لكنني سأقتصر هنا على ذكر أبرز ملامح الخلفية الزمنية المغرقة في الضلال بالنسبة لليهود . وتكاد تكون قصة البقرة التي أمرهم الله تعالى بذبحها ملخصاً شاملاً غير ناقص عن بنائية طبيعة العقلية اليهودية ، وتاريخاً أسود يمثل مراحل ضلالهم مرحلة

مرحلة .

المرحلة الأولى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة : ٦٧] . تكشف لنا المرحلةُ الأولى الأمر الإلهي المقدَّس الذي نقله سيدنا موسى ﷺ لبني إسرائيل ﷺ ، وهو أمر بأن يذبحوا بقرة ، ولم يتم تحديده بدايةً لترك المجال لهم على اتساعه ، فكان الرد وقحاً حيث اعتقدوا _ وبئس ما اعتقدوا _ أن سيدنا موسى يستهزئ بهم ، وهو الرَّسول العظيم المعصوم من أولي العزم . امتص رعونتهم واستعاذ بالله تعالى من أن يكون جاهلاً بالشريعة مفترياً على الخالق تعالى .

يظهر لنا من طبائعهم عدم أخذهم الأوامر الإلهية بجدية وحماس ، والتهور بإطلاق أسئلة حمقاء لا معنى لها ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً ﴾ ؟ . ولو أنهم أخذوا أي بقرة وذبحوها لانتهت القضية ، لكنهم عقَّدوا القضية ، وغلَّفوها بثوب الاستهزاء والغباء والتعقيد .

المرحلة الثانية : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة : ٦٨] . بدأوا بطلب تفصيلات حول الموضوع ، وطلبوا أن يدعوا سيدنا موسى ﷺ ، ولم يقوموا هم بالدعاء لأن نبيهم معهم وهو الأقرب إلى الله تعالى ، وهو الممثل للشريعة الإلهية على الأرض ، وهذا مفهوم . أما الذي لا يُفهم فقولهم ﴿ رَبَّكَ ﴾ ولم يقولوا ((ربنا)) ، مما يدل على بعدهم عن ملكوت الله تعالى ورحمته ، وعدم دخول الإيمان إلى قلوبهم . فهم يضيعون وقتاً لا أكثر ، فكلماتهم خالية من حرارة الإيمان والمحبة للخالق تعالى وصدق العبادة والتوجه والالتزام. ولَمَّا طلبوا تفاصيل جاءتهم التفاصيل، ولما ألزموا أنفسهم بأشياء تم التشديد عليهم وإلزامهم بها عقوبةً لهم . إذ أن التكاليف الشاقة هي عقوبة إلهية عادلة بسبب ضعف الوازع الإيماني في النفوس ، وانعدام الإقبال على حمل الشريعة بكل تفاصيلها ومعانيها وألفاظها، وعدم تقدير قدسيتها البالغة وأهميتها الجلية.

قال سيدنا أنس ابن مالك ﷺ إن رسول الله ﷺ كان يقول : ((لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيشدد اللهُ عليكم))[1] . وهذا ما حدث لهم بالضبط . فبيَّن الله تعالى لهم أنها بقرة لا مسنة ولا فتية ، وإنما بَيْن ذلك .

المرحلة الثالثة : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِرِينَ ﴾ [البقرة : ٦٩] . راحوا يطلبون تفصيلات أكثر دقة ، فاختاروا السؤال عن لونها ، ليظهروا بمظهر المهتم والحريص على الطاعة ، المحيط بكل الأوامر من أجل عبادة مقبولة ، وهم ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النِّساء: ١٤٢] . وكلما شدَّدوا على أنفسهم ضُيِّقَ عليهم أكثر .

المرحلة الرابعة: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَآءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٧٠] . تزداد الأسئلة ، مع التذرع بحجة واهية وهي أن البقر تشابه عليهم ! ، ومن خلال السياق القرآني المقدَّس تتضح لنا عملية نسج الأعذار الكاذبة التي هدفها إظهارهم كأبرياء لا ذَنْب لهم ، وإنما ذنب الظروف ! . يحاولون التملص من المسؤولية وإلقاء التبعات على سواهم .

المرحلة الخامسة : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧١] . يستمر التشديدُ عليهم ، وتأتي الكارثة على الطراز اليهودي ، فبعد أن اعترفوا بأن رسولهم _ عليه السلام _ جاء بالحق أقدموا على ذبح البقرة إمعاناً في الكفر والرفض والعصيان . لقد بَلَغوا قمة التمرد على الأوامر الإلهية ، وهم يُمَثِّلون دور الحمل الوديع البرئ ! . إذن ، لم تكن أسئلتهم سوى تقمص دور الحريص ، وقد

---

(١) رواه أبو يعلى (٦ / ٣٦٥) برقم (٣٦٩٤) ، ورواه أبو داود (٤ / ٢٧٦) برقم (٤٩٠٤) . قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٥٦) : ((رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة)) .

افتُضِحَ أمرهم ، والحمد لله رب العالمين .

حتى إلقاء السلام لم ينج من التحريف المخزي عند اليهود . فعن السيدة عائشة _ رضي الله عنها _ أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا : ((السَّامُ عليك))[١] . والسَّام هو الموتُ . حتى التحية أدخلوا فيها حقدهم ومكرهم ، فماذا سيفعلون في ساحة الحرب ؟! . لا بد أهم يودون لو يأكلون جلدنا ، ويمضغون لحمنا .

والتاريخ اليهودي يُصاب بانتكاسة جديدة مُدوِّية ، ويحمل اعتداء آثماً على السيد المسيح ﷺ ، وطعناً في أفعاله المعصومة . ((أما الفَرِّيسيون فقالوا : إنه يَطرد الشياطين برئيس الشياطين !))[٢] . كلام جارح خارج من أفواه نجسة بلا دليل ، يهدف إلى تزوير الواقع ، وإطلاق الشائعات المغرضة التي لا هدف لها سوى تفريغ الكراهية والحقد الأعمى .

ويعود المغضوب عليهم إلى عادتهم في الكلام على الأنبياء _ عليهم السلام _ ولمزهم والانتقاص من قدرهم . فعن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ عن النبي ﷺ قال : ((كانتْ بنو إسرائيلَ يغتسلون عُرَاةً ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر[٣] . فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبَه على حجر فَفَرَّ الحجرُ بثوبه فخرج موسى في إثره يقول : ثوبي يا حجر . حتى نظرتْ بنو إسرائيل إلى موسى ، فقالوا : واللهِ ما بموسى من بأس . وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً))[٤] .

---

(١) متفق عليه . البخاري (٣/ ١٠٧٣) برقم (٢٧٧٧) ، ومسلم (٤/ ١٧٠٦) برقم (٢١٦٥) .

(٢) إنجيل متى (٩ : ٣٤) .

(٣) الآدر : من انتفخت خصيتاه لتسرب مائع بين طبقتي الغلاف الذي يحيط بهما .

(٤) رواه البخاري (١/ ١٠٧)برقم (٢٧٤) واللفظ له، ومسلم (١/ ٢٦٧)برقم (٣٣٩).

إلى هذه الدرجة من الخسة والدناءة وصل القومُ ، فلم يكفيهم كل ما فعلوه ، بل سعوا يتكلمون عن عورات الأنبياء _ عليهم السلام _ ! . ليت شِعْري هل ضاق الكلام وانتهى فلم يعد فيه إلا الحديث عن العورات ؟! . وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : ((إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شِئْتَ))(١) .

ويتمادون في التطاول على الأنبياء _ عليهم السلام _ ، والطعن فيهم وفي شرائعهم . فعند حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة . صار السفهاء وهم اليهود يُثيرون البلبلة ، ويحاولون استغلال الموقف للتشكيك بالنبي ﷺ وشريعته ، فنزل قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وانتقلوا إلى الطعن في سَيِّدنا جبريل _ عليه السلام _فهم يعتبرونه عدو اليهود من الملائكة_عليهم السلام_فعن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي ، فما أولُ أشراط الساعة ؟ ، وما أول طعام أهل الجنة ؟ ، وما يترع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟)) . قال : ((أَخْبَرَنِي بِهن جِبْرِيلُ آنفاً)) . قال : جبريل ؟ . قال : ((نَعَمْ)) . قال : ذاك عَدُوُّ اليهودِ من الملائكة(٢) .

---

(١) رواه البخاري (٥ / ٢٢٦٨) برقم (٥٧٦٩) واللفظ له ، ومالك (١ / ١٥٨) برقم (٣٧٥) ، وأحمد (٤/ ١٢١) برقم (١٧١٣٩)، وأبو داود (٤/ ٢٥٢) برقم (٤٧٩٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢١٣) برقم (٢٥٣٤٨) ، وابن الجعد (١/ ١٣٠) برقم (٨١٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٢٣٠) برقم (٦٤٠) ، وأبو نعيم (٤/ ٣٧٠) .

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٦٢٨) برقم (٤٢١٠) واللفظ له ، وابن حبان (١٦/ ١١٧) برقم (٧١٦١) ، وأحمد (٣ / ١٠٨) برقم (١٢٠٧٦) ، والنسائي (٥ / ٧٠) برقم (٨٢٥٤) ، وأبو يعلى (٦ / ٤٥٨) برقم (٣٨٥٦) ، وعبد بن حميد (١ / ٤٠٨) برقم (١٣٨٩) .

واستمروا في ضلالهم حتى وصلوا إلى انتقاص السيدة العذراء مريم _ عليها السلام _ . قال تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ﴾ [النِّساء : ١٥٦] . ((قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أنهم رموها بالزنا ، وكذلك قال السدي وجبير ومحمد بن إسحاق وغير واحد، وهو ظاهر من الآية أنهم رموها وابنها بالعظائم وجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض ، فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة))[1].

لذلك احتلوا قمة العار والخسة بكل نذالة : ((جيلٌ شرير خائن))[2] . وتجمعت فيهم كل الصفات القبيحة . ((أما أعمال الجسد فظاهرة ، وهي : الزنى والنجاسة والدعارة ، وعبادة الأصنام والسِّحر ، والعداوة والنزاع والغيرة والغضب ، والتَّحزب والانقسام والتعصب ، والحسد والسُّكْر والعربدة ، وما يُشبه هذه . وبالنظر إليها ، أقول لكم سلفاً ، كما سبق أن قلتُ أيضاً إن الذين يفعلون مثل هذه لن يرثوا ملكوت الله !))[3] .

لقد اجتمعت كل هذه الصفات الموبقة في اليهود ، فهيهات أن يرثوا ملكوت الله تعالى أولئك الذين يسمون أنفسهم " شعب الله المختار " ! ، والحقيقة أنهم شعب الشيطان المختار .

***

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٤) .

(٢) إنجيل متى (١٢ : ٣٩) .

(٣) الرسالة إلى غلاطية (٥ : ١٩ _ ٢٢) .

الناس تَبَعٌ لقادهم ، وكما قيل : الناس على دين ملوكهم . وأيضاً على دين علمائهم . فالقيادة أو السُّلطة نوعان: عسكرية وفكرية . يضطلع بالمسؤولية العسكرية الحاكم ، أما الفكرية فغالباً ما تكون عند علماء الدِّين . وهذان الصنفان يوجهان الرَّعية إلى الوجهة المخطط لها . والغالبية العظمى من أي شعب تنساق وراء ركب الحكام والعلماء دون أن يُعملوا عقولهم ، فهم لا يُفكِّرون ، لأن هناك من يفكر نيابةً عنهم ، ودورهم محصور في الطاعة العمياء ، وتنفيذ الخطط الجاهزة . وهذه النوعية مفضلة لدى أصحاب السُّلطة لأنها لا تسبب مشاكل لنمط الحكم السائد . فالعقل المفكِّر يشكل خطراً على الحكم ، بسبب انتقاده للفساد والانحرافات المتكاثرة .

وفي الأنظمة المتخلفة يستخدم الحكامُ العلماءَ وبالعكس ، لتحقيق أهداف ومنافع ومناطق نفوذ أوسع، وكل نوع يظن أن الآخر تبعٌ له. إنها علاقة تعايش متبادل على حساب شعب أعمى يرفض أن يفتح عينيه. الصولجان والقلم ملخص لما يحدث ، وكلاهما واقع تحت سطوة الآخر شاء أم أبى .

ومن الأمثلة على خضوع الحاكم للسُّلطة الدينية ، خضوع بيلاطس لضغط رؤساء الكهنة . ((فلمَّا رأى بيلاطسُ أنه لا فائدة، وأن فتنةً تكاد تنشب بالأحرى ، أخذ ماءً وغسل يديه أمام الجمع ، وقال : ((أنا بريء من دم هذا البار . فانظروا أنتم في الأمر !))))[1] . إنه استسلام مهين لكهنة مجرمين نفَّذوا أجندهم الخاصة ، وفرضوا إيقاعهم الأحمق . ومن الجانب الآخر نرى حكاماً استخدموا السُّلطة الدينية لتنفيذ مخططاهم الشخصية ، وتصفية حساباهم الذاتية . ((ولما سمع الملكُ هيرودس بذلك _ أي بنبأ ولادة السيد المسيح _ اضطرب واضطربت معه أورشليمُ كلها . فجمع إليه

---

(١) إنجيل متى (٢٧: ٢٤) .

رؤساءَ كهنة اليهود وكَتَبَتَهُمْ جميعاً ، واستفسر منهم أين يولد المسيح))[1]. لقد كان يريد شراء ولاء رؤساء الكهنة ، وضمان مناصرهم لقتل سيدنا المسيح ﷺ ، وهكذا يضمن عدم انقلاب الرأي العام عليه.((فإن هيرودسَ سيبحث عن الصبي ليقتله))[2]. وقد هلك هيرودس وذهب إلى الجحيم الأبدي قبل أن يمس المسيح ﷺ بأذى .

وقال تعالى موضحاً دور القيادة الفاشلة في تدمير رعيتها :﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾ [الأحزاب : ٦٧] . إن القيادة ورؤوس السُّلطات إذا كانوا يمتازون بالرعونة فسيرسلون البشر إلى الهلاك الحتمي . وهذا ما حصل مع اليهود الذين ابْتُلُوا بزعماء سفاحين أوردوهم المهالك القاتلة ، ولم يتركوا كارثة إلا اقتحموها غير مبصرين .

وصدق الشاعر الذي يقول :

إذا كان رَبُّ البيتِ بالدُّفِّ ضارباً فشيمةُ أهلِ البيت كُلِّهم الرقصُ

فما الذي ننتظره من أُناس قادهم حمقى مُطاعون ؟ . وتتدفق الكوارث من جديد ، فها هم الفَرِّيسيون أكابر علماء اليهود وزعماؤهم يقودون الرأي العام نحو الهاوية : ((وإذْ أراد الفَرِّيسيون أن يشتكوا عليه بتهمة ما))[3] . يفتتحون هلاكهم ، ويغذون الخطى نحو الإجرام مجدداً، ويسعون إلى تدبير تهمة سريعة جاهزة بحق السيد المسيح ﷺ وتقديم شكوى ضده مستندة إلى حفنة أكاذيب كالعادة .

كما أن الزُّعماء لا يستسيغون بعض الكلمات المحددة التي تُعتبَر مقدسة عند أتباع الأناجيل . وأرجو في هذا المقام أن نميزَ بين شيئين : صورةُ اليهود كما جاءت في كلام سيدنا المسيح، وصورة اليهود كما جاءت في كلام أصحاب الأناجيل الأربعة ، وبينهما

---

(١) إنجيل متى (٢: ٣و٤) .

(٢) إنجيل متى (٢: ١٣) .

(٣) إنجيل متى (١٢: ١٠) .

فرق هائل . ((فتقدمَ إليه تلاميذُه وقالوا له : ((أَتعلمُ أن هذا القولَ قد أثار استياء الفَرِّيسيين))))[1] . فأتباع الشهوات والكفر يتحكمون بمزاجية في النصوص ، دون أن يمتلكوا منهجاً علمياً رصيناً .

قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ﴾ [التَّوبة : ٣١] . أي أنهم أطاعوهم كما يُطاع الرَّبُّ تعالى ، فكلامهم مقدس لا يُناقَش ، وأفعالهم معصومة لا يُسأل عنها . المشكلة أنهم جعلوا الآخرين يفكرون عنهم ، ويتخذون القرارات المصيرية بالنيابة عنهم .

وانظر إلى اللعين فرعون كيف ضيَّع قومه وأهلكهم بقيادته المتخلفة . قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾ [القَصَص : ٤١] . وأيضاً الشعب يتحمل المسؤولية بسبب خضوعه للاستبداد وقبوله بسياسة الأمر الواقع . قال تعالى عن فرعون : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [الزُّخرف: ٥٤] . أي أنه دعاهم إلى الخفة والطيش فأطاعوه ، فسماهم اللهُ تعالى قوماً فاسقين ، لأنهم لم يُقاوموا الظلم والطغيان بل أيدوه باطناً وظاهراً . فلننتبه إلى أن الرَّعيةَ غير معذورة إذا أيَّدت الطاغوت ، بل عليها أن تعمل بكل الوسائل المتاحة إلى التغيير، وإقامة الشَّرع الحنيف . أما النوم في أحضان الزوجات وترك الأمة تغوص في سجون الحكام الظالمين، فستكون نهايته وخيمة ، وسوف يكون حسابنا_عند خالقنا تعالى _عسيراً. فنحن نتحدث عن بني إسرائيل ﷺ وغيرهم لنتجنب أفعالهم الخسيسة، لا لنعيد تكرارها .

ووضَّح الشَّارعُ أهمية الحاكم العادل ، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلّه يوم لا ظل إلا ظله الإمامُ العادل ...))[2]. أي أن اللهَ_ جَلَّ جلاله_

---

(١) إنجيل متى (١٥: ١٢) .

(٢) متفق عليه. البخاري (١/ ٢٣٤)برقم (٦٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) .

سيحيطهم برعايته ويُدخلهم في كنفه وحمايته ، فبدأ بالإمام العادل لأنه بصلاحه تصلح الرعية ، وبفساده تفسد الرعية . وقل لي من حاكمك أقل لك من أنت ! .

ومن يستعرض تاريخ بني إسرائيل يجده ممتلئاً بالطواغيت من الحكام وعلماء السُّوء المرتزقة الذين دمَّروا كيان الإنسان اليهودي ، بحيث صار في مستوى الحيوانات .

إن رأس الأفعى إذا ظل موجوداً فالخطر موجود . ومحالٌ أن تجد جماعةً متقدمة يرأسها حاكم فاشل . ومحالٌ أن تجد حاكماً ناجحاً وشعبه متخلف . غرفة القيادة في القطار هي التي تحدد المسار الذي تسير فيه كل المقطورات ، فلو كان المسار خاطئاً فإن مصيبة كارثية ستلحق بالجميع . وثق تماماً أن شخصاً فاسداً في السُّلطة بإمكانه القضاء على آمال الجميع ، وأن تصرفاً أحمق من شخص عادي قد يُغرِق الكل .

عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : ((مَثَلُ القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها كمثل قوم اسْتَهَمُوا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوا جميعاً))[1] . فإننا نلاحظ أن الحمق بلغ مبلغاً عظيماً في نفوس الجاهلين الذين أرادوا عمل خرق في نصيبهم ظناً منهم أنهم يُحسنون صنعاً ، والواقع أنهم يُصيبون عين الهلاك ، ويدمرون كل شيء . مع الانتباه إلى أن نيتهم حسنة ، ولكن النية الحسنة لا تُصلح العمل الفاسد . وكم من مريد للخير لا يصيبه . وهنا تكمن أهمية القيادة في منع العبث والطيش ، والأخذ على أيدي العابثين وإيقاف مخططاتهم المأساوية وتوجيههم إلى المسار الصحيح . وأيضاً لو تركنا اليهود

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٨٨٢) برقم (٢٣٦١) واللفظ له ، وابن حبان (١/ ٥٣٣) برقم (٢٩٨) ، والترمذي (٤/ ٤٧٠) برقم (٢١٧٣)، وأحمد (٤/ ٢٦٨) برقم (١٨٣٨٧) ، والبيهقي (١٠/ ٩١) .

ينفذون حماقاتهم فسوف تغرق سفينة البشرية .

ولئلا يغيب عنا دور القيادة البيتية المتمثلة في الأم ، فالأب يغيب عن البيت لوقت طويل من أجل كسب الرزق ، لذلك فإن الأب _ حقيقةً _ لا يؤثر بنفس الدرجة التي تؤثر فيها الأم . ما أود قوله إن الأمهات في بني إسرائيل ﷺ _ في الغالب _ لا يتمتعن بكفاءة في التربية والتنشئة لذلك يخرج أبناؤهن غير أسوياء فكرياً ، ولا يتحلون بالأخلاق الحميدة . فهم منحرفون نتاج أُسر غير متماسكة . وذلك يعود إلى أن نساء بني إسرائيل غير منضبطات أخلاقياً ، فقد انتشر الزنا والبغاء في بُنية المجتمع اليهودي ، وضرب الفسادُ الأخلاقي أساس المجتمع المائل _ أصلاً _ إلى الانحلال والتسيب، وبالتالي قيم المجتمع أخذت تتفكك رويداً رويداً .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : ((فإن أولَ فِتْنَةِ بني إسرائيلَ كانت في النِّساء))[1] . والمرأة إن صار وجودها مقتصراً على الاستمتاع والشهوات ، ذهب الكيانات البشرية في الضياع الأكيد. وكل ارتباك وفوضى جنسية إنما هو بسبب سلوك المرأة بالدرجة الأولى ، فالمرأة هي المصنع الجنسي الأكبر والأخطر . وإنني لا أقلل من دور الرجل في الفوضى الجنسية إلا أن دوره محدود لأنه تابع لمصدر الإغراء ، فالزنا أو الاغتصاب تتحمل المرأة مسؤوليتهما بنسبة أكبر .

قالت السيدة عائشة _ رضي الله تعالى عنها _ : ((لو أن رسولَ الله ﷺ رأى ما أحدث النِّساءُ لمنعهن المسجدَ كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيلَ))[2] . إذن نساء بني

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٨) برقم (٢٧٤٢)، رواه ابن حبان (٨/ ١٥) برقم (٣٢٢١) واللفظ له، وأحمد (٣/ ٢٢) برقم (١١١٨٥) ، والنسائي (٥/ ٤٠٠) برقم (٩٢٦٩) ، والبيهقي (٧/ ٩١) برقم (١٣٣٠١) .

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٩٦) برقم (٨٣١) ، ومسلم (١/ ٣٢٩) برقم (٤٤٥) واللفظ له _ وقد اخترتُ لفظ مسلم لأن فيه لفظة " المسجد " أم حديث البخاري فيخلو منها _ .

إسرائيل مُنعن المسجدَ لأن سلوكهن وتصرفاهن سيئة ، وللأسف فإن نساء المسلمين غرقن في التقليد الأعمى والاتباع غير السليم ، لكن كل مجتمع لا يخلو من قائمٍ لله تعالى بحجة خصوصاً المجتمع الإسلامي الذي يملك عناصر تصحيح ذاتية لسلوك أفراده،والعلماء المخلصون كُثر على الرغم من ظهور علماء السلاطين وامتلاكهم للمنابر الإعلامية ، وهؤلاء المخلصون سوف يقودون الأمة_خير أمة أُخرجت للناس_ ويرشدونها ، وهذا ما لا يتوفر في مجتمع بني إسرائيل ﷺ .

ولأن الحدود الشرعية في الإسلام رادعة وفعالة ، فإن المسلم _ على عكس الكافر _ يفكر مئة مرة قبل أن يزنيَ ، فعقوبة الزاني البكر مائة جلدة ، أما الثَّيب فالرجم حتى الموت . لكن الانفلات واختلال نظام العقوبات في اليهودية قلب الموازين، ووجه البوصلة البشرية نحو الجهة الخطأ ، خاصةً مع كثرة التلاعب بالتوراة وغض الطرف عن الأحكام الشرعية وتنفيذ الحدود التي لا تتوافق مع أهواء اليهود .

فعن ابن عمر _ رضي الله تعالى عنهما _ أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ : ((ما تجدون في التَّوراة في شأن الرَّجم))، فقالوا : نفضحهم ويُجْلَدُونَ ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إِنَّ فيها الرَّجْمَ ، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفعْ يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرَّجم ، فقالوا : صدقَ يا محمد ، فيها آيةُ الرجم . فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما[1].

ولأن ضلال العالِم هو ضلال العالَم ، نجد أن رؤساء الكهنة حركوا الرأي العام في المسار المنحرف. مما يوضح دورَ العلماء الخطير في توجيه الرأي العام، فالناس تتبعهم واثقةً بهم مهما يقولون ، فالغالبية الساحقة من أي شعب لا تملك مقومات النقد . والله

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٣٠) برقم (٣٤٣٦) واللفظ له ، ومسلم (٣/ ١٣٢٦) برقم (١٦٩٩) .

تعالى يعلم حجمَ الكوارث التي ستحدث إذا كان العلماءُ خائنين لدينهم وأمتهم . ((فتضايق رُؤساءُ الكهنة والكتبة عندما رَأَوُا العجائبَ التي أجراها))[1] . وبالطبع سيكون تضايقهم فاتحة للخراب ، وحشد الطاقات البشرية لمقاومة النُّور . فعدم الارتياح وغياب الطمأنينة ستقودان إلى رفض ما سيأتي من تعاليم . فالشخص إذا اعتقد أن الشَّريعة تهدد مصالحه فسيقاومها ، وإذا اعتقد أنها ستُنقذه فسيخضع لها . وعِليةُ القوم كانوا يعتقدون أن تعاليم المسيح ﷺ ستُلغي نفوذهم ، وتدمر مكانتهم ، لذلك أخذوا على عاتقهم محاربتها بشتى الوسائل ، فالعامة هم الأرضية المسحوقة التي يقف عليها المتنفذون ، وإيمان العامة يعني تحررهم من عبادة العبيد ، إذن سيخسر الزُّعماء مكانتهم ، وبالتالي راحوا يمنعون نور الشريعة من الوصول إلى العامة عن طريق إثارة الشبهات ، والطعن في حامل الشريعة ، ومحاولة قتله ، ظناً منهم أن قتله سيُنهي القضية إلى الأبد.﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾[ص:٢٧].

ولكي نكون مُنصفين فإن هناك مؤمنين أتقياء شرفاء وعلماء مخلصين من بني إسرائيل ﷺ ومن أهل الكتاب عموماً ، إلا أنهم خارج دائرة صنع القرار، فأصحاب السطوة والكلمة المسموعة هم العلماء الفاسقون. قال تعالى:﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ الليلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] . وأمر اللهُ تعالى العلماء بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، وألا يقفوا صامتين متفرجين مثلما نرى في هذا الزمان ، بل عليهم دور الإرشاد ، وعدم التعامل بسلبية مع الأحداث ، وإنما التفاعل معها وإخضاعها للشرعِ الحنيف . قال تعالى : ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣] . أي هلا يزجرهم علماؤهم وأحبارهم ، ولبئس صنيع وفعل العلماء الذين تركوا النهي عن ما حرَّم الله تعالى. وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ :

---

(١) إنجيل متى (٢١: ١٥) .

((ما في القُرْآنِ آية أشد توبيخاً _ يعني للعلماء والعبَّاد الصامتين _ من هذه الآية))[1]
وأنشد ابن المبارك _ رحمه الله تعالى _ :

وهل أفسد الدِّينَ إلا الملـوكُ وأحبارُ سَـوْءٍ ورُهبـانُها[2]

وتتأجج المراوغةُ اليهودية والتهرب من الحق في هذا النص الإنجيلي: ((((من أين كانت معموديةُ يوحنا؟ من السماء أم من الناس ؟))، فتشاوروا في ما بينهم قائلين : ((إن قلنا له إنها من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تصدقوه ؟ وإن قلنا : من الناس ، نخشى أن يثور علينا جمهور الشعب)) ، لأنهم كلهم يعتبرون يوحنا نبياً . فأجابوه : ((لا ندري !))))[3] . وهكذا يتهربون من الحق الأبلج الواضح لهم خوفاً من خسارة مصالحهم ، وهرباً من أن يُلزَموا بالحجة الناصعة . وصدق الله العظيم إذ يقول عنهم : ﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٦] .

رأس الأفعى ما زال موجوداً ، والعقل المفكر للجسد الملوَّث ما زال يرفض نور الحق ويُحيك المؤامرات ، ويقود الرُّعاع إلى الهاوية . ((وسمع الفَرِّيسيون ما يتهامس به الجمعُ عنه فأرسلوا هم ورؤساء الكهنة بعض الحراس لِيُلقوا القبض عليه))[4] . إنها قيادة موغلة في التخلف والغباء ، لا تتحلى بأي جزء من الحكمة ، فلا غرو أن تُورد أتباعها المهالك .

ولأن رأسَ هرم السُّلطة متآكلٌ ومتصدع ، قال تعالى عنهم : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٥) .

(٢) البحر المحيط (٣/ ٥٢٢) .

(٣) إنجيل متى (٢١: ٢٥ و٢٦ و٢٧) .

(٤) إنجيل يوحنا (٧ : ٣٢) .

بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ ﴾ [النِّساء : ٤٦] . وهؤلاء اليهود الذين يحرفون كلام الله تعالى ليسوا من العامة بالتأكيد ، إنهم من القيادات والعلماء العالمين بالشريعة ، لأن السُّلطة الدينية في أيديهم يتلاعبون بها كيفما شاؤوا ، وهم يحتكرون التوراة ويوجهون نصوصها إلى حيث أرادوا ، لذلك وجدناهم يحرفونها. وعامة الشعب لا يملك حصيلة علمية واطلاعاً كافياً على محتويات التوراة ، وهذا جعلهم يُغمضون أعينهم ويسيرون وراء العلماء الفاسقين والكهنة الضالين الذين نفذوا خطتهم في التحريف والتلاعب بنصوص التوراة لغاية في أنفسهم المريضة .

وعلى الرغم من علمهم بالكتاب إلا أنهم يأخذون ما يوافق أهواءهم ويتركون ما يخالفها ، فهم سمعوا وعصوا إمعاناً في الكفر والرفض والتمرد ، ويحولون مسار الكلام ليصبح شتائم كعادتهم في التدليس والمراوغة . فقوله تعالى : ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ يعني اسمع ما نقول يا محمد لا سمعتَ ، وهذه الصيغة تُستخدم للخير في الأصل أي لا سمعتَ مكروهاً ، ولكن اليهود المخادعين كانوا يريدون بها الدعاء على النبي ﷺ بالصمم أو بالموت . وكان خبثاء اليهود يقولون للنبي ﷺ (راعنا) وهي لفظة قريبة من معنى الرعونة ، وفي العبرية (راعي) معناها شرير ، و (راعينو) تعني شريرنا . وهكذا يلوون ألسنتهم بكلام يحتمل المعنيين الصالح والطالح ، وبالطبع يقصدون المعنى الطالح . قال ابن عطية : ((وهذا موجود حتى الآن في اليهود وقد شاهدناهم يُربون أولادهم الصغار على ذلك ويُحفِّظونهم ما يُخاطبون به المسلمين مما ظاهره التوقير ويريدون به التحقير[1] .

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٢٦٤) .

الحق يستلزم التضحية من أجله ، لأنه ليس ثوباً يُلبَس ويُخلَع متى شاء صاحبه ، أو شعاراً مُفرَغاً من أبعاده يُرفَع هنا وهناك . إن ضريبة قبول الحق باهظة ، ومخطئ من يظن أن الوصول إلى الحق وحمله ونشره أمر عادي مثل أن يذهب الموظف إلى وظيفته!.

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] . والأمانة في هذا المقام هي التكليف وحمل الشَّريعة بأحكامها كاملةً ، والشَّريعة هي الحق المطلق . إذن الأمانة هي الحق . وقد قصَّر الإنسانُ في حملها فاستحق أن يكون ظلوماً لنفسه جهولاً .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو : لماذا يكره الإنسان ظهور الحق ؟ . الجواب ببساطة هو بسبب سير الإنسان والحق في مسارين متعاكسين ، وكل مسار ذو طبيعة خاصة به لا تتلائم مع المسار الآخر ، فكل طرف يعرف أنه سينتهي ويفقد مبرر وجوده إذا خرج من مساره إلى المسار الآخر . لكن الإنسان العاقل يعلم أن الحقَّ خلاصُه الأكيد ، لذلك ينتقل إليه طواعيةً وبكل رحابة صدر .

وقد تبلغ كراهيةُ ظهور الحق درجةً جنونية إلى أقصى حد ممكن تُثير البكاء والضحك في آن معاً ، وشر البلية ما يضحك . فقد قال رسول الله ﷺ : ((يا معشرَ اليهود ويلكم اتقوا اللهَ فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً وأني جئتكم بحقٍّ فأسلموا)) قالوا : ما نعلمه . قالوا للنَّبي ﷺ . قالها ثلاث مرار . قال : ((فَأَيُّ رَجُلٍ فيكم عبد الله بن سلام)) قالوا : ذاك سَيِّدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : ((أفرأيتم إنْ أَسلمَ)) قالوا : حاشى لله ما كان ليسلم _ وكررها النبيُّ ثلاثاً وكل مرة يسمع نفس الرد_قال : ((يا ابْنَ سلام اخرجْ عليهم))فخرج فقال :

يا معشرَ اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق ، فقالوا : كَذَبْتَ . فأخرجهم رسول الله ﷺ [1] .

إن هذا الحديث الشريف يوضح لنا المأزق اليهودي في قبول الحق ، والمنطق الأعوج في معالجة الأمور. وليس الحق واتباعه هو الذي يُشغِل بالهم ، وإنما التملص والتدليس هروباً من الحجة الدامغة ، حيث أنهم يستندون إلى موقف مسبق وجاهز ، وعقلية مهلهلة ليس لديها أدنى استعداد للتسليم بالحق، ولو أنهم داروا مع الحق أينما دار ﴿ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦] . فالاستناد إلى رؤية مسبقة غير مؤهلة لتشرُّب الحقيقة والخضوع لها ، يجعل الكلام الطيب لا يُلاقي صدىً في النفوس المتعفنة ، لذلك قال الله تعالى عن الكافرين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦]. قال ابن عباس _ رضي الله تعالى عنهما _ : ((كان رسولُ الله ﷺ يحرص أن يُؤمنَ جميعُ الناس ويُتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذِّكر الأول ولا يَضِلُّ إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول))[2] .

ويتكرر هذا المعنى فاضحاً حال اليهود: ((لأن قلبَ هذا الشَّعبِ قد صار غليظاً ، وصارت آذاهم ثقيلةَ السَّمع ، وأغمضوا عيونهم ، لئلا يُبصروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذاهم ، ويفهموا بقلوبهم ، ويرجعوا إليَّ ، فأشفيَهم !))[3] . فصاروا عبئاً على أنفسهم وعلى الحياة . فمن لا يعلم الحق ويُقاتله فتلك مصيبة صغيرة ، أمَّا أن يعلم

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٤٢٣) برقم (٣٦٩٩) واللفظ له ، وابن حبان (١٦/ ٤٤٢) برقم (٧٤٢٣) ، وأحمد (٣/ ٢١١) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦) .

(٣) إنجيل متى (١٣: ١٥) .

الحق ويُقاتله فتلك الطامة الكبرى .

لقد وصلوا إلى رُتبة الأنعام التي تحدث عنها القرآن الكريم ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[الفُرقان: ٤٤].

عطَّلوا حواسهم ووظائف أعضائهم فانتكسوا حتى وصلوا إلى رُتبة دونية يربأ عنها كل إنسان يحترم إنسانيته . ((دعوهم وشأنهم ، فهم عُميان يقودون عمياناً . وإذا كان الأعمى يقود أعمى ، يسقطان معاً في حفرة))[١] . ولكن هذا لا يمنع الدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن ، فنحن لا نعلم من سيموت مؤمناً أو كافراً ، وهذا من حكمة الله تعالى الذي أخفى عنا مصائر البشر ، لكي نستمر في الدعوة والإرشاد والتوجيه حتى يأتينا اليقين (الموت) . قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[النَّحل: ١٢٥].

وأيضاً نحن نُخلي ذمتنا أمام ربنا تعالى بأن ندعوَ الآخرين، وبالتالي يكون لدينا عُذْر قوي يُدافع عنا ، لئلا نأتِيَ يوم القيامة وفي أعناقنا ذنوب جراء صمتنا وتقاعسنا عن الدعوة وإلقاء المواعظ،وعلينا ألا نفقد الأمل من الناس مهما حصل. قال عَزَّ من قائل: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

وعلى الرغم من كون اليهود أعداءً وشريرين:((جِيلٌ شرير خائن يطلب آية))[٢] إلا أننا سنظل ندعو أنفسنا للثبات على الإيمان العظيم، وندعو غيرنا إلى الإيمان الذي لا يصير أُلعوبة بيد الحكام والكهنة. صحيح أن اليهود أصحاب قلوب حجرية ، ومع هذا نتذكر نماذج مشرقة هداها اللهُ تعالى إلى الإسلام، مثل السيدة صفية بنت حيي ابن

---

(١) إنجيل متى (١٥: ١٤) .

(٢) إنجيل متى (١٦: ٤) .

أخطب ـ رضي الله تعالى عنها ـ، وهي ابنة الزعيم اليهودي الهالك حيي بن أخطب ، وقد رفعها الإسلامُ العظيم فصارت أم المؤمنين . وهناك من زعماء اليهود من أسلموا وحَسُن إسلامهم ، مثل سيدنا عبد الله بن سلام ـ ﷺ ـ الذي صار صحابياً جليلاً . والأمثلة كثيرة ، إلا أنني اقتصرتُ على نموذجين مشرقين والقائمة تطول ، ويمكن لك الرجوع إلى كتب السيرة وغيرها لمعرفة أسماء اليهود الذين أسلموا ، وأيضاً يمكن لك العودة إلى المراجع المعاصرة لتعرف عدد اليهود وغيرهم من الذين أعلنوا إسلامهم في مشارق الأرض ومغاربها .

أما الذين ختم اللهُ تعالى على قلوبهم ـ ولم نعلم ذلك إلا بعد موتهم على الكفر ـ فقد استمروا في طغيانهم ومقاومتهم للحق الواضح . ((ثم أَرسلوا إليه بعضاً من الفَرِّيسيين ومُحازبي هيرودس ، لكي يوقعوه بكلمة يقولها))[1] . إنهم لم يتعظوا بأية موعظة ، بل على العكس واصلوا عملهم القبيح وأفعالهم الشنيعة ، في محاولة يائسة منهم لتلطيخ الصورة الحسنة للسيد المسيح ﷺ، ﴿ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٨] .

ولم يقفوا عند هذا الحد . لقد تجاوزوا كل الخطوط الحمراء . ((وقاموا يدفعونه إلى خارج المدينة ، وساقوه إلى حافة الجبل الذي بُنِيَتْ عليه مدينتُهم ليطرحوه إلى الأسفل))[2]. إلى هذه الدرجة وصل الحقدُ وكراهيةُ ظهور الطريق المستقيم والحقيقة الساطعة.

إن إخراجهم للسيد المسيح ﷺ إلى خارج المدينة فعلٌ شائع يتكرر مع كل الأقوام التي عادت أنبياءها ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . فقد أُخرج سيدنا محمد ﷺ من مدينته مكة المكرمة لأنه قال الحق . قال رسول الله ﷺ مُخاطِباً مدينته العزيزة المحبة

---

(١) إنجيل مرقس (١٢: ١٣) .

(٢) إنجيل لوقا (٤: ٢٩) .

إلى نفسه الشَّريفة : ((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خَرَجْتُ))[1] . ومعاناة الأنبياء _ عليهم السلام _ منتشرة في كل الأزمنة . فالكفار مستمرون في هذيانهم وتمردهم ، وقد أطلقوا الأوامر بإخراج سيدنا لوط ﷺ والمؤمنين.﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[الأعراف: ٨٢]. ووصل الإرهاب الكافر إلى جميع الأنبياء _ عليهم الصَّلاةُ السلام _ ، وها هو يصل إلى سَيِّدنا شُعَيْبٍ ﷺ : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾[الأعراف: ٨٨]. والجدير بالانتباه أن لفظتي ﴿ قَرْيَتِكُمْ ﴾ و ﴿ قَرْيَتِنَا ﴾ تم إسنادهما إلى ضمير المخاطب الجمع ، وضمير المتكلم الجمع ، وكأن هذه القرى ليست قُرى الأنبياء _ عليهم السلام _ ، وفي هذا إقصاء ونفي وطرد متعمد ، ومحاولة لسلب الشرعية عن حق النبي في بلده . وصدق سَيِّدنا المسيح ﷺ عندما قال : ((لا يكونُ النَّبيُّ بلا كَرامةٍ إلا في بلدتِه وبيته !))[2] .

ولوَّح الكفار بفكرة إخراج النبي من بلده لعلمهم أن ذلك يُؤلمه ويُسبب له المعاناة والضيق الشديدين، فإخراج الشخص من بلده نظير قتله . لذلك نجد الطواغيت _ في كل العصور _ يطردون المؤمنين من بلادهم وينفوهم ، فصار هناك ما يُعرَف بالمنفى.

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٨) برقم (٤٢٧٠) وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه)) ، ورواه ابن حبان (٩/ ٢٢) برقم (٣٧٠٨) ، وابن ماجة (٢/ ١٠٣٧) برقم (٣١٠٨) ، والترمذي (٥/ ٧٢٢) برقم (٣٩٢٥) وقال : ((هذا حديث حسن غريب صحيح وقد رواه يونُس عن الزُّهري نحوه ، ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وحديث الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن حمراء عندي أصح)) اهـ ، وأحمد (٤/ ٣٠٥) برقم (١٨٧٣٧)، والنسائي (٢/ ٤٧٩) برقم (٤٢٥٢) ، والدارمي (٢/ ٣١١) برقم (٢٥١٠) ، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٩٩) ، وأبو يعلى (١٠/ ٣٦٢) برقم (٥٩٥٤) .

(٢) إنجيل متى (١٣: ٥٧) .

وكأن الطواغيت اتفقوا على هذه الجريمة النكراء وأُعجبوا بها ! .

وأحياناً يُعمَد إلى التدليس والتلبيس على الجهال[1] ، فيُنسَب صاحب الحق إلى الشعوذة أو الجنون . وفي ذلك يقول اليهود مُخاطبين السيد المسيح ﷺ بكل وقاحة : ((الآن تأكدَ لنا أن فيك شيطاناً))[2] . إنها اتهامات تُلقَى جُزافاً دون دليل . وتبعهم عبدة الأصنام في الجزيرة العربية ، فاتهموا سيدنا محمد ﷺ بأوصاف مشابهة دون دليل أو حجة ، فالذي يقول شيئاً إن لم يُحضِر دليله فلا يُعبأ به كائناً من كان . وصَدَقَ اللهُ تعالى في وصفه هؤلاء الكافرين المعاندين : ﴿ كَذَلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذَّاريات : ٥٢] .

وإليك هذا النص الذي يُجمِل احتقار اليهود للحق ، واستخفافهم به ، ومحاربته بشتى الوسائل، وبكل ما أُوتوا من غدر وكفر وعناد : ((فقامت جماعتُهم كلها، وساقوا يسوعَ إلى بيلاطسَ . وبدأوا يتهمونه، قائلين : ((تبين لنا أن هذا يُضَلّلُ أُمتنا، ويَمنع أن تُدْفَعَ الجِزْية للقيصر ويدَّعي أنه المسيحُ الملك !))))[3] .

كما أن استماع الكذب والإشاعات والأباطيل ونشرها بكل حماس دليلٌ على كراهية ظهور الحق عند هؤلاء الشواذ . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ [المائدة : ٤١] . ويبقى أن أقول إن شمس الحق لا تُغطَّى بغربال الحثالة .

---

(١) على الجاهلِ أن يسعى إلى طلب العلم والتفقه في دينه وحاله ، وأن لا يتذرع دائماً بالجهل .

(٢) إنجيل يوحنا (٨ : ٥٢) .

(٣) إنجيل لوقا (٢٣: ١و٢) .

ممارسة الإرهاب والترويع

إن الذين لم يعتادوا على التحاور مع الآخرين ، وليس لديهم قابلية لاعتناق الحقيقة أو حجة قوية أو حتى منطق سديد ، أولئك سوف يندفعون باتجاه ممارسة الإرهاب ، وترويع الآخرين بمنطق القوة لا قوة المنطق . إن منطقهم يُشبه منطق قابيل الذي لم يستطع مواجهة أخيه هابيل التقي بالحجة والبرهان ، فواجهه بالإرهاب والتخويف . قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] . فلم يجد الأخُ حجة أو رأياً سديداً ، فعمد إلى التهديد بقتل أخيه ، وقد نفذه بكل خيانة وغدر . والجدير بالذكر أن اسمي هابيل وقابيل لم يردا في القرآن الكريم، وإنما وردا في التوراة : ((وعرف آدمُ حواء امرأته فحبلت وولدت قايين. وقالت اقتنيتُ رجلاً من عند الرَّبِّ. ثم عادت فولدت أخاه هابيل))[١] . عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((لا تُقتَل نفسٌ ظُلماً إلا كان على ابنِ آدمَ الأولِ كِفْلٌ من دمها وذلك لأنه أولُ من سَنَّ القتلَ))[٢] .

وحينما يغيب العقلُ تتأجج قوى الشر في جسد الإنسان ، والتي تدفعه إلى التخلص من الخصم المقابِل باستخدام التهديد المباشر بحقه . وهذا ما فعله زعماء اليهود . ((وسمع بذلك رؤساءُ الكهنة، والكتبة ، فأخذوا يبحثون كيف يقتلونه : فإنهم خافوه، لأن الجمعَ كله كان مذهولاً من تعليمه))[٣] . إنهم لا يمارسون الإرهاب

---

(١) سِفْر التكوين (٤: ١و٢) .

(٢) متفق عليه . البخاري (٣ / ١٢١٣) برقم (٣١٥٧) ، ومسلم (٣/ ١٣٠٣) برقم (١٦٧٧) .

(٣) إنجيل مرقس (١١: ١٨) .

إلا على الضعفاء ، وأما خوفهم من أن يمسوا السيد المسيح بِشر فذلك راجع إلى كونه محمياً ، ووجوده داخل جمع مقتنع به يُكسبه مزيداً من القوة والمنعة ، فلا يجرؤون على إلحاق الأذى به . وكان بنو إسرائيل لا يقدرون على محاسبة عِلْية القوم، وإنما يطبقون الحدود على قاع المجتمع المسحوق ، وللأسف فهذا ما نراه في زمننا الحاضر . ((إنَّما أَهْلَكَ الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرقَ فيهم الشَّريفُ تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد))[1] .

إن السيف لا يستطيع نزع الفكرة من العقل ، والتصفية الجسدية لا تستأصل الثورةَ من الجسد . لذلك كانت عبثاً محاولات اليهود لإرهاب المسيح والمؤمنين به . ((وسعى إلى قتله رؤساءُ الكهنة والكتبة ووجهاء الشعب . ولكنهم لم يهتدوا إلى ما يفعلون ، لأن الشعبَ كله كان ملتصقاً به للاستماع إليه))[2].

لم يرتدعوا عن فعلتهم بفعل وازع ذاتي ، أو مراجعة حسابات . لقد خافوا من الشعب الملتف حول قيادة السيد المسيح ﷺ ، فالمخلصون من الشعب هم السند الحقيقي والظَّهر الصلبة التي تسند سيدنا المسيح الذي لم تكن له عشيرة تحميه ، فهو بدون أب . وخلاصة القول أنك إن لم يكن لك سندٌ عائلي أو شعبي فسوف تُباد سريعاً . وبالطبع مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء ، ولكن هناك قوانين متعارف عليها ندرسها ، وأسباباً واقعية تُؤخذ بعين الاعتبار . فنحن لا نعيش في الخيال والتمني، وعلينا أن نأخذ بالأسباب والعلاقات الاجتماعية . فلا ينام الإنسان في بيته ويقول إن الله تعالى رزاق . صحيح أنه رزاق _ سبحانه وتعالى _ ولكن السماء لا تُمطر ذهباً ولا فضة . أو يخرج إلى المعركة بدون سيف ويقول إن الله تعالى سيحميني . هذا قمة

---

(١) متفق عليه . البخاري (٣ / ١٢٨٢) برقم (٣٢٨٨) ، ومسلم (٣/ ١٣١٥) برقم (١٦٨٨) .

(٢) إنجيل لوقا (١٩: ٤٧و٤٨) .

الجهل والغَباء .

وكان لعائلة سيدنا محمد ﷺ دورٌ هام في توفير الغطاء الاجتماعي والحماية لابنها ، حيث أنه يُحسَب لها ألف حساب . ولا نقول إن الغطاء الاجتماعي سيجعل طريق دعوة النبي مفروشة بالورود ، إلا أنه سيخفف عنه ولو بدرجة بسيطة . وإليك إحدى محاولات قُرَيْشٍ لقتل النبي ﷺ وكيف أنها تبين دور الأسرة المتنفذة . ((فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره ، قالوا: ((وما هو)). قال : ((ينفذ من كل قبيلة غلاماً وسطاً شاباً نهداً ثم يُعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه حصول رجل واحد فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قُرَيْشٍ كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا أذاه))))[1] .

إن كل هذه التفاصيل في الخطة الجهنمية مرجعها إلى كون عائلة النبي ﷺ بني هاشم العراقة والتاريخ والمكانة . فلو كانت أُسرة عادية لا يُلتفَت إليها ، لقتلوا النبي ﷺ بضربة رجل واحد ، وما احتاجوا إلى رجال كُثُر كي يتفرق دمه في القبائل . إذ أن القبيلة الضعيفة سَتُضَيِّعُ دماءَ أبنائها دون أن تُطالِب بها . وهذه إحدى الحكم الإلهية العظيمة في جعل الأنبياء _ عليهم السلام _ من قبائل وعائلات ذات مكانة ونفوذ. والعجيب أن هذه الميزة تنبه إليها قيصر الرُّوم حين جاءه أبو سفيان ، وكان حينها على الكفر.

قال قيصر الرُّوم لترجمانه : قُلْ له _ أي لأبي سفيان _ : ((إني سألتُكَ عن حسبه فيكم _ يقصد سيدنا محمد _ فزعمتَ أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرُّسل تُبعَث في

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢٢٧) ، وانظر أيضاً تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٣) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٢)، ودلائل النبوة للأصبهاني (١/ ١٩٠)،والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨) والسيرة الحلبية (٢/ ١٩٠) ، وتاريخ الطبري (١/ ٥٦٧) .

أحساب قومها))[1] . وخلاصة القول إن الإرهاب والترويع والاضطهاد لا يُمارَس إلا على قاع المجتمع ، أما الأشراف والسادة من العائلات المتنفذة فيحتمون تحت اسم أُسرهم التي توفر لهم الحماية ولو بدرجة طفيفة . وإن حصل اضطهاد وإرهاب بحق أبناء العائلات الكبيرة فسيكون أقل حدةً من ذلك الإرهاب الذي يُمارَس على أبناء قاع المجتمع .

ولا يخفى أن أعلى درجات الإرهاب هي القتل ، وهذا المعنى كان يشعر به سيدنا المسيح ﷺ وهو يتألم ويُعاني لأن اليهود خذلوه وسعوا إلى قتله، فهو يقول : ((ولكنكم تسعون إلى قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعتُه من الله))[2] . فلم يكن ذَنْبه الذي أخذه اليهودُ عليه إلا أنه قال الحق ولا شيء سواه . ويرد اللهُ تعالى على هذه الفئات الشاذة : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٥٩] .

وللتهديد بشتى صوره والتلويح بالسيف حيناً وبالمال حيناً آخر دورٌ فاعل في تثبيط الضعفاء ، أما الأقوياء الذين عرفوا هدفهم جيداً ، فهم سائرون في طريقهم لا يلتفتون . فالقافلة تسير والكلاب تنبح .

وإليك هذا النص الذي يُبرِز عقلية التهديد ودوافعها ، ويؤسس لمرحلة امتصاص الأمر بشكل استباقي والتفكير في التصدي له مسبقاً ، حيث تصير سياسة الترهيب وتكميم الأفواه وتعميمها وزرعها في النفوس هي المنهج السائد : ((ولكن لئلا يزداد هذا الأمر انتشاراً بين الشَّعب ، فلنهددهما _ يعني بطرس ويوحنا _ ألا يذكرا هذا الاسمَ لأحد من الناس بعد الآن . ثم أحضروهما وأمروهما ألا ينطقا باسم يسوع ولا

---

(١) متفق عليه . البخاري (٤ / ١٦٥٨) برقم (٤٢٧٨) ، ومسلم (٣ / ١٣٩٥) برقم (١٧٧٣) .

(٢) إنجيل يوحنا (٨ : ٤٠) .

يُعَلّما الناس به))[1]. ها هي منهجية التعتيم الإعلامي والتكتم ، ولكن الحقيقة لا يُخفيها أي كاتم صوت . إن المثال السابق يُعتبَر مثالاً على التلويح بخيار القوة أي السيف . وهناك مثال آخر على التلويح بالمال والشهوات . فقد عرض مشركو قريش على النبي ﷺ عرضاً إغرائياً تم رفضُه بكل حزم ، فقالوا : ((فَإنْ كُنْتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً ، وإن كنتَ إنما تطلب الشَّرف فينا سَوَّدْنَاكَ علينا ، وإن كنتَ تريد به مُلْكاً مَلَّكْنَاكَ علينا))[2] . ولو كان في مكان سيدنا النبي ﷺ شخص غير صادق لقبل فوراً دون أدنى تردد ، فمثلاً مُسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة كان يسعى من وراء دعوته الساقطة إلى مكاسب شخصية وتحقيق نفوذ _ لا أكثر ولا أقل _ ، لذلك قال بكل وقاحة : ((إنْ جَعَلَ لي محمدٌ الأمرَ من بعده تبعتُه))[3] . ويجب الانتباه إلى أن ثبات أي نبي ليس بمجهوده الشخصي وإمكانياته الذاتية ، وإنما هو تثبيت من عند الله تعالى ، ومحض فضل وتكرم وإنعام. فالخطاب الإلهي المقدَّس للنبي ﷺ واضح ظاهر لا يحتمل التأويل: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

وإكمالاً لسلسلة الترويع وإرهاب الآخرين وتدمير ذواتهم وإبعادهم تجيء الحلقة المفقودة وهي السجن. فالسجن عالَم مستقل بذاته لا ينتمي إلى الدنيا التي نعيشها ، يُهدَف منه إجبار الذات على التقوقع على نفسها وانكماشها، وعدم امتدادها إلى الآخرين ، وبالتالي تخف حدة التأثير في الأتباع والسائرين على نفس الطريق. ((إلا أن

---

(١) أعمال الرُسل (٤ : ١٧و ١٨) .

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٦٤) ، وانظر أيضاً تفسير ابن كثير (٣/ ٦٣) ، والسيرة النبوية (٢/ ١٣١) ، والسيرة الحلبية (١/ ٤٨٧) ، والبداية والنهاية (٣/ ٥٠) .

(٣) متفق عليه . البخاري (٣/ ١٣٢٥) برقم (٣٤٢٤) ، ومسلم (٤/ ١٧٨٠) برقم (٢٢٧٣) .

رئيسَ الكهنة وجماعته المنتمين إلى مذهب الصَّدُّوقيين ملأهم الغيرةُ من الرُّسل، فقبضوا عليهم وألقوهم في السجن العام))[1] .

وممارسة اليهود للإرهاب والإجرام ظُلْمٌ لأنفسهم وللآخرين . فالظلم له أنواع كثيرة كلها اجتمعت في أولئك القوم، فكانت العقوبة الدنيوية سريعة فضلاً عن عقوبة الآخرة . قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً ﴾ [النِّساء : ١٦٠] .

وبلغ الإجرام مبلغاً عظيماً في نفوسهم ، فدسوا السم للنبي ﷺ مُحاولين وأد الدعوة الإسلامية كي يظل الناس في ظلمات الكفر والجهل يعبدون أهواءهم ورجال الدين اليهود والنصارى ، ويبقى أهل الكتاب يحرفون كلام الله تعالى دون أن يفضحهم أحد ، والمشركون يعبدون الأصنام ويأكلونها عندما يجوعون ، أو يبيعونها عندما تصيبهم الفاقة . كان المجتمع الجاهلي أدغال حيوانات آدمية تائهة في الظلمات فأنقذها الله تعالى بخاتم رسله . ولكن اليهود لم يعجبهم ضوء الحقيقة فحاولوا خنق الرسالة الإسلامية عن طريق اغتيال رافع لواء التوحيد. قال رسول الله ﷺ مُخاطباً اليهود الذين لا أمان لهم : ((هل جعلتم في هذه الشَّاة سُمَّاً)) ، قالوا : نَعَمْ ، قال : ((ما حملكم على ذلك)) ، قالوا : أردنا إنْ كُنْتَ كاذباً نستريح منك وإنْ كنتَ نبياً لم يضرك[2] .

قلتُ : كذبتم يا معشر يهود ، فوالذي حجت قُريشٌ بيته إنكم لتعلمون أنه نَبِيٌّ ، ولكنكم أردتم قتله كباقي الأنبياء الذين قُتلوا على أيدي أجدادكم . فلعنة الله تعالى عليكم إلى يوم القيامة بما كسبت أيديكم الملطخة بالدماء الزكية .

---

(١) أعمال الرسل (٥: ١٧و ١٨) .

(٢) رواه البخاري (٣ / ١١٥٦) برقم (٢٩٩٨) واللفظ له ، وأحمد (٢ / ٤٥١) برقم (٩٨٢٦)، والدارمي(١/ ٤٧) برقم (٦٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٤١) برقم (٢٣٥٢٠) .

الاستهزاء والسخرية هما النظر إلى الآخرين على أنهم درجة ثانية من المجتمع سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً ، وهما محمودان في بعض المواضع ، إلا أنهما مذمومان في غالب الأحيان . والهدف هو تحطيم الآخر وتدميره حتى يتهاوى كيانه النفسي فينهار كلياً . وهما أسلوبان ناجعان إذا كانا للرد على أعداء الله تعالى من الكفار المعاندين والمنافقين الخبثاء ، وقد يُستخدمان لإشعار بعض الأطراف المخطئة بذنبها .

واستخدمهما القرآن الكريم للرد الحازم على الأعداء. قال تعالى : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥] . فالحرب بين الإيمان والكفر تتطلب أحياناً أساليب هجومية شديدة لتصغير الأعداء وتدميرهم وسحق أنفسهم المتعجرفة المتعفنة. فسيدنا نوح ﷺ رد على الكفار من قومه باستخدام أساليب تحطيم نفسي قوية كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود : ٣٨] .

وفي بعض الأوقات تكون السخرية من أفراد مخطئين ولكنهم ليسوا أعداء . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التَّوبة : ٧٩] . أما سبب نزول هذه الآية الشَّريفة ، فعن أبي وائل عن ابن مسعود ﷺ قال: ((لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدَقة كنا نحامل فجاء رَجُلٌ فتصدق بشيء كثير فقالوا: ((مُرائي)) ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا : ((إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن صاع هذا)) فنزلت ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ ﴾ الآية))[1] .

---

(١) رواه البخاري (٢ / ٥١٣) برقم (١٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم (٢ / ٧٠٦) برقم (١٠١٨) .

فالسخرية عندما تجيء من الأعلى تكون دليل القوة وعلو المكانة ، وعندما تنطلق من الأسفل تكون دليل الإفلاس ، وعدم امتلاك أدوات العقل للمواجهة . ((وسَخِرَ منه أيضاً _ أي من السَّيد المسيح _ رؤساءُ الكهنة والكتبة والشيوخ))[1] . لو امتلكوا الحجة الدامغة لألقوها أمام الجميع وأقنعوهم بالحوار والحجج والبراهين ، ولكن عمدوا إلى السخرية لتغطية انكسارهم أمام الحقيقة ، وطلي أزمتهم الفكرية وانحطاط مستواهم العقلي بالتشويش والضجة المفتعلة . فالذي يصرخ وينشر الضوضاء ويُطلق الشعارات المضللة كفارغ البندق ، ويعتنق الجعجعة منهج حياة ، يريد أن يُخفيَ قبح صوته الحقيقي لئلا ينكشف قناعه المقرِف .

واليهود مستمرون في نهجهم الساخر ، وهم _ حقيقةً _ يسخرون من ذواتهم وما يشعرون ، لأنهم ضيعوا دُنياهم وآخرتهم ، وخسروا الدارين معاً .

((كذلك كان رؤساءُ الكهنة أيضاً يسخرون منه _ أي من السيد المسيح _ مع الكتبة))[2] . يظنون أن سخريتهم ستحطم معنويات سيدنا المسيح ﷺ وتحد من نشاطه الدعوي ، وهي _ في الواقع _ لا تزيده إلا إصراراً وتصميماً. قد جربوا كل الوسائل لإجهاض دعوة الرسل _ عليهم الصلاة والسلام _، فاستخدموا الحرب العسكرية ممثلةً بتوفير المال والجنود والأسلحة التي كانت معروفة آنذاك ، والحرب النفسية ممثلةً بنشر الإشاعات والأكاذيب والاتهامات والسخرية والاستهزاء ، ولكن دون جدوى .

((وكان الفَرِّيسيون أيضاً وهم محبون للمال _ أي يُقدِّسونه _ يسمعون ذلك كله فاستهزأوا به))[3].نستدل أن الفَرِّيسيين كانوا يقومون بأفعالهم من أجل المال والنفوذ.

---

(١) إنجيل متى (٢٧: ٤١) .

(٢) إنجيل مرقس (١٥: ٣١) .

(٣) إنجيل لوقا (١٦: ١٤) .

وعبارة " وهم محبون للمال " تعني أن المال هدفهم الأسمى ، وكل أعمالهم إنما هي لتحصيل أكبر قدر من الأموال . فالناس كلهم يحبون المال ، لكن ليس كل الناس يجعلونه الهدف الأول ، والأولوية الأولى . قال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٦] .

ومن غرائب اليهود وسخافة عقولهم وسخريتهم واستهزائهم الجنوني ، ما رواه ابن مسعود ﷺ قال : ((جاء حَبْر ــ وهو العالِم اليهودي ــ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنَّ اللهَ يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده: أنا الملك ، فضحك رسول الله وقال : ((﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾)) [الزُّمَر: ٦٧]))[1].

وسخرية اليهود بالأوامر الإلهية دفعتهم إلى لَوْيِ أعناقِ الكلام ، وتحريف الكلام الذي أُمروا بقوله ، وكل ذلك استخفافاً بالشَّارع وأوامره المقدسة . قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٨] . قال الحسن وقتادة : ((أي

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٧١٢) برقم (٧٠١٣) واللفظ له ، ومسلم (٤/ ٢١٤٧) برقم (٢٧٨٦) . وفي بعض الألفاظ التي وردت في البخاري (٤ / ١٨١٢) برقم (٤٥٣٣) : ((فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر)) . ولفظة " تصديقاً " هي من تصرف الرواة ، وهي مردودة بشكل قاطع لأنها تعارض العقيدة الإسلامية التي تُنزه الخالق تعالى عن مشابهة مخلوقاته . واليهود غارقون في التشبيه والتجسيم . وضحكُ النبي ﷺ كان بسبب صغر عقل اليهودي وحُمقه وغرقه في الاستهزاء والسخرية سواءٌ كان مقصوداً أو غير مقصود ، وعدم معرفته بربه تعالى ، لذلك تلا النبي ﷺ الآية الشريفة: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾. قال الحافظ في الفتح(١٣/ ٣٩٨): ((وأما من زاد "وتصديقاً له" فليست بشيء ، فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأن النبي ﷺ لا يُصَدِّقُ المحال . وهذه الأوصاف في حق الله مُحال . إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منا)) اهـ . تعالى الله علواً كبيراً .

احطط عنا خطايانا نغفر لكم خطاياكم))[*] . ولكنهم رفضوا الأمر ، وأقحموا السخرية والاستهزاء في كلامهم. عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : ((قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حِطَّة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة))[١]. قال النووي : ((يزحفون على أستاههم جمع أُست وهي الدُّبر))[٢] . وقال ابن هشام : ((وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره وإقالته إياهم ذلك بعد هزئهم))[٣] .

انظر إلى أين وصلت السخرية المهووسة ؟ . إنها فرصة جاءتهم من الله تعالى لغفران ذنوبهم ، ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا أعداء للخالق تعالى ، فضيعوا الفرصة وحولوها إلى نقمة عليهم بعد تحريف الكلام وتغليفه بمهزلة يهودية جديدة . ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] .

قال القرطبي موضحاً معنى " رجزاً " : ((أي عذاباً وقيل الرجز القذر مثل الرجس))[٤] . قلتُ : أما العذاب فكان الطاعون الذي أُرسل على بني إسرائيل : ((الطاعون رجز أو عذاب أُرسل على بني إسرائيل))[٥] . أما القَذَر فيعتقد بعضُهم أنه دم الحيض ، مستدلين على ذلك بالقول الذي أورده البخاري معلقاً ودون تسمية

(*)تفسير ابن كثير (١/ ٩٩) .

(١) متفق عليه . البخاري (٤ / ١٧٠١) برقم (٤٣٦٥) ، ومسلم (٤/ ٢٣١٢) برقم (٣٠١٥) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ١٥٢) .

(٣) السيرة النبوية (٣/ ٧٠) .

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٠) .

(٥) سبق تخريجه .

قائله : ((كان أول ما أُرسل الحيض على بني إسرائيل))[1]. إلا أن البخاري الذي نقل هذه المقولة ردها بالحديث الصحيح. قالت عائشة : خرجْنا لا نرى إلا الحجَّ فلمَّا كنا بسرف حِضْتُ فدخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي، قال : ((ما لك أَنَفستِ)) قلتُ : نعم ، قال : ((إِنَّ هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم))[2] . والحديث الشريف يُبيِّن أن الحيض مكتوب على بنات آدم ﷺ كلهن أي قبل مجيء بني إسرائيل ﷺ . قال الخطابي: ((أصل هذه الكلمة _ يقصد أنفست _ من النفس وهو الدم إلا أنهم فرقوا بين بناء الفعل من الحيض والنفاس ، فقالوا : في الحيض نفست بفتح النون ، وفي الولادة بضمها))[3].

وبسبب أفعالهم تم التشديد عليهم ومعاقبتهم وتحميلهم تكاليف شاقة . قال القرطبي في تفسيره (١/ ٣٩٣) متحدثاً عن بني إسرائيل ﷺ : ((فكان من أذنب ذنباً أصبح على بابه مكتوب عملتُ كذا وكفارته قطع عضو من أعضائك يسميه له ومن أصابه بول لم يطهر حتى يقرضه ويزيل جلدته من بدنه)) .

عن ابن سيرين أن ابن مسعود ﷺ قال : ((كان الرَّجُلُ من بني إسرائيلَ إذا أذنب أصبح على بابه مكتوب أذنب كذا وكذا وكفارته كذا من العمل فلعله أن يتكاثر أن يعمله . ما أحب أن الله أعطانا ذلك مكان هذه الآية : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء : ١١٠]))[4] .

---

(١) أورد هذه المقولة البخاري في صحيحه (١ / ١١٣) . وقال الحافظ في مقدمة فتح الباري (١/ ٢٥٦) : ((قائل ذلك هو ابن مسعود ، رواه ابن أبي شيبة)) .

(٢) رواه البخاري (١ / ١١٣) برقم (٢٩٠) واللفظ له ، ومسلم (٢ / ٨٧٣) برقم (١٢١١) .

(٣) فتح الباري (١/ ٤٠٣) .

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩ ١٥٨) برقم (٨٧٩٤) ، ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ١٨٢). وقال الهيثمي في المجمع (٧ ١١): ((رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا=

إنهم يستحقون تلك العقوبات والإجراءات الحازمة لأنهم قوم سوء فاسقون ، لم يقبلوا الشريعة كما هي بل سعوا إلى التحايل والتلاعب بالنصوص وتحريفها .

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : ((إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدَهم البولُ قرضه بالمقراض))[1]. يا إلهي! حمداً لك لأننا لسنا مثلهم . منزهٌ أنتَ عن الظلم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم ، وتجبروا في الأرض بغير الحق ، فأُحيط بهم وضُيِّقَ عليهم فصارت حياتهم عسيرة بما جنته أيديهم، وعلى نفسها جنت براقش . ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] .

وروى مَتَّى كلاماً يدور في نفس الفلك على لسان المسيح ﷺ : ((فإن كانت عينك اليمنى فخاً لك، فاقلعها وارمها عنك ، فخير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم ! وإن كانت يدك اليمنى فخاً فاقطعها وارمها عنك ، فخير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في جهنم !))[2] .

قلتُ : الحمد لله تعالى الذي نسخ تلك الشريعة . وجعل لنا الاستغفار من الذنوب كفارة لها . وتلك نعمة يمن الله تعالى بها علينا ، وهي مؤشر على محبة الله تعالى لنا الذي لم يجعلنا مثل المغضوب عليهم .

=أن ابن سيرين ما أظنه سمع من ابن مسعود ، والله أعلم)) . قلتُ : ((ظنك في محله)) . إذ أن ابن سيرين لم يسمع من ابن مسعود . قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٢٦) : ((وابن سيرين لم يسمع من ابن مسعود)) . وفي أفضل الحالات يُنسب الكلام إلى ابن سيرين دون أن يتخطاه وهذا هو الحق ، والله تعالى أعلم .

(١) رواه الحاكم (٣/ ٥٢٨) برقم (٥٩٦٤) وقال : ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه)) ، وابن حبان (٤/ ٢٧٧) برقم (١٤٢٩)، والبيهقي (١/ ١٠٤) برقم (٥١١)، وابن أبي شيبة (١/ ١١٥) برقم (١٣٠٥).

(٢) إنجيل متى (٥ : ٢٩ و٣٠) .

قسوة القلوب هي الأرض الخصبة والملائمة لتنشئة أفراد شاذين عن المسار الحضاري البشري . إنها تشكل انتكاسة حقيقية للإنسانية التي يُفترَض أنها تحتوي على القابلية لتشرُّب الإيمان والأخلاق الفاضلة بواسطة قلب حي خاشع . وعند استحواذ القسوة على القلوب تبدأ مرحلة " الموات المتحرك " بالتبلور . وهي مرحلة يكون فيها الإنسان قد شطب اسمه من سجل الحياة ، غير أنه ما زال يتحرك مثل كل الوحوش في الأدغال . وتفسير هذه الحالة يتجلى في كون الآدمي قد حوَّل قلبه من تلك اللطيفة الرحمانية إلى آلة لضخ الدم _ لا أكثر _ ، جراء ما اقترفه من آثام وخطايا تكدست على قلبه لأنها لم تُغسَل بماء التوبة . لذلك يطبع اللهُ تعالى على قلوب الأشخاص الجاهلين بأن يُغلِق كل المنافذ التي تُفضي إلى العالَم الخارجي، فينكمش القلب ويتخندق حول نفسه ، ويخاف من الاندفاع والانطلاق نحو النور ، لأنه خالٍ من الطمأنينة والدفء الإيماني ، والجندي الذي لا يملك سلاحاً يخاف الخروج من بيته ! . ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرُّوم : ٥٩] .

إن هداية اللهِ تعالى الطاهرة لا تهبط في قلب قاسٍ أو قذر . تُريد مكاناً يليق بها من حيث النظافة واللين والانشراح . فليس كل شخص يحصل على المنحة الربانية المتمثلة في الهداية. فالقلب المزدحم بالشوائب والأوساخ لا تصله هداية الله تعالى نهائياً. ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] . قال الطبري في تفسيره (١/ ١١٣) : ((فأخبر ﷺ أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله ﷻ والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص)) .

فالأمر بحاجة إلى استعداد وتجهيزات مسبقة تمتاز بالجدية والحماس، فيجب أن تكون أهلاً للهداية كي تفوز بها. ألا ترى أن الشخص الذي ينتظر ضيفاً ذا مكانة ، يقوم بترتيب المترل وإعداد غرفة الجلوس وتنظيفها وتنسيقها كي يرتاح الضيف ويستمتع بالزيارة ويبقى لأطول وقت ممكن ، فما بالك بالهداية والتوفيق الإلهي ؟! .

واللؤلؤ يكون مختفياً داخل الصدف غير مُلْقى على الأرض ، والذهب مختبئ داخل التراب غير مرمي على الأرصفة . فالجواهر لا تُعطى لمن لا يستحقون . ((لا تُعطوا ما هو مقدَّس للكلاب ، ولا تَطرحوا جواهركم أمام الخنازير ، لكي لا تدوسها بأرجلها وتنقلب عليكم فتمزقكم))[1] . إن المومس لم تعرف فضيلة الشرف لذلك ضيعته . واللص لم يعرف فضيلة الأمانة لذلك خانها . والطاغية لم يعرف ضوء العدل لذلك حاربه . والزوجة لم تعرف قيمة المحبة لذلك خانت زوجها . والعالِم لم يعرف طهارة العلم لذلك اتخذه سُلَّماً لتحقيق مصالحه . وبنو إسرائيل لم يعرفوا الله تعالى لذلك رفضوا أوامره .

((لا تكتروا لكم كنوزاً على الأرض ، حيث يُفسدها السُّوسُ والصدأ وينقب عنها اللصوص ويسرقون . بل اكتروا لكم كنوزاً في السماء ، حيث لا يفسدها سوس ولا ينقب عنها لصوص ولا يسرقون . فحيث يكون كترك هناك أيضاً قلبك !))[2] .

حيث يكون عملك الصالح تكون حياتُك وقلبك الحي المفعم بتوهج الإيمان والسعادة ، لكن أولئك الذين يكترون الذهب والفضة ولا يؤدون حق الله تعالى فيها مثلهم كشخص معصوب العينين يسير مقترباً من حافة جبل ، وبالطبع ستكون النهاية مأساوية لأنه منح جهده للشيطان بالمجان ، والأموال التي يظن أنها ستُنجيه صارت سبب شقائه بسبب احتلالها لقلبه وتربعها عليه . فمال في اليد ذُخرٌ وسند ، ومال في

---

(١) إنجيل متى (٧: ٦) .

(٢) إنجيل متى (٦ : ١٩ و٢٠ و٢١) .

القلب بؤس وشقاء . كفى بالعمل الصالح فخراً أنه يحرسك وأنت نائم أو مستيقظ ، في حين أن المال أن تحرسه نائماً ومستيقظاً[١] .

وللقلب تلك اللطيفة الربانية أهمية بالغة، فعن النعمان بن بشير قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً إذا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسدُ كُلُّه ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ألا وهي القَلْبُ))[٢]. قال النووي : ((واحتُج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور . مذهب أصحابنا _ يقصد السادة الشافعية _ وجماهير المتكلمين أنه في القلب))[٣] .

والحق الذي نعتقده هو أن العقل في القلب لأن أدلة هذه الرأي بالغة القوة . قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج : ٤٦] . وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] . إن كل الناس لديهم قلوب بمعنى تلك المضخات العضوية التي تضخ الدم ، لكن الآية الشريفة يُستَنتج منها أن هناك أُناساً ليس لديهم قلوب ، وآخرين لديهم قلوب . إذن يقفز معنى القلب عما نعرفه ليصير بمعنى العقل . وإنك لتجد غالبية المفسرين ذهبوا إلى ذلك المعنى[٤]. قال الحافظ في الفتح (١/ ١٢٩): ((وعبَّر عنه_ يعني عن العقل_ بالقلب لأنه محل استقراره)).

إن القوة العاقلة موجودة في القلب . وربما يقول أحدهم إن القلب إذا مات بقي الشخص على قيد الحياة حتى يموت الدماغ ، فموت الدماغ هو نهاية الإنسان وليس

---

(١) وأيضاً الراحة النفسية والطمأنينة في تحري العمل الصالح بعكس اللهاث وراء المال .

(٢) متفق عليه . البخاري (١/ ٢٨) برقم (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) برقم (١٥٩٩) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٢٩) .

(٤) انظر تفسير القرطبي (٧ / ٣٩١) . وتفسير الطبري (٢٦ / ١٧٧) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٠) ، وتفسير الجلالين (١ : ٦٩١) .

موت القلب . نقول له : ((ليس لهذا أدنى علاقة بما نتحدث عنه ، لأن موت القلب يعني زوال القدرات العقلية . ألم تر إلى المجنون يكون فاقداً للعقل بسبب عدم وجود القلب مركز صنع القرار واتخاذه ومع هذا هو على قيد الحياة . وملخص القول إن القلب محل العقل ، وفي حال موته قد يظل الإنسان على قيد الحياة لمدة ما فاقداً كامل قواه العقلية . وهذا لا يدل بأي حال من الأحوال على أن العقل في الرأس)) .

وأخرج البخاري في الأدب والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب ﵁ قال : ((إنَّ العقلَ في القلب ، والرحمةَ في الكبد ، والرأفة في الطحال ، والنفس في الرئة))[1] .

ومما تقدم نستنتج أن القلب القاسي الفاسد يؤثر سلباً على القدرة العاقلة . وهذا جعل قرارات اليهود أصحاب القلوب الحجرية غير موفقة ، بل وجنونية إلى حد بعيد . فلو تأملنا خططهم واختياراتهم لوجدناها تتنكب الطريق المستقيم بكل عناد وعصيان وإصرار على الباطل ، حتى صار الانحراف هوساً يلازمهم في كل مراحل وجودهم الذي لم تستفد منه الأرض والإنسانية شيئاً ! . فالمحصلة هي أن العقل السليم في القلب السليم ، وفاقد الشيء لا يُعطيه .

قال سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. حتى الحجارة تستحي أن تصل إلى مستوى قسوة قلوب اليهود. قال القرطبي: ((القسوة والصلابة والشدة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى . قال أبو العالية وقتادة وغيرهما : المراد قلوب جميع بني إسرائيل))[2] .

لقد وصلوا إلى الهاوية السحيقة بأيديهم وأرجلهم ، وانتكسوا إلى هذه الرتبة

---

(١) الدر المنثور (٧/ ٦٠٩) .

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٤٦٢) .

الدونية لأنهم تمردوا على كل القيم الدينية والدنيوية ، والأنظمة الشرعية والوضعية . فلم يردعهم وازع ذاتي ولا خارجي . فهذه الفئة ليس لها من الحق نصيب أو سهم ، وهم لا يعدون عن كونهم جماعات مبعثرة مشتتة هنا وهناك . يقتلون ويدمرون وينهبون في وضح النهار ، ونحن صامتون نترقب الجرائم الجديدة دون حراك . يجب أن نقتديَ بالأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ في كيفية التعامل مع هؤلاء الذئاب البشرية ! . ونحن نعرف عنهم ما لا يعرفون عن أنفسهم ! .

((فأدار يسوع نظره فيهم غاضباً وقد تضايق من تقسية قلوبهم))[1] . تضايق لأنهم غير مؤمنين يُجيلون أبصارهم مثل الحمقى ، مُعاندين متبجحين لا يُعرِّفون معروفاً ولا يُنكِرون منكراً أخذتهم العزة بالإثم فجحدوا الحقيقة ، مستندين إلى قلوب صخرية يخجل الآدميون الأسوياء أن يمتلكوها . فبدلاً من أن يؤمنوا بمعجزات الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ويُعجَبوا بها كدليل على قدرة الخالق تعالى وصدقِ دعوة النبي ، نراهم رافضين : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[الأحزاب: ١٩] .

وقد استعاذ النَّبِيُّ ﷺ من القلبِ القاسي لعلمه أنه المركز والمحور فقال: ((اللهمَّ إني أَعوذُ بِكَ من علمٍ لا ينفعُ ، ومن قلب لا يخشع))[2] . فالقلب الخرابُ سَدٌّ شرس يحول دون تلقي الفيوضات والرحمات الربانية المقدسة ، إنه يخسر كل شيء في كل

---

(١) إنجيل مرقس (٣ : ٥) .

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٢) واللفظ له ، وابن حبان (٣ / ٢٩٣) برقم (١٠١٥) ، وأحمد (٢/ ١٩٨) برقم (٦٨٦٥) ، وابن ماجة (١/ ٩٢) برقم (٢٥٠) ، والنسائي (٤/ ٤٤٣) برقم (٧٨٦٤) ، وأبو داود (٢/ ٩٢) برقم (١٥٤٨) ، والترمذي (٥/ ٥١٩) برقم (٣٤٨٢) ، ومعمر بن راشد (١٠/ ٤٣٩) ، وابن أبي شيبة (٦/ ١٧) برقم (٢٩١٢٦) ، وأبو يعلى (١١/ ٤١٢) برقم (٦٥٣٧) ، وعبد بن حميد (١/ ١١٤) برقم (٢٦٧) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٥٢) برقم (١١٠٢٠) .

وقت لأن الوعاء الذي خُلِقَ ليستقبل الرحمة الإلهية نراه مشققاً متعفناً[1] . والعطر ذو الرائحة الزكية لا يتخذ المزابل مستقراً له .

وكان سيدنا عيسى بن مريم _ عليهما السَّلام _ يقول : ((لا تُكْثِرُوا الكلامَ بغير ذكرِ اللهِ فتقسوَ قُلوبُكم ، فإن القلبَ القاسي بعيدٌ من اللهِ ولكن لا تعلمون . ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أربابٌ ، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيدٌ ، فإنما النَّاس مُبتلَى ومُعافَى ، فارحموا أهلَ البلاء ، واحمدوا اللهَ على العافية))[2] .

ويُخاطِب السَّيدُ المسيح ﷺ بعضَ زعماء اليهود قائلاً : ((بسببِ قَسَاوَةِ قلوبِكم كتبَ لكم موسى هذه الوصيةَ))[3] . يتضح لنا أن قسوة القلوب لدى بني إسرائيل بلغت الذروة . ومما لا شك فيه أن أنبياء بني إسرائيل _ عليهم الصلاة والسلام _ كانوا يتعاملون مع قومهم عالمين بقلوبهم الصخرية ، وانطلاقاً من هذا المعرفة كانت تصدر الأوامر التي تناسب حالتهم الشرسة . وبعد كل هذا يظهر لنا سببُ كثرة الأنبياء الذين أُرسِلوا إلى بني إسرائيل ﷺ . فإن أبا هريرة كان يُحدِّث عن النبي ﷺ قال : ((كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ))[4] . وهذا مؤشر ذو دلالة واضحة كالشمس على الطبيعة الإرهابية القاسية لبني إسرائيل ﷺ الذين لم يغب عنهم طوال مرحلة وجودهم الأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ ، فهم قومٌ بحاجة إلى الكثير من الإرشاد النبوي العظيم المكثف بسبب التخلف الجذري الذي

---

(١) هناك رحمة عامة تشمل كل الخلق ، وهناك رحمة خاصة لا تشمل إلا المؤمنين .

(٢) رواه مالك في الموطأ معلقاً (٢ / ٩٨٦) برقم (١٧٨٤) ، وابن أبي شيبة (٦ / ٣٤٠) برقم (٣١٨٧٩) ، وهناد في الزهد (٢ / ٥٤٢) برقم (١١٢٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٨). وله طرق يشد بعضها بعضاً وتُقَوِّيه وتنهض به .

(٣) إنجيل مرقس (١٠: ٥) .

(٤) متفق عليه . البخاري (٣ / ١٢٧٣) برقم (٣٢٦٨) ، ومسلم (٣/ ١٤٧١) برقم (١٨٤٢) .

أصابهم منذ قرون موغلة في القِدَم . إنهم أكثر قوم في تاريخ البشرية المدون وغير المدون عَطَّلوا مسيرة الإنسان الحر ، ووضعوا في طريقه العقبات من أجل القضاء عليه فكرياً ، وإبقائه هائماً تائهاً غارقاً في شهواته تماماً كالحيوانات في الغابة . لكن الحيوانات معذورة بسبب عدم وجود العقل ، أما بنو إسرائيل ﷺ وكل المكلَّفين فهم مسؤولون أمام الله تعالى عن أعمالهم .

والقسوة في القلب تجعله ينتقل إلى الجانب الآخر ، بمعنى أنه سيقبل الشر دون تردد . فالطهارة القلبية هي خط الدفاع الأول وجهاز المناعة الفعال ترد أي عدوان آثم على القلب ، وتُقاوِم الأفكار الشريرة فوراً . وإذا زالت زال الجيش الذي يحمي دولة القلب ، فصار الإنسان كالبيت المهجور المفتوح للسباع والأفاعي والهوام . قال تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] . أي امتزج حب عبادة العجل بقلوبهم وتغلغل فيها بحيث استحوذ على مشاعرهم وهواهم وامتلكها ، وذلك عائدٌ إلى غياب المناعة المتمثلة في النقاء القلبي ، فانتقلوا إلى الجهة الأخرى جهة الكفر والعناد .

والقرآن الكريم يُبرِز لنا ثلاث مسائل غاية في الأهمية . الأولى : هي أن الطواغيت ينسخون بعضهم البعض ويُعيدون صياغة الأحداث بأسماء جديدة لكن الهدف واحد ، فالتاريخ الأسود للشياطين الآدمية يُعيد نفسه من خلال انبعاثه من نوايا حاقدة لأشخاص يملكون نفس الحقد مع اختلاف العصور والأسماء . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨]. ورجَّح الطبري بعد أن أورد أقوال الأئمة المختلفة في تأويل﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أن المقصود هم النصارى[١]. وقال الطبري في تفسير ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾ : ((هم اليهود ، وسألتْ موسى ﷺ أن يُرِيَهم

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٣) .

ربهم جهرة وأن يُسمعهم كلام ربهم))[1] . قلتُ : وهذا موضحٌ في الآية الشريفة : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥] . صحيحٌ أن مذاهب اليهود والنصارى مختلفة في الكفر ، وكلٌّ يكفر على طريقته ، لكن النوايا واحدة والقلوب المحركة لتلك الأفعال متشابهة رغم اختلاف الأزمنة .

والثانية : هي أن القلوب القاسية عقوبة من الله تعالى ، وليست شيئاً خَلْقياً يولَد مع الإنسان . فقد يولَد الشخص نقي القلب ، ومع مرور الزمن يقسو قلبه بسبب كثرة الآثام التي ارتكبها، فيكون ذلك عقاباً إلهياً عادلاً. قال تعالى : ﴿ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد : ١٦] . فطول المدة والزمن أثر سلباً في القلوب التي ليس لها خط دفاع . والأمر شبيه بعوامل التعرية والتجوية في الجيولوجيا ، حيث أن تلك العوامل على مر السنوات تعمل على تغيير المعالِم الطبيعية كالجبال والصحاري، وتُعيد صياغة شكلها بسبب عدم وجود المصدات والوسائل الوقائية .

وطول الزمن لا تأثير له في القلب المحصَّن المالِك لوسائل الحماية والصيانة . وتتضافر مع طول الزمن خيانةُ الأوامر الإلهية برميها وراء الظهور ، وهذان العاملان يُرسلان الشخص إلى الهلاك الأبدي . قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] . أي أن اليهود الذين خانوا الله تعالى ورسلَه الكرام نقضوا وخانوا ميثاقهم بأن كفروا بالله تعالى وقتلوا الأنبياء وتمادوا في كفرهم ، فكانت العقوبة هي اللعنة في الدنيا والآخرة وجعل قلوبهم قاسية ، لأنهم لم يحترموا قلوبهم ولم يستفيدوا منها في الإيمان .

والثالثة : هي أن الله تعالى أمرَ العبدَ بالخضوع له والاستسلام لأوامره في كل

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٤) .

الحالات ، ومهما ارتكب العبد من أخطاء فيمكن التجاوز عنها إذا كان خاضعاً لله تعالى مستسلماً له متضرعاً إليه ، وهذه الصفات ستقوده لا محالة إلى التوبة النصوح ، لأن الأكوان لها سَيِّدٌ واحدٌ هو الله العظيم . ومن يحاول أن يتجبر ويتحكم بالأشياء فهو محصورٌ في دائرة الدمار والسخط الإلهي . قال تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنعام : ٤٣] . فهلا تضرعوا وعادوا إلى ربهم سبحانه وتعالى وأقبلوا على الدعاء عندما جاءهم البأس والشدة ، ولكن قست القلوب فما عادوا إلى خالقهم تعالى .

((فلَم يَستَطيعُوا أَن يُؤمنوا ، لأنَّ إشَعياءَ قالَ أَيضاً : ((أَعمى عُيونَهم وقَسَّى قُلوبَهم، لِئَلا يُبصِروا بِعُيونِهم ويَفهَمُوا بِقُلوبِهم))))[1]. إنه العقاب الدنيوي العاجل ، والخزي في هذه الحياة، وما ينتظرهم أشق وأكثر ألماً . ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴾ [فُصِّلَتْ : ١٦] .

***

(١) إنجيل يوحنا (١٢: ٣٩ و ٤٠) .

مصدرا التعاليم المنحرفة في أي مجال هما : الجهل والعِناد . والجهل نوعان : متعمد وغير متعمد . فالبعض يأبى أن يتعلم ويصر على الغرق في مستنقعات الجهل على الرغم من توفر كل الوسائل للحصول على المعرفة ، لأن الجهل يوفر له غطاءً مؤقتاً يضمن له العبث والسير وفق ما تقتضيه الشهوات وتزيين الشيطان للمعاصي والآثام . وهناك من لا يملك وسائل المعرفة ، لأنها لا تشكل أولوية في المحيط الذي يعيش فيه . لكننا نقول إن على الإنسان أن يسعى إلى العلم النافع في كل الأحوال سواء كان في مجتمع متقدم أو متخلف ، وسواء وُضعَت أمامه العراقيل أم لم توضَع .

واليهود ليسوا قوماً فاقدي للمعرفة والعلم _ كما يظن البعض _ . إن لديهم حصيلة ضخمة من العلوم والمعارف ، ولكن طمس الحقائق إحدى هواياتهم المفضلة . لذا فإن جهلهم بالشريعة جهلٌ متعمد، وتعاليمهم المنحرفة آتية من كرههم لظهور الحق . فالحق من نور الله تعالى ونورُ الله لا يُؤتى للمتكبرين والعُصاة . قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

فلو أنهم أرادوا الحق لاجتهدوا في طلبه والبحث عنه من أجل تحصيله ، ولكنهم استمرأوا التغابي لا الغباء ، وظنوا أنهم بذلك يزدادون نفوذاً ويحققون مكاسب اجتماعية وسياسية . وظنوا أن أفعالهم خافية على الخالق تعالى . ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فُصِّلَتْ : ٢٣] .

وجهلهم يأخذ صوراً كثيرة لا تُحصَى ، منها اعتراضهم على تصرف تلاميذ السيد المسيح ﷺ . ((في ذلكَ الوقتِ مَرَّ يسوعُ بينَ الحقولِ في يومِ سَبْت . فجاعَ

تلاميذُه ، فأَخذوا يقطفون سنابلَ القمحِ ويأكلون . ولَمَّا رآهم الفَرِّيسيون ، قالوا له : ((ها إِنَّ تلاميذَكَ يفعلون ما لا يحل فِعْلُهُ في السَّبت !))))[*] . لقد ظنوا أن اليوم الذي يعظمونه_أي السَّبت_ لا يجوز فيه أن يأكل الجوعى من سنابل القمح !. وهذا يعكس مدى التخلف العَقَدي في أدمغة اليهود . وإنني أرى من خلال المعطيات المتوافرة أنهم يُدركون الحقائق ، بيد أنهم حاولوا _ حسب تفكيرهم المحدود _ إحراج السيد المسيح ﷺ ، ومحاولة الطعن فيه . إذْ أن الطعن في التلاميذ السائرين مع معلمهم إنما هو طعنٌ في المعلم بالدرجة الأولى ، وهذا ما كانوا يسعون إليه بالتأكيد . ولأن قلوب اليهود تتشابه في كل العصور، نرى جهلهم بالشريعة أوصلهم إلى التشكيك بأفعال النبي محمد ﷺ في غزوة بني النَّضير.فقد اعترضوا على قطع نخلهم وتحريقها جهلاً منهم بمقاصد الشَّريعة ومراميها وأصولها وضوابطها . فقالوا بكل جهل وعدم تقدير للحالة : ((يا محمد قد كنتَ تنهى عن الفساد وتُعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟))[1]. وعن ابن عمر _ رضي الله عنهما _ : أن رسول الله ﷺ حَرَّقَ نخلَ بني النَّضير وقطع وهي البُويرة فأنزل الله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الحشْر: ٥][2] . وقال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٨) : ((وقد علم رسولُ الله ﷺ أن نخل بني النضير له، ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهناً فيهم حتى يخرجوا عنها . وإتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعاً مقصودة عقلاً)) .

نلمح تشابهاً بين حال اليهود الذين عابوا على تلاميذ سيدنا المسيح ﷺ قطفهم

(*)إنجيل متى (١٢: ١و٢) .

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٤)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٢)، والدر المنثور (٨/ ٩١) والسيرة الحلبية (٢/ ٥٦٤) ، وتاريخ الطبري (٢/ ٨٤) .

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٨٥٢) برقم (٤٦٠٢)، ومسلم (٣/ ١٣٦٥) برقم (١٧٤٦) .

لسنابل القمح وهم جياعٌ جهلاً منهم بما يعنيه السَّبت وما يمثله ، وبين حال يهود بني النَّضير الذين استنكروا قطع نخلهم وتحريقها جهلاً بالقواعد الشَّرعية .

وإن جهلهم زيَّن لهم أنهم أحباءُ الله تعالى وأولياؤه المقربون. ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة: ١٨] .
وسبب نزول هذه الآية الشريفة ما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس قال: ((أتى رسولَ الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمرو وشاس بن عدي_ وهم من سادة يهود _ فكلموه وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا : ((ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه)) كقول النصارى))[١] .

قال الزركشي : ((المعنى فَلِمَ عذَّب آباءكم بالمسخ والقتل لأن النبي ﷺ لم يُؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد لأن الجاحدَ يقول إني لا أُعذَّب لكن احتج عليهم بما قد كان))[٢] .

فالآية الشريفة حملت دعوى اليهود والنصارى المتهافتة والتي لا دليل يساندها ، وحملت كذلك الرد الإلهي على مثل هذه الدعوى غير الحقيقية . إنه الجهل والغرور اللذان يخدعان الإنسان ويرسمان له طريقاً من الأحلام الوردية وهو غاطس في أوحال الخطيئة والإثم . وتزيين النفس والشيطان للإنسان يُسقطه في براثن التسويف والتمني . فأحباء الله تعالى هم الذين التزموا أوامره بدقة متناهية ، ونصروا شرعه وأنبياءه بكل ما أُوتوا من إمكانيات معنوية ومادية . وليت شِعْري كيف يصبح قتلةُ الأنبياء أحباباً للخالق تعالى ؟ أم كيف يصبح الذين يجعلون لله تعالى ولداً أحباباً له ؟.

إن قمةَ الجهل أن تُتبع نفسَك هواها وتتمنى على الله تعالى الأماني . والكارثة الفعلية هي أن يظن الجاهلُ نفسه عالماً لا يُجارى . لأنه في تلك الحالة يكون قد وصل

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ، السيوطي ، (١/ ٩٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٧٤) .

إلى طريقٍ مسدودٍ ، وأحاط نفسَه بشرنقة متينة تحول دون وصول نور العلم إلى روحه وفؤاده، فمثله كرجل غارق في الظلمات ليس بخارجٍ منها إلا إلى ظلماتٍ أكثر سواداً ورُعباً تستترف كيانه رويداً رويداً حتى تُبقيَه هيكلاً فارغاً لا وزن له البتة، وتقتله وتُبيده على الرغم من استمراره في العيش .

وتفنَّن اليهودُ في ابتكار جهالاتهم وغفلتهم . فعن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له : ((يا أميرَ المؤمنين ، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلتْ لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً)) ، قال : ((أي آية ؟)) ، قال : ((﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣])) ، قال عمر : ((قد عَرَفْنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي نزلتْ فيه على النَّبي ﷺ وهو قائمٌ بعَرفة يوم جُمُعة))[١] . فمن جهل اليهودي أنه لم يُدْرِكْ أن عرفة والجمعة عيدان للمسلمين وليسا عيداً واحداً . وأيضاً أيها اليهودي ألم يُنْزِل اللهُ تعالى التَّوراةَ عليكم ، فلماذا لم تتخذوا اليوم الذي أُنْزِلَتْ فيه عيداً ؟ ، ولماذا حرَّفتموها ورميتم أوامر الله تعالى وراء ظهوركم ؟ . إنني ألمحُ جهلاً متعمداً مُريعاً في كلامك وعدم الرَّغبة في الوصول إلى الحق . إذْ لو كُنتم تريدون الحقيقةَ لاتخذتم التَّوراة نبراساً لكم ، وكُنتم احتفلتم باليوم الذي جاءكم فيه النُّور .

ولأن جهلَهم ظاهرٌ واضح للجميع وبَّخهم السيد المسيح ﷺ وردَّ عليهم قائلاً : ((أنتُم في ضَلالٍ لأنكم لا تفهمونَ الكتابَ ولا قُدْرةَ اللهِ))[٢] . إنهم في ضلالٍ مبين بسبب رفضهم للنور القادم من الكتب السَّماوية ، ولو أنهم آمنوا بالتَّوراة غير المحرفة على أكمل وجهٍ لما وسعهم إلا أن يتَّبعوا خاتم الكتب السَّماوية القرآن الكريم . وزِدْ على انحرافهم عدم فهمهم لقدرةِ اللهِ تعالى وعظمته وجبروته وصفاته المقدسة وأسمائه

---

(١) رواه البخاري (١ / ٢٥) برقم (٤٥) ، ومسلم (٤ / ٢٣١٣) برقم (٣٠١٧) .

(٢) إنجيل متى (٢٢: ٢٩) .

الحسنى .

وجهلهم بقدرة الخالق تعالى جعلتهم يظنون أنفسهم أغنياء والله تعالى فقيراً . وبذلك يكونون قد توصَّلوا إلى أحد أبشع أكاذيبهم وتخلفهم العقلي الذي بلغ منتهاه . ولو كانوا أصحاب عقولٍ لعلموا أن الرَّزاق هو الله تعالى ، وأن ما في أيديهم من مال هو من رزقه تعالى وهم مستخلفون فيه . ولكن لا حياةَ لمن تُنادي . قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران : ١٨١] . فما الذي تنتظره من قومٍ هذا هو مُستواهم العقلي ؟! . حتى الوثنيون من العرب في الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأصنام لم يجرؤوا على تبني مثل هذه الدعوى الكارثية الغبية التي لا تَصدر إلا عن أُناسٍ أكثر ضلالاً من الأنعام والوحوش في الأدغال النائية التي لم تصلها أي حضارة .

والجهلُ بالمعبودِ تعالى طريقُ كل ضلالٍ وكُفْرٍ . فمن يعرف الله تعالى يعبده ، ومن لا يعرفه لا يعبده . قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٣٨]. فبعد كل الحجج البينات التي عاينوها بأبصارهم وإنقاذهم من الطاغية الهالك فرعون ، ما زال عشق التجسيم والوثنية يمتلكهم ويُبعدهم عن معرفة الخالق تعالى .

((حقّاً أنّكم رَفَضتم وَصيَّةَ اللهِ لتُحافظوا على تقليدكم أنتم))[1] . إن التقاليد البائسةَ التي لا طائلَ من ورائها ما زالت تلعب لُعبتها في عقول أولئك القوم الهاربين من ضوء الشمس إلى مغارات التخلف والتقهقر حتى الوصول في ذيل قافلة الحضارة التي تسحقُ الجهال أثناء سيرها. وأحياناً تحل التقاليدُ والعاداتُ الاجتماعية السيئة

(١) إنجيل مرقس (٧: ٩) .

مكان العقيدة لتصير عقيدةً بديلةً ودِيناً مُتَّبعاً وهي ليست كذلك . فكم من الناس الذين يعبدون أهواءهم وهم يظنون أهم على الصراطِ المستقيم ، وكم من عادةٍ قبيحةٍ تسيطر على المجتمع كما لو كانت شريعةً سماوية. وكما قال الشاعر[1] :

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضوءَ الشَّمسِ مِنْ رَمَدٍ   ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المـــــاءِ مِنْ سَقَمِ

وعن ابن المنكدر سمعتُ جابراً رضي الله عنه قال : ((كانت اليهودُ تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولدُ أحولَ))[2] . ما هذه العبقريةُ في مجال الطب يا معشر يهود ؟!، ومن أينَ أتيتم بهذا الاستنتاج الذي يشكّل إنجازاً علمياً غير مسبوق في عالَم الهذيان والإشاعات ؟! . حتى الطِّبُّ لم ينج من جهلكم وكلامكم الفاقد لكل الأدلة والبراهين. لماذا تهرفون بما لا تعرفون ؟ . إن الجاهلَ في بعض الأحيان يُلقي كلاماً بدون أساسٍ ليبدوَ صاحبَ عِلْمٍ ومعرفة ولكي يُقال عنه إنه عالِم .

العلمُ المثمر ورفضُ الشَّريعة لا يجتمعان ، لذا فعلماء اليهود مهما أُوتوا من علمٍ سيظلون جهلة لأنهم كفرة ، وهذا مُوضَّحٌ في النص التالي الذي يفضح انحرافهم الكُفْري : ((وأمَّا الفَرِّيسيون وعُلماءُ الشَّريعة فقد رفضوا قَصْدَ اللهِ مِن نَحْوِهم))[3] . فلا بد أن ينالوا عقابَهم الذي يظهر بعضُه في كون علمهم حُجَّةً عليهم لا لهم ، فلا فائدة من علمٍ لا يُترجَم إلى عمل . والإنسانية فاشلةٌ تماماً إن لم تُطبِّقْ الشَّريعة السَّماوية الناسخةِ لكل ما قبلها وهي شريعةُ الإسلام الدِّين السَّماوي الأوحد . فالكتبُ السَّماوية المقدسة جاءت لتنهض بالواقع المؤلم للأمم وتحوله إلى حياةٍ أسمى أكثر راحةً وأقل قلقاً ، وهي ليست مجرد نصوص مقدسة مكتوبة بالحبرِ على الصحائفِ . إنها جاءت لِتُنَفَّذَ في الواقع المعاشِ بما تمتلكه من قدرة على تلبية كافة الحاجات البشرية وما

---

(١) هو الإمام شرف الدِّين أبي عبد الله محمد البوصيري ، وبيتُ الشِّعر من قصيدة البُرْدة .

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٦٤٥) برقم (٤٢٥٤)، ومسلم (٢/ ١٠٥٨) برقم (١٤٣٥) .

(٣) إنجيل لوقا (٧: ٣٠) .

فيها من قيمٍ وتعاليم لا يُحصَر في الخطاباتِ وحلقات الدراسة ، بل يتعدى إلى الحياة بكل ما فيها من مكونات . وتم التَّحذيرُ من العلم غير النافع ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مَثَلَ عِلْمٍ لا ينفعُ كمثلِ كَنْزٍ لا يُنفَقُ في سبيلِ الله))[1]. فطلبُ العلم فقط ليس فضيلةً ، لكن الفضيلةَ هي طلب العلمِ والعمل به .

يقول بطرس فاضحاً التاريخ الظَّلامي اليهودي الذي خطه المجرمون : ((إنِّي أَعلمُ أَيُّها الإخوةُ أنَّكم ورؤساءكم عاملتمُ المسيحَ بجهلٍ))[2] . فهذه الشَّهادةُ تتناول قضية جهل اليهود المقصود في معاملتهم للسيد المسيح ﷺ . أما عبارة " أيها الإخوة " فأشك أنها من كلام بطرس، فاليهود_ وفق العقيدة النصرانية_ صلبوا السيد المسيح ﷺ[3] ، فكيف يصفهم بطرس بالإخوة ؟ . إذن نحن أمام احتمالين :_

الأول : أن بطرس لم يقل هذا الكلام ، وإنما قاله آخرون ونسبوه إليه . والسُّؤال الذي يطرح نفسه : من الذي له مصلحة في هذا ؟ . الجواب : اليهود ! . قد تستغرب للوهلة الأولى ، بيد أن مؤشراً ظاهراً في النص . فاليهود من مصلحتهم أن يُبعدوا عنهم أي مسؤولية متعلقة بإيذاء سيدنا المسيح ﷺ ، ومن مصلحتهم الظهور في ثياب الحِملان الوديعة البريئة . ووصفهم بالإخوة في سياق منسوب إلى بطرس سيعطيهم شرعيةً وبراءة ذمة من كل الكوارث والإرهاب الذي مارسوه .

الثاني : أن بطرس قال هذا الكلام فعلاً ، وبالتالي فقد خضع للضغوط والنفوذ

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٩٩) برقم (١٠٤٨١) . وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٤) : ((رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون)) .

(٢) أعمال الرُّسل (٣: ١٧) .

(٣) بيَّن القرآنُ الكريم أن المسيح لم يُصْلَبْ، وهذه المسألة معلومةٌ من الدِّين بالضرورة ، بحيث منكرها يخرج من الإسلام. قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النِّساء : ١٥٧] .

اليهودي ، وخان الأمانة ، وقلب الحقائق رأساً على عقب مقابل أن ينالَ رضا المتنفذين من اليهود . ولن يتسامح معه التاريخُ مُطلقاً لو كان بطرس قال ذلك بالفعل .

وتخلفهم العَقديُّ يأخذ منحى هستيري يتمثل في تصورات فاسدة عن الذّات الإلهية _ تقدَّست _ . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا. بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] . فخيالهم المريضُ وجهلهم الفظيع صوَّرا لهم أن الله تعالى بخيلٌ ، وجاء الردُّ سريعاً في نفس الآية الشَّريفة بما يتناسب مع حجم الجريمة التي اقترفوها بحق أنفسهم . فاللهُ تعالى لا يضره مثل هذه الخزعبلات التافهة ، لأنها تعود على قائليها ناراً ووبالاً وشقاءً أبدياً .

ومسلسل تجاوزاتهم الجاهلية المتخلفة بحق الذَّات الإلهية _ تعالت وتنزَّهت _ لم يقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى ادعاء أن لله تعالى ولداً ، وللأسف فإن النَّصارى ذيل اليهودِ تبعوهم على هذا المسار وزادوا نغمةً في طُنبورهم الجنوني . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التَّوبة : ٣٠] . يتسابقون في الكفر والافتراء على الخالق تعالى. فكل طائفة تريد فضلاً ومجداً فريداً فتعتقد أن إضافة ولد لله تعالى سيجعل منهم أصحاب السِّيادة والريادة في الدُّنيا والآخرة ، فابتكرَ اليهودُ هذا الاختراع الخرافي ولحقهم النَّصارى وشابه قولُهم قول من سبقهم . قاتلهم اللهُ تعالى كيف يُصرَفون عن الحق . ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ [الجن : ٣] .

وجهلُ اليهودِ ممزوجٌ بالعِناد والتكبر على الحق وبالمجادلة بالباطل ، فهم جهال ظاهرياً وعلماء باطنياً ، إذ أنهم يدركون الحقائق ، ولكنهم يحيدون عنها عن سابق إصرار وتصميم ، وهكذا نجد أن جهلهم عقوبة لهم على معرفتهم العلم اليقيني ثم الانحراف عنه . فعن أبي هريرة ﷺ قال ((استبَّ رجلان رجلٌ من المسلمين ورجلٌ

من اليهودِ قال المسلم : ((والذي اصطفى محمداً على العالمين)) فقال اليهودي : ((والذي اصطفى موسى على العالمين))))[1] . فمن المعلوم أن سَيِّدنا محمداً ﷺ أعظمُ مخلوقات اللهِ تعالى على الإطلاق ، وهذا لا يُعارِض ما لسَيِّدنا موسى ﷺ من فضلٍ ومكانةٍ لا ينكرها إلا كافرٌ. ولكن اليهودي أخذته العِزَّةُ بالإثم ، والتكبر على الحق الأبلج . وليته فعلاً امتثل هو وأجداده أوامرَ سَيِّدنا موسى ﷺ الذي عانى من جهل اليهود وعنادهم الشيء الكثير .

وأختم بحديثٍ يعكس الجاهلية المضحكة التي يعيشها اليهودي في حياته التي حوَّلها إلى حقبة من عصور الظُّلمات والتخلف . عن أنس بن مالك : ((أن اليهودَ كانوا إذا حاضَت المرأةُ فيهم لم يُؤاكلوها ولم يُجامعوهن في البيوت))[2] . فعدمُ جماعِ الحائضِ أمرٌ واجبٌ ، أما عدم الأكل معها أو إخراجها من البيت فلستُ أفهم من أين جاؤوا بهذه الأشياء التي يعتقدونها ديناً لازماً وعقيدةً لا تُناقَش . ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا ﴾[الأنعام : ١٤٤]. ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾[النَّجم : ٣٠] .

***

(١) رواه البخاري (٢/ ٤٨٩) برقم (٢٢٨٠) ، ومسلم (٤/ ١٨٤٤) برقم (٢٣٧٣) .

(٢) رواه مسلم (١ / ٢٤٦) برقم (٣٠٢) ، وأحمد (٣/ ٢٤٦) برقم (١٣٦٠١) ، وأبو داود (١/ ٦٧) برقم (٢٥٨) ، وعند أحمد وأبي داود : ((أَخْرَجوها من البيت)) ! ، وأبو يعلى (٦/ ٢٣٨) برقم (٣٥٣٣) .

الالتصاقُ بالدُّنيا يجعل نظرَ الإنسانِ قاصراً عليها ، وقلبه مُسلَّطاً على رُكامها . فيكون عندئذ من الصعب الانطلاق إلى فضاء التضحية والإيثار والقتال في سبيل الله تعالى . فالصمغ الذي يُلصقك بالدُّنيا قوي ، وكلما مر الزمنُ ازداد قوةً والتصاقاً . ولن تُبنى الحضاراتُ إلا إذا قُطِّعت العلائق بين الفرد والدُّنيا.

فالتعلق بالعالَم الآخر والحياةِ بعد الموتِ لا تقوى حبالُه إلا بقطع الحِبال بينك وبين الحطام والفناء . فمن يريد الخلودَ عليه أن يُضحيَ بالحطام الزائل . وإن الرُّوح لا تُحلِّق في فضاء النَّعيم إلا إذا انفصلت عن قضبان سجنها ، كما أن العصفور لا يتعلم الطيران إذا ظل تحت جناحي أمه ، بل إنَّ ابتعاده عنها وانفصاله يعلمانه الطيران والتحليق .

ولَمَّا كانت الحياةُ الدُّنيا ممراً لا مقراً بالنسبة للمؤمن ، اعتبرها الشَّارعُ سجناً له سرعان ما يخرج منه إلى جنَّةٍ أكثر رحابةً عرضها السَّماوات والأرض . أما الكافرُ فحياته على الأرضِ مبلغُ علمه ومنتهى آماله حيث أنه لا يرى أبعد منها، فهي جنَّةٌ مؤقتةٌ سرعان ما يُغادرها إلى جحيمٍ أبدي لا نهائي . فعن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((الدُّنيا سِجْنُ المؤمنِ وجَنَّةُ الكافر))[1] . وذكرَ ابن عبد البَر أن أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه قال في كتابه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه : ((احْرِصْ على الموتِ تُوهبُ لكَ

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦) ، والحاكم (٣/ ٦٩٩) برقم (٦٥٤٥) ، وابنُ حبَّان (٢ / ٤٦٣) برقم (٦٨٧) . وأحمد (٢ / ٣٢٣) برقم (٨٢٧٢)، والترمذي (٤/ ٥٦٢) برقم (٢٣٢٤) ، وابن ماجة (٢/ ١٣٧٨) برقم (٤١١٣) ، وابن أبي شيبة (٧ / ١٢٩) برقم (٣٤٧٢٢) . وأبو يعلى (١١ / ٤٠٤) برقم (٦٥٢٦) ، والطبراني (٦/ ٢٣٦) برقم (٦٠٨٧) .

الحياة))[1] . لذا فالعظماءُ من كل المللِ ما كانوا بلغوا مكانتهم لولا تضحيتهم بساعات نومهم ومتعتهم وراحتهم ، فلم نسمع ولن نسمع أن قائداً منتصراً كان يوجِّه المعركةَ من فِراشِ نومه أو من بركة السِّباحة ! . فمن لا يرى أبعد من الدُّنيا إنما هو أعمى البصر والبصيرة ، ولا تنتظرْ منه خيراً ما دام على حاله .

والتصاقُ اليهودِ بالدُّنيا وحرصهم عليها من الأمور التي لم تعد تخفى على أحد . فهم يسيطرون على مثلث الشهوات الأرضية : المال والجنس والإعلام . وهذا المثلثُ يختزلُ العلائق التُّرابية الدُّونية . قال تعالى عن اليهود : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٩٦] . إنهم يعلمون ما ينتظرهم من العذاب والخزي والعار في حال بقائهم على الكفرِ ، وبالتالي يتمنون أن لا يموتوا أو أن يعيشوا عدداً كبيراً من السَّنواتِ ، وهذا لن يُنقذهم من العذاب العظيم الذي أعده اللهُ تعالى للكافرين . فهم يتشبثون بالحياة بأيديهم وأسنانهم ، وهم لا يكرهون الموتَ بحد ذاته وإنما يكرهون لقاءَ اللهِ تعالى من أعماق قلوبهم القاسية، لعلمهم أن هناك بعثاً بعد الموت وحساباً عسيراً . ولو كانوا يعلمون أن لا حساب بعد الموتِ فلربما تمنوا الموت بكل إصرار . وهناك فرقٌ هائلٌ بين تمني الموتِ وحب لقاء اللهِ تعالى . فالأول منهيٌّ عنه، فعن سعد بن عبيد أن رسولَ الله ﷺ قال: ((لا يتمنى أحدُكم الموتَ))[2]. لكن الثَّاني أمرٌ طيبٌ ، ويدل على حُسْنِ إسلام المرء . وشيءٌ طبيعيٌّ أن يخافَ الإنسانُ من الموتِ الذي يُعد نقلةً بالغة الخصوصية، ومن مات قامت قيامتُه ، فإما أنه في النَّعيم، وإمَّا أنه في العذاب، والعياذُ باللهِ تعالى. لكن حُبَّ اللهِ تعالى يُنسيك معنى الموتِ وشدته.

---

(١) الفروع ، المقدسي ، (٦/ ١٩٠) .

(٢) متفق عليه . البخاري (٦ / ٢٦٤٤) برقم (٦٨٠٨) ، ومسلم (٤ / ٢٠٦٥) برقم (٢٦٨٢) .

وليكن قصدُك اللهَ تعالى لا شيء سواه[1] . عن عُبادة بن الصَّامت عن النَّبي ﷺ قال : ((من أحبَّ لقاءَ اللهِ أحب اللهُ لقاءَهُ ومَنْ كرهَ لقاءَ اللهِ كرهَ اللهُ لقاءَه))[2] . لذلك يمكننا أن نجزمَ أن اليهودَ يكرهون لقاءَ اللهِ تعالى واللهُ يكره لقاءَهم . وقد ألزمهم اللهُ تعالى الحجةَ وفنَّد دعواهم الواهية بأنهم أولياؤه وكشفَ لنا حرصهم على الحياة ، فقال عزَّ من قائلٍ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) ﴾ [سورة الْجُمُعة] .

وصدق سَيِّدنا المسيح ﷺ إذْ يقول عن اليهود : ((أَيُّها المراؤون ! أَحسنَ إشعَياءُ إذ تنبَّأَ عَنكم فقال : هذا الشَّعبُ يُكرمني بشفتيه ، أمَّا قلبُه فبعيدٌ عني جدًّا !))[3] . ومما لا شك فيه أن الرِّياءَ ضَرْبٌ من عشقِ الدُّنيا وعلائقها مثل مديح النَّاس وانتشار الصِّيت بغير الحق ولفت انتباههم وتحقيق مكاسب دنيوية تافهة . والقلب البعيدُ عن اللهِ تعالى لا بد أنه غاطسٌ في المتع الطينية الحياتية التي تُشغل الفردَ عن الغاية التي خُلِقَ من أجلها والمقصد من وجوده .

والأخلاق السيئة البغيضة مصدرها شدةُ الحرص على الدُّنيا ، حيث أن الحريصين عليها لا يُريدون أن يفقدوها أو تزول من أيديهم ، لذلك يسلكون كل السُّبل غير المشروعة للحفاظ عليها . قال الأشعثُ : ((كان بيني وبينَ رَجُلٍ من اليهودِ أرضٌ

---

(١) اعترضَ بعضُهم على عبارةِ " اللهم ما عبدتُكَ خوفاً من ناركَ ولا طمعاً في جنَّتكَ ولكني وجدتُكَ ربَّاً تستحق العبادة فعبدتُكَ " وهي صحيحة تماماً ، وتُجسِّد معنى التوحيد والعبودية الخالصة . ولنفرضْ أنه لا يوجد جنَّة ولا نار ، ألا يستحق ربُّنا العبادة ؟ . بلى . وانظر كلام البوطي في كتابه السَّلفية ص ٢٠٩ .

(٢) متفق عليه . البخاري (٥ / ٢٣٨٦) برقم (٦١٤٢) ، ومسلم (٤/ ٢٠٦٥) برقم (٢٦٨٣) .

(٣) إنجيل متى (١٥: ٧و٨) .

فجحدني فقدَّمتُهُ إلى النَّبي ﷺ فقال لي رسولُ الله ﷺ : ((ألكَ بَيِّنةٌ))قلتُ : لا. قال : فقال لليهودي : ((احْلفْ)) قال : قلتُ : يا رسولَ الله إذاً يحلفُ ويذهبُ بمالي. فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران : ٧٧]))[١] .

فشدةُ الحرصِ جعلت اليهودي يعتدي على أرضِ غيره ، ولتوفير الشَّرعية لهذه السَّرقة كان مستعداً للحلف واليمين الكاذبِ . وربما يقول أحدُهم إن هذا سلوكٌ فرديٌّ ، فكيف تُعمِّمه على كل اليهود ؟ .

فأقول إن هذا السُّلوك منتشرٌ بين اليهود بحيث صار صفةً لازمةً مُلتصقةً بهم ، ومن لا يُصدِّقني فلينظرْ إلى فلسطين حيث تم سرقة أرض كاملة في وضح النَّهار وطرد شعبها بمباركة كل اليهودِ ، ولو وُجِدَ يهوديٌّ أو أكثر يعارضون قيام الكيان الصهيوني فهذا لا يُلغي التعميم ، لأن النادرَ لا حُكمَ له .

والتَّبذيرُ يعكس لنا مدى ارتباط الناس بحياتهم الدُّنيا ، وحرصهم على المظاهر الاجتماعية الخادعة ، والتفاخر فيما بينهم ، والعلو في الأرضِ بغير الحق . فعن أبي سعيد الخدري : ((أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ امرأةً من بني إسرائيلَ حَشَتْ خاتِمَها مِسْكاً والمسكُ أطيبُ الطِّيبِ))[٢]. وإنني لا أجد تفسيراً لهذه الحادثة سوى التبذيرِ، والحرص على الظهور والبروز في الوسط الاجتماعي بين سَيِّدات المجتمع المخملي . وهذا منتشرٌ

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٨٥١)برقم (٢٢٨٥)، وابن حبان (١١/ ٤٨٢) برقم (٥٠٨٦) وأحمد (١/ ٣٧٩) برقم (٣٥٩٧) ، وابن ماجة (٢/ ٧٧٨) برقم (٢٣٢٢) ، وأبو داود (٣ / ٢٢٠) برقم (٣٢٤٣) ، والترمذي (٣ / ٥٦٩) برقم (١٢٦٩) ، والبيهقي (١٠/ ١٧٩) ، وابن أبي شيبة (٤/ ٣٤٠) ، وأبو يعلى (٩/ ١٢٥) .

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٧٦٦) برقم (٢٢٥٢) ، وأحمد (٣/ ٦٨) برقم (١١٦٦٤) ، والنَّسائي (٥/ ٤٢٩) برقم (٩٤١٣) ، والبيهقي (٣/ ٤٠٥) برقم (٦٤٩٧) ، وأبو يعلى (٢/ ٤٢٩) برقم (١٢٣٢) ، وابنُ الجعد (١/ ٢٢٥) برقم (١٥٠٤) .

بشكل صارخ بين اليهودياتِ حتى في زمننا الحاضرِ[١] ، اللواتي ينتشرن في الأُسَر الثَّرية المتنفذة ، وفي السِّينما العالمية والشَّركات العابرة للقارات والمناصب العُليا، والحفلات التي لا يحضرها إلا عِلْيةُ القومِ، وغير ذلك .

وبوصلة حرصهم تتَّجه إلى جهاتٍ شتى منها تخزين الطَّعام دون حاجة تستدعي ذلك ، وإنما هو شدة تمسكٍ بالأشياء الفانية ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النَّبي ﷺ : ((لَوْلا بَنُو إسرائيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللحمُ))[٢] . ومعنى " خَنَزَ " أي فسدَ وأنتنَ . والمعنى العام : ((أن بني إسرائيل لَمَّا أنزلَ اللهُ عليهم المن والسلوى نُهُوا عن ادخارهما ، فادخروا ففسد وأنتنَ واستمر من ذلك الوقتِ واللهُ أعلم))[٣]. فحب التملك والاستحواذ قادهم إلى ادخار ما نُهُوا عن ادخاره . ولو أنهم امتثلوا للأوامر المعصومةِ وأخرجوا حب الدُّنيا من قلوبهم لَمَا فسدَ اللحمُ حتى يومنا الحالي . لكن الأنانيةَ قالت كلمتها في عقولهم وأوصالهم . وربما يدلنا هذا الفعلُ ــ ولو بشكل غير مباشر ــ على معالم منهجية الاحتكارِ لدى اليهودِ . وروى أبو نُعَيْم بسنده عن وهب بن منبه يقول : ((قرأتُ في بعض الكتبِ: ...ولَوْلا أني كتبتُ الفسادَ على الطَّعامِ لخزَّنَتْهُ الأغنياءُ عن الفقراء))[٤].

واليهودُ مولعون بالتحايلِ واستخدام الأساليب غير الشَّرعية من أجل الإبقاء على مكتسباتهم الدُّنيوية. فالرِّشوةُ ــ كمثالٍ على النزعةِ المسعورة للمحافظة على الدُّنيا التي في قلوبهم وأيديهم ــ متفشيةٌ لديهم من قمةِ الهرم الاجتماعي حتى القاعدة . وقد استخدموها ــ وفق أهدافهم وتفكيرهم ومخططاتهم ــ للتضييقِ على سيِّدنا المسيح ﷺ

(١) وللأسف فقد انتقلت العدوى إلى بلاد المسلمين .

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢١٢) برقم (٣١٥٢)، ومسلم (٢/ ١٠٩٢) برقم (١٤٧٠) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠ ٥٩) .

(٤) حِلْية الأولياء (٤/ ٣٨) .

ومُحاصرة دعوته الإسلامية ، وإفساد الرَّعيةِ وإغوائها بالشَّهوات ، خصوصاً شهوة المال . ((فاجتمعَ رؤساءُ الكهنةِوالشُّيوخُ وتشاوروا في الأمر . ثُمَّ رَشَوُا الجنودَ بمالٍ كثير))[1] . وبغض النَّظر عن مسار وطبيعة الأحداثِ التي رسمها مَتَّى في إنجيله ، فإننا نجد أنه يرسمُ صورةً لأخلاق اليهود القبيحة والمقززة، واستخدامهم للطرق المشبوهة وغير المسموحة. لقد جاؤوا إلى الجنودِ المسحوقين الضائعين فزادوهم ضياعاً بأن استغلوا حاجتهم للمال فاشتروا ذممهم السيئة بما في حوزهم من نقودٍ ، وهذا هو ديدنهم إلى وقتنا الحالي .

وغرورُ الحياةِ الدُّنيا دخل على اليهودِ من ناحيتين : المال والمظاهرُ الخارجية . أما المالُ وطرق تحصيله فلم تَسْلَمْ منها أماكنُ عبادهم . حيث نقلوا تجارهم إلى أماكنهم التي يُفْتَرَضُ أها مقدسة عندهم . ((ثُمَّ دخلَ يَسوعُ الهيكلَ وطردَ من ساحته جميعَ الَّذين كانوا يبيعون ويشترون وقلبَ موائدَ الصَّيارفة ومقاعدَ باعة الحمَام))[2] . ((فوجدَ في الهيكلِ باعةَ البقرِ والغنمِ والحمَام والصَّيارفة جالسين إلى موائدهم))[3] . إذاً ليس عندهم أدنى احترام لأماكن العبادة لديهم ، إذْ أدخلوا فيها الباعةَ والصَّيارفة والحيوانات . قد حولوها إلى أسواقٍ للأنعام وغيرها يُباع فيها البقرُ والغنم والحمَام. لا حُرْمة ولا قُدْسية_ عندهم _ لأماكن عبادهم . فهم لا يحترموها ، فكيف تريد منهم أن يحترموا مقدسات الآخرين ؟! . ومن شدة حرصهم على المالِ زينة الحياة الدُّنيا الفانية ، أقاموا أسواقاً في قلبِ معابدهم . إن كُلَّ شيء عندهم قابلٌ للبيعِ والشِّراء . ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة : ٨٦].

---

(١) إنجيل متى (٢٨: ١٢) .

(٢) إنجيل متى (٢١: ١٢) .

(٣) إنجيل يوحنَّا (٢: ١٤) .

وجاء التَّشديدُ على حُرْمةِ البيع في المسجد لأنه مكانُ عبادةِ لله تعالى لا سُوقٌ أو دُكانٌ . عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : ((إِذا رأيتُم مَنْ يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ فقولوا: لا أربحَ اللهُ تجارتَكَ ، وإذا رأيتُم مَنْ يَنْشُدُ ضالةً فيه فقولوا : لا رَدَّ اللهُ عليكَ))[1] .

وشقيقة المالِ هي المظاهر الخارجية البراقة ، التي تخلب الألباب ، وتمتص إعجاب الناس وافتتانهم بها ، وهذا يُبعدهم عن المعنى الحقيقي والجوهر الداخلي . فكم من الناس ينشغلون بالبهرج الفتان الخارجي ، وينسون لب الأمر وجوهره السامي الذي يحث على عدم الركون إلى البريق لوحده ، فليس كل ما يلمع ذهباً . وحتى دور العبادة التي تُذَكِّر الناسَ بالزُّهد والموت والحياة الآخرة لم تَسْلَمْ من الزَّخرفة والتزيين ، وصارت مصبوغةً بالألوان والزخارف والتصاميم المزركشة ، وهذا كله منهيٌّ عنه ، لأنه ينحرفُ بمكانِ العبادة عن الهدف من إنشائه وتشييده . النَّاسُ يأتون إلى أماكن العبادة ليتركوا اللهاث وراء الماديات في الواقع المعاش ، ويرموا الدنيا وراء ظهورهم بكل زينتها الزائفة ، وبريقها الوهمي الخادع ، لا أن ينبهروا بأحدث الزخارف والألوان الفاقعة والبناء المشيَّد العالي المرتفع. عن ابن عباس قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((ما أُمِرْتُ بتشييدِ المساجدِ))[2] . وقال سَيِّدنا ابن عباس _ رضي اللهُ عنهما _ عن

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٦٥) برقم (٢٣٣٩) وقال : ((هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه)) ، وابنُ خُزَيْمة (٢ / ٢٧٤) برقم (١٣٠٥) ، والنَّسائي (٦ / ٥٢) برقم (١٠٠٠٤)، والترمذي(٣/ ٦١٠)برقم (١٣٢١)، والدَّارمي (١/ ٣٧٩) برقم (١٤٠١) والبيهقي (٢/ ٤٤٧) برقم (٤١٤٢) ، وابن الجارود (١/ ١٤٥) برقم (٥٦٢) . قلتُ : ((وهذا الحديثُ الشَّريف يُستدل منه على أن البيع والشِّراء لا ينعقدان في المسجد ، إذْ لو كانا ينعقدان لما قال النَّبي ﷺ : ((لا أربح اللهُ تجارتك)) . واللهُ تعالى أعلم)) .

(٢) رواه ابنُ حبان (٤/ ٤٩٣) برقم (١٦١٥) ، وأبو داود (١/ ١٢٢) برقم (٤٤٨) ، والبيهقي(٢/ ٤٣٨)برقم (٤٠٩٦).وعبد الرزاق (٣/ ١٥٢) برقم (٥١٢٧) ، وأبو يعلى

المساجد : ((لَتُزَخْرِفُنَّهَا[1] كما زَخْرَفَتِ اليهودُ والنَّصارى)) [2] . فاليهودُ أول من اخترع هذه البدعةَ القبيحة وهي زخرفة أماكن العبادة كمظهر دنيوي بعيد عن معاني الآخرة ، وللأسفِ تبعهم بعض المنحرفين .

والتلويح بالشهوات المادية كان من أهم المحفِّزات على خيانةِ يهوذا الإسخريوطي صاحب أكبر خيانةٍ في التاريخ البشري . ((ثُمَّ ذهبَ يَهوذا الإسخريوطيُّ ، أحدُ الاثني عشرَ ، إلى رؤساءِ الكَهنةِ لِيُسَلِّمَ يَسوعَ إليهم. فلمَّا سمعوا بذلك فرحوا ووعدوه أن يُعطوه مالاً. فأخذَ يتحيَّن تسليمَه في فُرصةٍ مناسبة))[3].

((ولكن ، إن كنتَ تُدعى يَهودياً ، وتَتَّكلُ على الشَّريعة ، وتفتخرُ باللهِ ، وتُميِّزُ ما هو الأفضلُ بسببِ ما تَعَلَّمْتَهُ من الشَّريعةِ ، ولكَ ثقةٌ في نفسكَ بأنكَ قائدٌ للعُميان ، ونورٌ للذين في الظَّلام ، ومُؤَدِّبٌ للجهَّال، ومُعلِّمٌ للأطفال ، ولكَ في الشَّريعة صورةُ المعرفةِ والحق ، فأنتَ إذن ، يا مَن تُعلِّمُ غيركَ ، أمَا تُعلِّمُ نفسكَ؟ أنتَ يا مَن تَعظُ أن لا يُسرَق ، أتسرِق ؟ أنتَ يا مَن تنهى عن الزِّنى ، أتزني ؟ أنتَ يا من تستنكرُ الأصنام ، بالشريعة ، أتُهين اللهَ بمخالفة الشريعة ؟ . فإنَّ ((اسمَ اللهِ يُجَدَّفُ عليه بين الأُمم بسببكم)) ، على حد ما قد كُتِب))[4] . ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

= (٤/ ٣٤٠) برقم (٢٤٥٤) . قال الشَّوكاني في نيل الأوطار (٢/ ١٥٦) : ((صحَّحه ابنُ حبان ، ورجاله رجال الصحيح)) .

(١) وزخرفةُ المساجد والتَّباهي بها من علامات السَّاعة الصُّغرى .

(٢) رواه البخاري (١/ ١٧١) برقم (٤٣٤) .

(٣) إنجيل مرقس (١٤: ١٠و١١) .

(٤) الرسالة إلى روما (٢ : ١٧ _ ٢٤) .

إن حمى الوصول إلى الغاية التي تبرر الوسيلة قد توطدت أركانها مع مجيء اليهود إلى هذا العالَم . والصواب الذي لا محيد عنه أن ميكافيلي بنى على قاعدة " الغاية تبرر الوسيلة " لكنه لم يؤسسها. إنها موجودة في تصرفات اليهود على مر العصور ، وتم تأسيسها على يد قتلة الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ . واتخاذ الخداع منهج حياة يكون من أجل تحقيق مكتسبات لا يمكن تحقيقها بالسبل المشروعة. والمصيبة المدمِّرة أن يعتقد الشخص بإمكانية خداعِ خالقه تعالى وأوليائه . ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٩] .

وتعتمد الأهداف السيئة في نواياهم الخبيثة على استعمال كل الوسائل بدون تحديد، بغية السيطرة على مراكز صنع القرار في شتى المجالات . وللأسفِ فإن دناءة المقاصد وخبثها قد تسلل إلى التعاليم الدينية المنطلقة من أفواه العلماء الفاسقين . وجاء التحذير من التعاليم والوصايا المنحرفة الصادرة من أولئك المنحرفين . ((عندئذٍ أدركَ التَّلاميذُ أنَّهُ لم يكن يُحذِّرهم مِن خَميرِ الخبز بل مِن تعليمِ الفَرِّيسيين والصَّدُّوقيين))[1]. وهنا تكمن الخطورة حيث تخترق الانحرافاتُ منظومة التعاليم الدينية ، ويتم المتاجرة بالدِّين لتحقيق مآرب بعيدة عن الدِّين ، فيصير ألعوبةً بيد العلماءِ الكافرين الذين يعلمون الحق ثم ينحرفون عنه ، وفي طريق انحرافهم تضيع معهم أقوامٌ وبشرٌ كثيرون ، فزَلَّةُ العالِم غير المقصودة زَلَّةُ العالَم ، فما بالك إذا كانت مقصودة ؟! . ولقد ذكر اللهُ تعالى الأحداث التي رافقت انحراف أحد علماء بني إسرائيل ﷺ والملابسات التي أدت إلى تلك الفاجعة . ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

---

(١) إنجيل متى (١٦: ١٢) .

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾[(١)] [سورة الأعراف] .

وعن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ : في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال : ((هو بلعم بن باعوراء))[(٢)] . وبيَّنَ ربُّنا ﷻ مراحل فساد العالِم :

(١) الانسلاخ من آيات اللهِ تعالى وتركها والإعراض عنها واتخاذها وراء الظُّهور .

(٢) الضعف أمام الشيطان ، وبالتالي منحه الفرصة للإغواء .

(٣) الإخلاد إلى الأرض بمعنى الركون إلى شهوات الحياة الدنيا والاستسلام لها والتشبث بركامها .

(٤) اتباع الهوى وتزيين النفس والمؤثرات السلبية .

والخداع مستشرٍ بقسوةٍ يضرب أساسات المجتمع اليهودي في كل روافده ومقوماته . ففي حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ توضيحٌ للخداع التجاري (الغش) لدى أولئك القوم ، حيث قال رسولُ الله ﷺ : ((قاتلَ اللهُ اليهودَ إنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحومَها ـ أي شُحوم الميتة ـ جَمَّلوه ثُمَّ باعوه فأكلوا ثمنَه))[(٣)] . يريدون تحقيق مكسب مادي بواسطة التلفيق والتدليس والخداع . ولأن منهجهم واحدٌ في الرَّوغان ، قَصَّ القرآنُ الكريم بعضاً من خداعهم ، والذي يتجلى في قصة

---

(١) القرآن الكريم ليس رواية أدبية ، وإنما الهدف من قَصَصَه العبرة والتفكر والتَّدبر. فقال تعالى : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، ولم يقل لعلهم يُضيِّعون وقتاً أو يتسلُّون .

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٣٥٥) برقم (٣٢٥٨) ، والطبراني (٩/ ٢١٩) برقم (٩٠٦٤) . وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٥) : ((رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)) .

(٣) متفق عليه . البخاري (٢ / ٧٧٩) برقم (٢١٢١) ، ومسلم (٣ / ١٢٠٧) برقم (١٥٨١) .

أصحاب السَّبت . قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. قال ابنُ كثير[١]: ((فاشتهى بعضُهم السَّمكَ فجعل الرجلُ يحفر الحفيرة ويجعل لها نهراً من البحرِ فإذا كان يوم السبت فتحَ النهرَ فأقبل الموجُ بالحيتان يضربها حتى يُلقيَها في الحفيرة فيُريد الحوتُ أن يخرج فلا يُطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فيها فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجلُ يشوي السمك فيجد جارُه روائحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جارُه حتى فشا فيهم أكلُ السمك فقال لهم علماؤهم ويحكم إنما تصطادون يوم السَّبتِ وهو لا يحل لكم فقالوا إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه)) .

يظهر لنا أن التحايلَ أحد مكونات العقل اليهودي في كل العصور . ((الويلُ لكم فإنكم تُشبِهون القبورَ المخفية يمشي الناسُ عليها وهم لا يعلمون !))[٢] . ويستمرُ التَّوبيخُ الشَّديدُ لهؤلاء الشَّواذ عن النسق الحضاري الإنساني . فقال _ أي سيدنا المسيح _ : ((والوَيلُ أيضاً لكم يا عُلماءَ الشَّريعة فإنكم تُحَمِّلون الناسَ أحمالاً مُرهِقَة وأنتم لا تَمَسُّونها بإصبع من أصابعكم))[٣] . فالخداعُ ضاربٌ جذوره من قاع المجتمع اليهودي الإرهابي حتى قمته في كل الأزمنة .

والتدليس واستعمال الخدع واضح في المظاهر التي ظاهرها الصلاح وباطنها القذارة والغش . وقد وصلَ إلى أماكن ربما تُثير العجب والاستغراب . لكن الهوسَ المخادِع احتل شُغاف قلول أولئك القوم فلم يتركهم إلى حينما أوصلهم إلى حضيض التحايلِ . والغريبُ أن ذلك السُّم قد تفشى في رجالهم ونسائهم على حد سواء . وما

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٧) .

(٢) إنجيل لوقا (١١: ٤٤) .

(٣) إنجيل لوقا (١١: ٤٦) .

كان ليحصل ذلك لو وُجد علماء مخلصون يُصحِّحون مسيرة المنحرفين ، فما بالك إذا كان العلماءُ أنفسهم منحرفين ؟! . مجتمعٌ ضائعٌ بأكمله وسفينة تَغرقُ ولا رُبَّان يُوَجِّه الدفة بالاتجاه الصحيح . فعن سَمُرَة بن جُنْدب أن رسولَ الله ﷺ قال : ((إياكم والغُلو والزَّهو فإن بني إسرائيلَ قد غَلا كثيرٌ منهم حتى كانت المرأةُ القصيرةُ تتخذُ خُفَّين من خَشَبٍ تحشوهما ثُمَّ تُولج فيهما رِجْليها ثم تَعْمَدُ إلى المرأة الطويلة فتمشي معها فإذا هي قد ساوتْ بها أو كانت أطولَ منها))[1]. وهذا هو الأساسُ لموضة "الكعب العالي" التي وقعت في براثنها الكثيراتُ من صغيرات العقول . إن الغالبية الساحقة من المصائب التي تضرب كوكبنا هي على وجه التحقيق من صنع اليهود . وعندما تُنهي قراءة هذا الكتاب ستعلم أنني لا أرمي التهم جُزافاً ، وإنما كل تُهمةٍ يؤيدها دليلٌ أو أكثر .

إن هاتين الخصلتين ـ الخداع والكذب ـ من المحرِّكات الرئيسية لتحريفِ كلامِ الله تعالى . أي خداع الناس بواسطة تبديل الكلام الإلهي والكذب على الخالق تعالى . قال تعالى عنهم : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

وهؤلاء الفئة الذين كانوا يسمعون كلامَ الله تعالى ثم يُحرِّفونه ، هم بالتأكيد من علماء الشَّريعة الذين ضَلُّوا وأضلُّوا ، لأن العلماء كانوا يحتكرون المنظومة الدينية ويتلاعبون

---

(١) رواه الطبراني (٧/ ٢٦٧) برقم (٧٠٩٤). وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٢) : ((رواه الطبراني في الكبير وفيه مروان بن جعفر ـ وهو السمري ـ وثَّقه ابنُ أبي حاتم . وقال الأزدي يتكلمون فيه . وقال الذهبي له نسخة فيها مناكير)) . قلتُ : لكن هذا الراوي تم توثيقه ، فقد قال ابنُ أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٧٦) : ((سألتُ أبي عنه فقال : صدوق صالح الحديث)) . قلتُ : ((وليس هذا الحديث ما يُنكَر عليه كما وضَّح ذلك ابنُ حجر في لسان الميزان (٦/ ١٥) . إذن كلام الذَّهبي لا يتعلق بالحديث أعلاه)) .

بها بحيث يضمنون نفوذَهم ومصالهم بين عامة الشّعب [1] . ولأن الإخلاص كان غائباً عنهم وقعوا في مصيدة الرِّياء الذي هو ضَرْبٌ من الخداعِ والكذب على النَّفس الفاسدة . ((الوَيلُ لكم أيها الفَرِّيسيون فإنكم تُحبُّون تَصَدُّر المقاعدِ الأولى في المجامع وتَلَقِّيَ التَّحيات في السَّاحات العامة))[2] . ((الوَيلُ لكم يا عُلماءَ الشَّريعة فإنكم خطفتم مِفتاحَ المعرفة ، فلا أنتم دَخَلتُم ولا تركتم الدَّاخلين يدخلون !))[3] ((احذروا لأنفسكم مِن خَميرِ الفَرِّيسيين الذي هو الرِّياء !))[4] .

يتَّضح لنا مدى الضَّلال الذي يرتع فيه شُذَّاذ الآفاقِ ، والمناهج البائسة التي يتخذونها نبراساً في حياتهم المعتمةِ ، فمثلهم كمن يُريدون ضوءاً في الليلِ فيذهب ويحرق بيته كي يحصل على الضوء ! . حَرِيٌّ بهم أن يعودوا إلى خالقهم تعالى ويعتنقون الصِّراط المستقيم الذي هو الإسلام . وهذه الكلمات موجهة إلى يهود عصرنا الذين ما زالوا يملكون فرصةً للنَّجاةِ إذا أسلموا ، وأرجو أن لا يُضيعوها كما ضيعها أجدادُهم الذين فرَّطوا بفرص عديدة ! .

***

(١) والشّعب يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية لأنه استمرأ الذل والهوان والخضوع للباطل .

(٢) إنجيل لوقا (١١: ٤٣) .

(٣) إنجيل لوقا (١١: ٥٢) .

(٤) إنجيل لوقا (١٢: ١) .

إن الفاسقين الذين لا يستطيعون مقابلتك وجهاً لوجه ولا يقدرون على مواجهتك أو التصدي لك بالوسائل الظاهرة ، سوف يستخدمون الأساليب الخفية لتدميرك وسحقك وتحطيمك . فتكون الوجوه مبتسمةً لك ، ولكنْ في الحقيقة هناك حربٌ شرسةٌ تدور في السر يُحرِّكونها ضدك . والسِّحرُ ثابتٌ ومُجْمَعٌ عليه بين المسلمين بحيث إن مُنْكِرَه كافرٌ بالإجماع لأنه أنكرَ معلوماً من الدِّين بالضرورة وكَذَّبَ القرآنَ الكريم في أكثر من موضع، فقد قال تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة : ١٠٢]. وقال تعالى : ﴿ وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] . وقال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ [يُونُس : ٨١] .

واختلف أهلُ العلم حول موضوع حقيقة السِّحرِ . فذهب أهلُ السُّنَّة إلى أن له حقيقةً ، وذهبَ عامةُ المعتزلة إلى أن لا حقيقة له وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام[1] .

واليهود مولعون بحبك المؤامرات والمكائد ، وفي كثير من الأحيان لا يقدرون على المواجهة جِهاراً نهاراً فيعمدون إلى العملِ في الخفاء والسر . فالجماعات اليهودية على مر السنوات كما لو كانت منظمة سرية كبيرة تُدار بحرفية إرهابية عالية . ولن يجد اليهودُ أفضل من السِّحر لتدمير الآخرين والانتقام منهم بسبب خفائه وعدم ظهوره وصعوبة معرفة مصدره .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . قال

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٤٦) .

السُّدي : ((عارضت اليهودُ محمداً ﷺ بالتَّوراة فاتَّفقت التَّوراةُ والقُرآنُ فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت))[1] .

إننا نرى اعتماد أولئك المغضوب عليهم بشكل رئيسي على السِّحر كسلاحٍ ضد الخصومِ . لقد أعلنوا رفضَهم لكتاب اللهِ تعالى ، وتمسكَهم بطرق السِّحر وطلاسمه وعالَمه . وتنبع خطورةُ السِّحر من كمونه واستتاره ، فالشخص يكون أمام عدو خفي لا يدري وُجهته . وعلى المسلم التحصن بكتاب اللهِ تعالى والسُّنَّة الصحيحة في مواجهةِ هذا العدو الشرس . مع الانتباه إلى أن المسلم حتى لو حافظَ على الأذكارِ الشَّرعية فهو ليس بمعصومٍ من الوقوعِ في السِّحر ، فسيدنا محمد ﷺ عبدُ الله ورسوله المعصومُ أعبدُ المخلوقاتِ وأتقاها ، ولن يبلغَ إنسيٌّ أو جِنِّيٌّ مبلغَه من العلم النافع والعمل الصالح ومع هذا سُحِرَ على أيدي المتخصصين في هذه الصَّنعة البائسة التي تُرسل صاحبها إلى جهنم . إنها صناعة من لا خَلاق لهم في الآخرة. وكان اللهُ تعالى قادراً أن يُدافع عنه ، إلا أنه تعالى أراد تحذيرنا كي نأخذ حِذْرنا . فمشيئة اللهِ تعالى نافذة في كل شيء، وعلينا بالصَّبر ومقاومة السِّحر بالوسائل الشَّرعية. ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

عن السَّيدة عائشة _ رضي اللهُ عنها _ قالت : سَحَرَ رسولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ من بني زُرَيْق يُقال له لبيد بن الأعصم[2] حتى كان رسولُ الله ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال : ((يا عائشة أَشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل، فقال : مطبوب . قال: من طبه ؟ ، قال : لبيد بن الأعصم ، قال : في أي شيء ، قال : في مشط

(١) المرجع السابق (٢/ ٤١) .

(٢) يهودي من يهود بني زُرَيْق .

ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال : وأين هو ؟ ، قال : في بئر ذروان[1])) . فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال : ((يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)) قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته . قال : ((قد عافاني الله فكرهتُ أن أثور على الناس فيه شراً)) فأمر بها فدُفنت[2] .

انظر إلى حقد اليهود الذي دفع واحداً منهم _ وهو نسخةٌ مصغرة عنهم _ إلى سَحْر النَّبي ﷺ محاولة يائسة وفاشلة _ كالعادة _ في إجهاض الدعوة الإسلامية بتدمير زعيمها . وانظر كيف قابلَ النَّبيُّ ﷺ الإساءةَ بالصَّفحِ والتجاوز ، فهذه أخلاقه السمحة في مواجهة كُفْرِ اليهودِ غير المسبوق .

وجاءَ كومةٌ من المستشرقين العاطلين عن العمل مِن عُبَّاد الصليب والصهاينة ورموا التشكيك والارتياب الذي يرتد عليهم _ كالعادة _ حول سيرِ الدعوة الإسلامية في ظل أن النَّبي ﷺ سُحِرَ ، ومدى تأثير السِّحر على التعاليم الإسلامية .

فنقول لهؤلاء الحفنة : إن بشرية رسول الله ﷺ معرضةٌ مثل باقي الناس إلى الإعياء والمرضِ والتعب النفسي والجسماني وحتى أنها تَعَرَّضت إلى السِّحر ، لكن هذه العوامل لا سبيل لها إلى الدعوةِ والرِّسالة ، فالنَّبي معصومٌ في التبليغ عن اللهِ تعالى ، واللهُ تعالى حافظٌ لرسالته ، وهذا لا يتنافى مع تعرض الرَّسول لما قد يتعرض له أي إنسان .

وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٢٧) : ((وقد قال بعضُ العلماء : لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعلَ الشيء ولم يكن فَعَلَه أن يَجزم بفعله ذلك وإنما يكون ذلك من

---

(١) وجاءت روايات صحيحة تذكر اسم البئر " ذي أروان " .

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢١٧٤) برقم (٥٤٣٠)، ومسلم (٤/ ١٧١٩) برقم (٢١٨٩). [مطبوب : مسحور. والمشاطة : ما يخرج من الشَّعر إذا مُشِّطَ] . قلتُ : ((وفيه دليلٌ على أن ساحرَ أهلِ الذِّمة لا يُقتَل ، لأن النَّبي لم يقتله . أما إذا تَرَتَّب على سحره قتل نفس متعمداً فإنه يُقتَل بها)) .

جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حُجَّة)) .

((وكان _ سَيِّدنا عبد الله بن الزُّبير _ أولَ مولودٍ وُلِدَ في الإسلامِ ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيلَ لهم إن اليهودَ قد سَحَرَتْكُم فلا يُولدُ لكم))[1] . إذن هناك جو عام سائد حول اعتناق اليهود للسِّحر ديناً ومنهجَ حياة لا محيد عنه ، وأن مناخاً من عدم الرَّاحة كان سائداً بسبب إرهابِ المغضوب عليهم الذي يتكرر في أمكنةٍ أخرى وأزمنة مختلفة تتَّضح من خلال النصوص الإنجيلية .

((فحملَ إليه النَّاسُ مَرضاهم المعانين منَ الأمراضِ والأوجاعِ على اختلافها ، والمسكونين بالشَّياطين ، والمصروعين))[2] . هذا النَّص يُبيِّن أن هناك مسكونين بالشَّياطين ومصروعين . وعلينا أن نعلمَ أن المنطقة التي تجري فيها الأحداث يسكنُها اليهودُ المشهورون بالسِّحر ، وإنني أرى لهم دَوْراً في تلك الظواهرِ التي بينها وبين السِّحر رابطة قوية . خاصة إذا علمنا أن للصَّرع علاقة بالجن ، والجن في الغالب لا يُسَلَّط على الإنسان إلا بوجود سِحْر . ((وقد يكون الصَّرعُ من الجن ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذية به))[3] . قال تعالى : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . وقال القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٥٥) : ((في هذه الآية دليلٌ على فساد إنكار من أنكرَ الصَّرع من جهة الجن وزعمَ أنه مِن فِعل الطبائع وأن الشَّيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس)) .

((وكان في مَجمَعهم هناك رَجُلٌ يسكنُه رُوحٌ نَجِس))[4] . إذن الأمرُ واضحٌ ولا

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٠٨١) برقم (٥١٥٢) .

(٢) إنجيل متى (٤: ٢٤) .

(٣) فتح الباري (١٠/ ١١٤) .

(٤) إنجيل مرقس (١: ٢٣) .

يحتاج إلى فَرْط تأويلٍ يُحرفه عن مساره الطبيعي. والصَّرع له سببان : أخلاطٌ وأرواح. وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ١١٤) : ((قال أبقراط لما ذكرَ علاجَ المصروع : هذا إنما ينفعُ في الذي سببُه أخلاطٌ وأما الذي يكون من الأرواح فلا)) .

وللأنبياءِ دورٌ واضحٌ في علاج هذا الأمر ، وطرد الجن من بدن المصروع . عن أم أبان بنت وازع عن أبيها أن جَدَّها الزَّارع انطلقَ إلى رسولِ الله ﷺ فانطلقَ معه بابن له مجنون أو ابن أُختٍ له . قال جَدِّي : فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ المدينةَ قلتُ : يا رسولَ الله ، إن معي ابناً لي أو ابن أُخت لي مجنون أتيتكَ به تدعو اللهَ عَزَّ وجَلَّ له ، فقال : ((ائتني به)) ، فانطلقتُ به إليه وهو في الرِّكاب فأطلقتُ عنه وألقيتُ عنه ثيابَ السَّفر وألبستُه ثوبين حسنين وأخذتُ بيده حتى انتهيتُ به إلى رسولِ الله ﷺ فقال : ((ادْنُهُ منِّي ، اجعلْ ظَهْرَه مما يليني)) ، قال : فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعلَ يضربُ ظَهْرَه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه وهو يقول : ((اخْرُجْ عَدُوَّ الله اخْرُجْ عَدُوَّ الله))، فأقبلَ ينظرُ نظرَ الصحيح ليس بنظره الأول ثم أقعده رسولُ الله ﷺ بين يديه فدعا له بماءٍ فمسح وجهَه ودعا له فلم يكن في الوفدِ أحدٌ بعد دعوةِ رسولِ الله ﷺ يفضل عليه))[1] .

---

(١) رواه الطبراني (٥/ ٢٧٥) برقم (٥٣١٤) . وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣) : ((رواه الطبراني وأم أبان لم يرو عنها غير مطر)) . ومطر هو مطر بن عبد الرحمن الأعنق . قال ابنُ أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٨) : ((سُئل أبي عنه فقال : محله الصِّدق)) . وقال المزي في تهذيب الكمال (٢٨/ ٥٥) : ((قال أبو حاتم : محله الصِّدق . وذكره ابنُ حبَّان في كتاب الثِّقات . روى له البخاري في الأدب وفي أفعال العباد)) . وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٥٣٤) : ((صدوق)) . وقال الذَّهبي في الكاشف (٢ / ٢٦٩) : ((وُثِّقَ)) . أما أم أبان فقد روى لها البخاري في الأدب وفي أفعال العباد كما في تهذيب الكمال (٣٥/ ٣٢٦) . وروى لها أبو داود وسكتَ على حديثها كما في مجمع الزوائد (٩/ ٣٩٠). وقد رمى بعضُهم أم أبان =

والأمرُ ذاته كان قد حصلَ مع سَيِّدنا المسيح ﷺ من قبل ذلك حيث لاقاه رَجُلان تسكنُهما الشَّياطين . ((فقالت الشَّياطين ليسوع : إن كُنتَ ستطردُنا فأرْسِلْنا إلى قطيع الخنازير . فقالَ لهم: اذهبوا !))[1] . فالأمر كما يتَّضح ثابتٌ عند المسلمين والنَّصارى ولا يُنكره إلا ضال مُعانِد .

***

= بالجهالة ، لكننا نقول إن من يعلم حجة على من لا يعلم ، وأم أبان قد روى لها البخاري أكثر من مرة ، وسكت أبو داود على حديثها .

(١) إنجيل متى (٨ : ٣١ و٣٢) .

إنها خصلةٌ مذمومةٌ تستدعي تمني النِّعمة مع زوالها عن مستحقيها ، أما إذا تمنى الإنسانُ زوالَ النعمة عن غير المستحق فلا يكون ذلك حسداً ، والله تعالى أعلم . وقد ابتكرها إبليس _ عليه لعنةُ الله تعالى_ حيث حسد آدمَ ﷺ على ما أُعطيَ من كرامةٍ ، وقد ظنَّ اللعينُ أن النارَ التي خُلقَ منها تستلزم أن تكونَ أفضلَ من الطينِ الذي خُلقَ منه سَيِّدنا آدم ﷺ . إذن الحسد نابعٌ من قياسٍ خاطئ ومقارنة غير صائبة . فلا يكون القياسُ صحيحاً إذا اختلفت العلةُ ، لأن القياس الصحيح يتطلبُ ثبات العلةِ وعدم اختلافها ، كما أنه إذا سقطت العلةُ سقط المعلول _ كما هو مقررٌ في الأصول _ .

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] . فهم متلبسون بالحسدِ بسبب قلوبهم المريضة وحبها لما هو قبيحٌ وكرهها للحق . وعن سبب نزول هذه الآية الشَّريفة ، قال السُّيوطي في لُباب النقول (١/ ٢٥) : ((وكان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ الآية)) .

وفي الحديث الحسن أن رسولَ الله ﷺ قال : ((إِنَّ اليهودَ قَوْمٌ سَئِمُوا دِينَهُمْ وَهُمْ قَوْمُ حَسَدٍ وَلَمْ يَحْسُدُوا المسلمينَ على أفضل مِن ثلاثٍ : رد السَّلام ، وإقامة الصُّفوف وقولهم خلف إمامهم في المكتوبةِ آمين))[1] . فرفضُ الدِّين كان المحرِّك الأساسي

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ١٤٦) برقم (٤٩١٠). قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٤): ((رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن)) . ومثله قال الهيثمي في المجمع (٢/ ١١٣) .

للحسد نتيجة غياب المنظومة الأخلاقية وزوال الشَّرعية عنها . وحسدهم شاملٌ عام إلا أنه يتمحور بشكل خاص حول ثلاث مسائل وضَّحها الحديثُ الشَّريفُ تشكل ظواهر الوحدة والتماسك والتكافل في المجتمع الإسلامي المتين . مما يعني أن اليهودَ يُريدون تفرقة الآخرين وتشتيتهم وفق قاعدة " فَرِّقْ تَسُدْ " ، كي تخلوَ لهم السَّاحة يعيثون في الأرضِ فساداً دونما حساب أو عقاب في الدُّنيا أو الآخرة ، ولكنْ هيهات .

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِه ﴾[النِّساء: ٥٤].

وقال ابنُ كثير (١/ ٥١٤) : ((يعني بذلك حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه اللهُ من النُّبوَّة العظيمة ومَنَعَهُم من تصديقهم إياه حسدُهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل)) .

ويُثبِت مرقسُ في إنجيله خصلةَ الحسد على اليهود مع الانتباه إلى أن اليهودَ لم يقبضوا على سَيِّدنا المسيح ولم يُسَلِّمُوه إلى أي جهة . ((لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ رؤساءَ الكَهَنةِ كانوا قد سَلَّموه عن حَسَدٍ))[1] .

وهذا الخُلُقُ الذَّميم عواقبه وخيمة ، وحينما يضرب قلبَ الإنسان فإنه يُعمي ويُدمِّر . وفي كثير من الأحيان يقود إلى الخيانةِ والجريمة . وخيانةُ يهوذا الإسخريوطي تستمد أحد أبرز دوافعها من الحسدِ ، وكذلك علْية القوم . ((وقالَ : كَمْ تُعطونني لأُسَلِّمه إلَيكم ؟ . فوَزَنوا له ثلاثينَ قِطعةً منَ الفِضَّة . ومن ذلك الوقتِ أخذَ يهوذا يتحيَّن الفُرصةَ لتسليمه))[2] . إن الحسدَ والطمعَ وقودُ الخيانةِ الذي يدفعك إلى التفريطِ بأقرب الناسِ إليك من أجل عَرَض دنيوي زائل . فكم من خائنٍ أقدمَ على فِعْلته القبيحة بدعوى الحسدِ، حيث يرى نفسَه أهلاً للمجد، والآخرين ليسوا كذلك .

((إذا يهوذا أحدُ الاثني عشرَ قد وصلَ ، ومعه جَمْعٌ عظيمٌ يحملون السُّيوفَ

---

(١) إنجيل مرقس (١٥: ١٠) .

(٢) إنجيل متى (٢٦: ١٥و١٦) .

والعِصِيَّ وقد أرسلَهم رُؤساءُ الكَهَنةِ وشيوخُ الشَّعب))[1] . لكن مخططَ الجريمةِ جرى بعكس الذي يشتهونه ، فَصُلِبَ شَبيهُ سيدنا المسيح ﷺ جَزاءً وِفاقاً .

***

(١) إنجيل متى (٢٦: ٤٧) .

ما الذي يدفعك إلى الاعتقاد أنك أفضل من الآخرين ؟ . إنه الغرورُ والكِبْر وسوء قراءة للنصوص . وقد وضَّح لنا ربُّنا تعالى أن الأفضلَ هو الأتقى. ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الْحُجُرات : ١٣] . ولم يقل اللهُ تعالى إن أكرمكم أتقاكم ، وذلك لأن كل واحدٍ سيدعي أنه الأكرم وسيفهم من خلال زعمه أنه الأتقى . لكن اللهَ تعالى حدَّد المسألة بأن الأكرمَ عندَ اللهِ تعالى هو الأتقى ، ولسنا نعلم ما مكانتنا عنده تعالى ، وبالتالي لا سبيلَ للإنسان أن يطلع على مستواه ومكانته . فلا يبقى بعد هذا قدرةٌ للإنسان أن يحكمَ بأنه تقي . والتقوى محلها القلبُ وتظهر آثارُها على الجوارحِ . قال رسولُ الله ﷺ : ((التَّقْوى ههنا _ ويُشيرُ إلى صَدْره ثلاث مرات _))[1] .

والخاتمةُ التي سيموتُ عليها المرءُ لا يعلمها إلا اللهُ تعالى. لذلك_في حقيقة الأمر _ لا يمكن الحكمُ الحقيقي على شخصٍ بالرَّشاد أو الضلال إلا من خلال أفعالٍ ظاهرية معرضة للتبدل والتقلب والتغير . فأنا لا أعلمُ هل سأموتُ مُسلماً أم كافراً ؟. والكفار في هذا العالَم لا يعلمون هل سيموتون كفاراً أم مسلمين. لكن رجاءنا باللهِ تعالى مولاي عظيمٌ ، ونعوذُ به من الخذلان . لذلك منهج المسلمين عدم الحكمِ على المسلم بجنةٍ أو نارٍ ، فهذا الأمر ليس في نطاق مسؤوليتنا .

أما الحكم على الجماعةِ فجائزٌ فمثلاً تقول : المسلمون في الجنةِ ، أو اليهود في النار ، أو النصارى في النار . أو تقول : لعنةُ الله على اليهود والنصارى أو لعنة الله على المنافقين . وهذه عباراتٌ سليمةٌ تماماً صحيحة المعنى والمبنى . لكن الحكمَ على الفردَ المعيَّن بجنةٍ أو نارٍ أو لعنَه غير جائز البتة إلا إذا وردَ دليلٌ شرعيٌّ يقضي بذلك .

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٦) برقم (٢٥٦٤) ، وأحمد (٢ / ٢٧٧) برقم (٧٧١٣) ، والبيهقي (٨/ ٢٤٩)، وعبد بن حميد (١/ ٤٢٠) برقم (١٤٤٢) .

مثل لعن إبليس ، حيث أن لعنَه من الأمور المعلومة من الدِّين بالضرورة بحيث إن مُنكِر لعنه كافرٌ .

والحق أن بني إسرائيل ﷺ فضَّلهم اللهُ تعالى على العالَمين إلا أنهم لم يُقَدِّروا هذه النعمةَ وظلموا أنفسهم فَسُحِبَ منهم هذا الشَّرفُ وأُعطيَ لأمة سيِّدنا محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًاً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ﴾ [سورة الجاثية] . فالخالق تعالى يُؤتِي مُلْكه من يشاء وينزعه ممن يشاء.فهو المتصرفُ في مُلْكِه وكل شيء مُلْكه . وجاء تفضيلُ الأمة المحمدية الإسلامية بعد أدائها الممتاز في حمل الرِّسالة كاملةً غير مُجتزئة. قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وما زال اليهودُ إلى يومنا مقتنعين بخرافة التفوق والاستعلاء على الآخرين ، ودائماً ما يُردِّدون خُرافة " شعب الله المختار " ، والحقيقة أنهم شعب الشيطان المختار كما يُوضِّح هذا الكتابُ بالأدلة الدَّامغة لدى المسلمين والنصارى ، لأننا بفضلِ الله تعالى _ كمسلمين _ لم نتعود أن نُلقيَ التُّهم في الشَّرق والغرب جُزافاً .

قال تعالى فاضحاً غرورَهم الاستعلائي : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[البقرة: ١١١] . فالخدعةُ التي صدقوها والقائلةُ بأنهم بشرٌ درجة أولى وباقي البشرِ درجة عاشرة ما زالت تُحرِّكهم نحو الهاوية السحقية ، وغرهم أيما غرورٍ ، وقد أدى إلى اعتقادهم بأنهم سيدخلون الجنَّة فوراً وبدون تأخير ، وكأن الجنَّة قصر ريفي يشترونه بأموالهم ويسيطرون عليه بنفوذهم . وما درى اليهود أنهم لن يَدخلوا الجنَّةَ مُطلقاً .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي

دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٤] . فمن الناحية الأخرى فالنار لن تمسهم إلا عدة أيام هي عدد أيام عبادتهم للعجلِ _ حسبما يزعمون _ ، فحتى كلامهم عن دخول النار لا يخلو من تكبر واستعلاء وغرور . وما ذلك إلا لجهلهم بخالقهم تعالى ، ونظرتهم الدُّونية إلى كل من هو ليس منهم ، وتقديس للشخصية اليهودية فاق كل الهلوسات وجنون العظمة والنَّرجسية .

والعُلُوُّ في الأرضِ بغير الحق والاستعلاء بحطام الدُّنيا وبالأنساب الكافرة يتَّضح في هذا الحديث الذي يتحدث عن رجلين في بني إسرائيل أحدهما يُمثِّل معسكر الإيمان ، والآخر معسكر المشركين . عن معاذ بن جبل عن النَّبي ﷺ قال : ((انتسبَ رَجُلان من بني إسرائيل على عهدِ موسى ﷺ أحدهما مُسْلمٌ والآخر مُشركٌ ، فانتسبَ المشركُ فقالَ : أنا فُلان بن فلان ، حتى عَدَّ تسعةَ آباء ثُمَّ قال لصاحبه : انتسبْ لا أُمَّ لكَ ، فقال : أنا فُلان بن فلان وأنا بريءٌ مما وراءَ ذلك . فنادى موسى في النَّاسِ فجمعهم ثم قالَ : قد قُضِيَ بينكما أما أنتَ الذي انتسبتَ إلى تسعةِ آباء فأنتَ تُوفِّيهم العاشرَ في النَّار وأما الذي انتسبتَ إلى أبويكَ فأنتَ امرؤٌ من أهل الإسلام))[1] . فقد ظن المشركُ أن نسبَه سيُعليه على النَّاسِ ، وهذا الفعلُ يُمثِّل عادةً اجتماعيةً عند المتكبرين في الأرضِ من اليهود الذين يعتبرون أنفسهم سادةً وباقي الناس خُدَّاماً لهم في مستوى الحيوانات أو أقل .

وتعرضُ الأناجيلُ بعض المواقف التي تدل على استعلاء اليهود واستخدامهم لفرضية التفوق العرقي الأسطورية . ((وبينما يسوعُ يتكلَّمُ بهذا ، آمنَ بِهِ كثيرون .

---

(١) رواه الطبراني (٢٠ / ١٣٩) برقم (٢٨٤) واللفظ له ، وأحمد (٥ / ١٢٨) برقم (٢١٢١٦)، وعبد بن حميد (١/ ٩٢) برقم (١٧٩) . وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٨٦) : ((رواه الطبراني وأحمد موقوفاً على مُعاذ . وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وكذلك رجال أحمد)). قلتُ: ((اختلطَ الأمرُ على الحافظ الهيثمي وظن الحديث موقوفاً مع أنه مرفوعٌ)).

فقالَ لليهودِ الذين آمنوا بهِ : إن ثَبَتُّم في كلمتي كُنتم حقاً تلاميذي وتعرفون الحقَّ والحقُّ يُحرِّركم . فردَّ اليهودُ : نحن أحفادُ إبراهيم ولم نكن قَطُّ عبيداً لأحد ! كيف تقول لنا : إنكم ستصيرون أحراراً ؟ . أجابهم يسوع : الحقَّ الحقَّ أَقول إنَّ مَن يرتكبُ الخطيئةَ يكون عبداً لها))[1] . فهم على الرَّغم من كل الكوارث والإرهاب الذي مارسوه باحترافٍ يتبجحون بمخاطبةِ نَبِيِّ اللهِ تعالى ورسوله سيدنا المسيح ﷺ، ويتوارون وراء انتسابهم إلى سيدنا إبراهيم ﷺ، وإنني لا أجد أفضل من قوله تعالى في الرد عليهم : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا واللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨] .

ومن الكوارث البطرسية ـ نسبةً لبطرس ـ التي تكشف بوضوح بالغ استكبارَ اليهودِ ونظرتهم الدُّنية للآخرين ها النص : ((أنتم تعلمون أنَّهُ مُحَرَّمٌ على اليهوديِّ أن يتعاملَ معَ الأجنبيِّ أو يَزورَه في بيته))[2]. انظر إلى درجة التَّرفع عن بني الإنسان ، واعتبارهم أقل من مستوى البشرِ ، فحسب الكابتن بطرس مُحرَّم على اليهودي التعامل مع كل ما هو غير يهودي . ربما لأنه يخاف أن يتنجَّس أو يتلوَّثَ، وحتى عدم الزِّيارةِ في بيته . وقارن بين هذين الموقفين المرعبين وبين موقف شريعتنا الإسلامية السمحة . فعن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ((أن النَّبي ﷺ اشترى من يَهوديٍّ طعاماً إلى أجلٍ وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ))[3] . ففيه دليلٌ واضحٌ كالشَّمس على جواز معاملة اليهودِ وغيرهم والبيع والشراء معهم ، وجواز رهن السِّلاح عندهم وعند غيرهم .

ويجوز زيارة اليهودي في منزله ، على عكسِ التطرف وانعدام حقوق الإنسان في

---

(١) إنجيل يوحنا (٨: ٣٠_٣٤) .

(٢) أعمال الرُّسل (١٠: ٢٨) .

(٣) رواه البخاري (٢/ ٨٨٧) برقم (٢٣٧٤) ، ومسلم (٣ / ١٢٢٦) برقم (١٦٠٣) .

اليهودية والنصرانية . عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلامٌ زفر ـ يهوديٌّ ـ يخدمُ النَّبيَّ ﷺ فمرضَ فأتاه النَّبيُّ ﷺ يعودُه فقعدَ ثَمَّ رأسه فقالَ له : ((أَسْلِمْ)) ، فنظرَ إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ . الرَّاوي : فخرجَ النَّبيُّ ﷺ وهو يقولُ : ((الحمدُ للهِ الذي أنقذَه من النَّار))[1] . وإنني أتركُ للقارئ عقد المقارنة بين موقف الإسلام من غير المسلمين وبين موقف غير المسلمين من الإسلام وأهله .

وصدقَ سَيِّدُنا المسيح ﷺ إذْ يقول لليهود : ((فَلَوْ كُنتم صَدَّقْتُم مُوسى لكنتم صَدَّقتُموني))[2] . صدقتَ يا سَيِّدنا المسيح ﷺ ، فالأنبياء إخوةٌ دينهم الإسلام يسيرون على نفس المنهج ، ولو صَدَّقوك لكانوا صَدَّقوا سيدنا محمداً ﷺ ، لكن أمر اللهِ تعالى كان مفعولاً ولم يشأ أن يَهديَهم . ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] .

نسأل اللهَ تعالى الثَّباتَ على الدِّين الإسلامي المقدَّس ، والحمد للهِ رب العالمين في الأولى والآخرة .

***

(١) رواه البخاري (١/ ٤٥٥) برقم (١٢٩٠) ، وأحمد (٣/ ٢٨٠) برقم (١٤٠٠٩) ، وأبو داود (٣ / ١٨٥) برقم (٣٠٩٥) ، والبيهقي (٦ / ٢٠٦) برقم (١١٩٣٧) ،

(٢) إنجيل يوحنا (٥: ٤٦) .

المراجع

١_ البداية والنهاية لابن كثير/ مكتبة المعارف .

٢_ تاريخ الطبري/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤٠٧ .

٣_ الترغيب والترهيب للمنذري/ تحقيق إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٧ .

٤_ تفسير ابن كثير/ دار الفكر/ ١٤٠١ .

٥_ تفسير الطبري/ دار الفكر / ١٤٠٥ .

٦_ تفسير القرطبي / تحقيق أحمد البردوني / دار الشعب / الطبعة الثانية ١٣٧٢ .

٧_ تقريب التهذيب لابن حجر/ تحقيق محمد عوامة / دار الرشيد/ الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

٨_ تهذيب التهذيب لابن حجر/ دار الفكر/ الطبعة الأولى ١٤٠٤ .

٩_ تهذيب الكمال للمزي/ تحقيق د. بشار عواد/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى ١٤٠٠.

١٠_ الجامع لمعمر بن راشد/ تحقيق حبيب الأعظمي (منشور كملحق بكتاب المصنف الصنعاني ج ١٠ / المكتب الإسلامي/ الطبعة الثانية ١٤٠٣ .

١١_ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم/ دار إحياء التراث العربي/الطبعة الأولى ١٣٧١ .

١٢_ حلية الأولياء لأبي نعيم / دار الكتاب العربي/ الطبعة الرابعة ١٤٠٥ .

١٣_ الدر المنثور للسيوطي/ دار الفكر/ ١٩٩٣ .

١٤_ الزهد لهناد / تحقيق عبد الرحمن الفريوائي/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي/ الطبعة الأولى ١٤٠٦ .

١٥_ سنن ابن ماجة/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر .

١٦_ سنن أبي داود / تحقيق محمد محيي الدين/ دار الفكر .

١٧_ سنن البيهقي الكبرى/ محمد عطا / مكتبة دار الباز/ ١٤١٤ .

١٨_ سنن الترمذي/ تحقيق أحمد شاكر وآخرون / دار إحياء التراث العربي .

١٩_ سنن الدارمي/ تحقيق فواز أحمد وخالد السبع/ دار الكتاب العربي/ الطبعة الأولى ١٤٠٧ .

٢٠_ السنن الكبرى للنسائي/ تحقيق د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي/ دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى ١٤١١ .

٢١_ السيرة الحلبية للحلبي/ دار المعرفة/ ١٤٠٠ .

٢٢_ السيرة النبوية لابن هشام/ تحقيق طه عبد الرؤوف/ دار الجيل/ الطبعة الأولى ١٤١١ .

٢٣_ شرح النووي على صحيح مسلم/ دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثانية .

٢٤_ صحيح ابن حبان/ تحقيق شعيب الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثانية ١٤١٤ .

٢٥_ صحيح ابن خزيمة/ تحقيق د. محمد الأعظمي / المكتب الإسلامي/ ١٣٩٠ .

٢٦_ صحيح البخاري / تحقيق د. مصطفى البغا / دار ابن كثير/ الطبعة الثالثة ١٤٠٧ .

٢٧_ صحيح مسلم / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي .

٢٨_ فتح الباري لابن حجر/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب/ دار المعرفة/ ١٣٧٩ .

٢٩_ الكاشف للذهبي/ تحقيق محمد عوامة/ دار القِبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو الطبعة الأولى ١٤١٣ .

٣٠_ لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي/ دار إحياء العلوم .

٣١_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الهيثمي / دار الريان للتراث ، دار الكتب العربي ١٤٠٧ .
٣٢_ المستدرك على الصحيحين للحاكم / تحقيق مصطفى عطا/ دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى ١٤١١ .
٣٣_ مسند ابن الجعد/ تحقيق عامر حيدر/ مؤسسة نادر/ الطبعة الأولى ١٤١٠ .
٣٤_ مسند أبي يعلى/ تحقيق حسين أسد/ دار المأمون للتراث/ الطبعة الأولى ١٤٠٤ .
٣٥_ مسند أحمد / مؤسسة قرطبة .
٣٦_ مسند الطيالسي/ دار المعرفة .
٣٧_ مسند عبد بن حميد/ تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي/ مكتبة السنة/ الطبعة الأولى ١٤٠٨ .
٣٨_ مصنف ابن أبي شيبة/ تحقيق كمال الحوت / مكتبة الرشد/ الطبعة الأولى ١٤٠٩ .
٣٩_ مصنف عبد الرزاق/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/ المكتب الإسلامي/ الطبعة الثانية ١٤٠٣ .
٤٠_ المعجم الأوسط للطبراني/ تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني/ دار الحرمين / ١٤١٥ .
٤١_ المعجم الصغير للطبراني/ تحقيق محمد شكور/ المكتب الإسلامي، دار عمار/ الطبعة الأولى ١٤٠٥ .
٤٢_ المعجم الكبير للطبراني/ تحقيق حمدي السلفي/ مكتبة العلوم والحكم / الطبعة الثانية ١٤٠٤ .
٤٣_ موطأ مالك/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي .

ملحق : التناقض بين الأناجيل

كنتُ قد بدأتُ دراساتي في الأناجيل منذ وقتٍ . وخلال إعدادي وتأليفي لهذا الكتاب اطلعتُ على النصوص الإنجيلية بعينٍ ثاقبة فاحصة ناقدة ، وليست عين القارئ العادي فحسب ، مما أتاح لي أن أَعرض نقدي للأناجيل من خلال توضيح الكثير من التناقضات الجلية والخفية التي لا تظهر إلا لباحثٍ يريد الوصول إلى الحقيقةِ ، والحقيقة فقط .

ولا يخفى أن المسلمين يؤمنون بالكتب السَّماوية كلها ، ويؤمنون كذلك أنها حُرِّفَتْ طوال السنوات الغابرة سوى القرآن الكريم المحفوظ بحفظ اللهِ تعالى ورعايته وحمايته. ولا يكون المسلمُ مسلماً إلا إذا اعتقدَ ذلك دون تردد أو مجاملة أو مُواربة . قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحِجْر: ٩] . وهناك العديد من علماء النَّصارى الذي يعتقدون نفسَ العقيدة . فمنهم من يملكُ الجرأة لقولها ومن ثَمَّ اعتناق الإسلام ، ومنهم من يخشى فقدانَ مكانته الاجتماعية ووضعه الأكاديمي فيصر على الباطل مع يقينهم التام بحقيقة التحريف في كتبهم ، فينطبق عليهم قولُه تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النَّمل : ١٤] .

*

والبُنية الفكرية للتحريف تستند إلى محاولاتٍ حثيثة لإقصاء الحقيقة ، وزرع الخرافات في مكانها الذي يُعمَل على تفريغه من الصواب . نحن أمامَ فلسفةٍ ترتكز إلى منظور متصدع يقوم وفق أساس الترقيع ، وإلصاق النص في نصٍّ آخر من أجل الوصول إلى المصلحة المتشعبة في الذات الإنسانية الشيطانية التي قامت بالتحريف وتبريره باستخدام حجج واهية لا تَخدَع إلا الذين يرفضون إعمال عقولهم .

وموضوع التَّحريف في الأناجيل يقودنا إلى موضوعٍ غاية في الأهمية والخطورة وهو المكونات الفلسفية في الأناجيل وتركيبها العَقدي . وهذا البحثُ لا يتم إلا بنقد الأيديولوجية الأناجيلية كخطوةٍ ابتدائية في هدمها وتهشيمها . لا بد أن نفضح الطريقة السوسيولوجية المؤدلَجة في استخدام النصوص المحرَّفة كسيفٍ مُسَلَّط على رقاب الأتباع ، واستعبادهم عن طريق أدلجة المصطلحات الفكرية وصبغها بألوان خادعة وأقنعة زائفة وثياب الزُّهد . ولأن النصوص الإنجيلية تهدف إلى إقامة قطيعةٍ حقيقية بين الإنسان وخالقه ، وذلك بإنشاء العقبات والغموض التفكيري في الأيديولوجيات المتضادة في النَّص الموروث دون سندٍ يُعَوَّل عليه ، فإننا ندعو إلى توليد بنيوية نقدية أفقية وعامودية في الكينونة الأناجيلية التي لا تملك مقومات مواكبة الحياة الإنسانية الراقية منذ بداية نشأتها حتى وقتنا الحالي . فنحن في حركةٍ اجتماعية متسارعة لا يتَّضح مسارُها إلا بعزلِ الكائن الغربي عن تراثه الديني المشوَّش ، ومن ثم قيادته إلى الحركة التنويرية والثورة الشاملة الإسلامية . يجب تثوير المفردات وجعل الآخر يتَّجه باتِّجاهٍ مُضادٍّ للتسليم الأعمى والاتباع غير المبني على أسس صحيحة داخل الأوساط الدينية النصرانية واليهودية . فالدِّين النصراني الذي لم يُقَدِّم ولن يُقَدِّم أي منهجية لخلاصِ الكائن الحيِّ الرئيسي على هذه البسيطة . لذلك نراه متعارضاً تماماً مع المنجزات الحضارية للكائن البشري في كل العصور ، قد غَلَّف العقولَ المعطَّلة بعقيدة الخلاصِ المتناقضة الدائرة في أفلاك غموضٍ وظلامٍ شرس، والتي تُصادِم كل العقولِ هرباً من تقديم رؤية شمولية للدنيا والآخرةِ. وهذا المنحى يُعطينا تفسيراً موجزاً عن سبب الثورة على الكنيسة الغربية . إنها لا تعدو عن كونها مُخَدِّراً للبشرِ يستترف كلَّ طاقاتهم ، وبالتالي يظلُّ الإنسان رهينةً لعقلية الرُّهبان والكرادلة التي تفتقد للأسلوب المنطقي في التحرير الإنساني . ولن يحصل تحريرٌ للمرجعية الأخلاقية البشرية إلا بترع القدسية عن النصرانية المتصهينة وأُسسها المتصدعة .

لقد جعلت الكنيسةُ الغربية من الكينونة البشرية مادةً مذبذبة بلا عقيدة راسخة . فكل القيم _ وفق رؤيتها _ خاضعةٌ للتشويش والاستبدال والتغير . حيث تنهار إرادةُ الفرد وكيانُه إلى أن يركع أمام نفوذ رجال الدِّين الكَنَسِيِّ (الاستبداد الخارجي) . وجراء هذه العوامل المتعاكسة يدخلُ الفردُ في صراعٍ مريرٍ لن يرتاح منه إلا بتخليصه من أعباء النصرانية، والبحث عن طريق آخر . والعقائد الكنسية ليست فطريةً أصيلة، وإنما صِيَغٌ مجتمعية واقعة تحت سطوة تطور التجمعات المدنية ، وتَدَخُّل السُّلطات السياسية والدينية الغربية . إنها أشبه بوعاء يتسع لكل ما يُوضَع فيه، ويتأثر بهيمنة الموروث السَّلبي للمرجعية الكنسية الجامدة غير الثورية .

والمسألة العويصة التي جَمَّدت العقلَ الغربي هي أن الفلسفات والمواقف المتحيزة التي تَمَّ أدلجتُها حَلَّت محل العقيدة ، بحيث صارت المفاهيمُ تُحدَّد حسب الاستعداد الوظيفي للمصلحة الفردية الأنانية . وأضحت الفلسفةُ ديناً لازماً لأتباعها ، تُعيد صياغة البُنى التركيبية في النص الذي يُعتَبَر عند أهل الكتاب مُقدَّساً ، وهو في الحقيقة غير ذلك . وبعد كل هذا لا نتعجب إذا رأينا موقف الكنيسة الرافض للعلومِ والمعارف الذي يتجلى في إحراق كتب الكثير من العلماء وقتلهم وحرقهم . وما مأساة غاليليو وإحراق كتبه إلا نقطة في بحر دمويٍّ من الإرهاب النَّصي الجامد . وما يثير السخرية أنه بعد مرور ثلاثمئة وخمسين عاماً على وفاته قامت الكنيسة الكاثوليكية بإعلان براءته من التهم المنسوبة إليه ، واكتشفوا أن الخطأ في الأناجيل وليس في آراء غاليليو ، وكأن الأمر نزهة على الشاطئ ! . فالعقل المفكِّر يشكِّل خطراً على السُّلطة الكنسية القمعية في الغرب واستبداد رجال الدِّين الذين صاروا إقطاعيين . وقد قَدَّمَ الإسلام رؤيةً شمولية تنويرية لتسليط الضوء على هذا النظام الطاغوتيِّ المغلَق من أجل تخليصه بشكل نهائي فعال . وعلى المؤسسة النصرانية الدينية رفضُ كل المعطياتِ القمعية المفروضة على النص الدخيل بشكلٍ كاملٍ ، وانتزاع أوهام عقيدة التثليث من عقولهم

إذا أرادوا الوصول إلى قراءة منصفة للأحداث المحيطة ، وهذا سيقودهم إلى الإيمان بالإسلام . فالأساطيرُ البنيوية متغلغلة في القيم الوهمية للنصوص الدينية في النصرانية ، وما طبيعتها إلا إعادة تصنيع للبؤر الفكرية في الانحراف الأيديولوجي . إن نقدَ النص الإنجيلي مرحلة مؤقتة لا تشفي غليلاً ، فالمطلوب إلغاء الموروث الميثولوجي في تكوينات الأنساق التفكيكية بشكل كامل من المرحلة الحضارية الحالية حتى يتسنى للعقل البشري استعادة وظيفته في التلاحم مع ذاته ورفض ما يدعيه بعضُ البشرِ من صفات الألوهية والقداسة . لكننا نستخدم النقد كوسيلة أولية لا بد منها من أجل الإجهاز على القيم السالبية في التصورات اللاهوتية الشاذة عن مسار المنهج العلمي .

وإنك لتجد أن أسطورةً تسيطر على أدمغة رجال الدِّين المغسولة بالوهم ، وهي أن الرُّوحَ القُدُس اختار أربعة رجالٍ (متَّى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) وأوحى إليهم . يجب أن نمتلك الشجاعة والبسالة ونرفض هذا الكلامَ ونُعمِل معاولنا في أُسسه كي يتقوض . فالرُّوحُ القُدس لا يتناقض . وما بين أيدينا هو أناجيل متناقضة متعاكسة تُشكِّل صناعةً بشريةً ثقافية مخيالية لا دخل للوحي بها ، ظهرت على شكل مجموعة قصص لكُتَّابٍ مجهولين لم يلتقوا بسَيِّدنا المسيح . كما أنهم لا يعرفون بعضهم بعضاً ، وبالتالي فقد ظهروا في مراحل متباعدة زمنياً ، مما يُلغي فرضية وجودهم في القرن الأول لميلاد سَيِّدنا المسيح . وهالةُ القداسة التي تُحيط بالإنجيل الحالي بكل ما فيه من أسفارٍ غامضة ورسائل وأناجيل مقطوعة السند يجب أن تنتهيَ حالاً ليتم التخلُّص من التَّركة الثقيلة لسلطة الموروث النصراني المتآكل . كل المعاني الإنجيلية تسير باتجاه المفهوم الصليبي الخلاصي _ حسبما يعتقد النصارى _ ، وإنني أقتحم مفرداتِ الأناجيل لأكتشف النصوص المتراكبة بشكل هلامي تم تسليطه على أطوار الهدم والبناء .

إن انعتاق الدماغ من كومة التراكيب الفلسفية اللاهوتية الصليبية لا يتأتّى إلا برفض هيمنة التراث الإنجيلي بشتى صوره المصادمة للمنظور الإنساني في التفكير الحر غير المقموع ، بحيث نصل إلى إطار شمولي يقودنا إلى الالتزام بالإسلام المخلّص كمنهجٍ دنيويٍّ وأُخرويٍّ . فنحن لا نُنادي بإعادة النظر في الأنساق التراثية البدائية للدِّيانة الصليبية فحسب ، بل نُطالب بهدم الاستعدادات الوظيفية غير الخلاقة وعزلها عن مسار وجودنا كبشرٍ أحرارٍ غير خاضعين للخرافة . وهذا كله سوف يدعم الجماهيرَ ويُساعدها في كفاحها المستميت في طريق الوصول إلى الإيمان بالله تعالى الذي لا إله إلا هو ، وما يترتب على ذلك من تخليص وانتشال للكيانات الجسدية والروحية للفردِ . إنها أكبر عملية تحرير وخلاص للبشرية جمعاء ، وإنها لحربٌ طاحنةٌ بين هلامية النَّص الصليبي المتكلس في الأساطير المجسَّمة ذهنياً ، وبين العقل الثوري المتحرر من أغلال الخديعة .

ولا يهمني من التراث النصراني إلا ما يُفيدني في محاصرته علمياً وتفنيده وفق منهج البحث العلمي المنصف . لا سيما أن عوامل هدم الصليبية المعتمدة على قتل الآخر موجودة في داخلها على شكل مؤثرات تكوينية في النسق التحطيمي الفلسفي الثوريِّ. إن التتابعات الدينية المنفصلة عن مسار الوجود الإنساني شكل خالٍ من المعنى شاذ عن المسار الحضاري لم تأت كحاجة بشرية تاريخية مثلما تعتقد الذهنيةُ الماركسية الضحلة في نظريتها المادية الجدلية، لأن الملامح الوجودية للنص الميثولوجي هي الارتماء في أحضان السُّلطة السياسية التي تفرض على الناس بقوة السَّيف اعتناقها ، لذلك تُوصَف التحركات القمعية التي تتخذ من الديانات الوضعية أساساً وخلفيةً شرعية بأنها أنماطٌ ذهنيةٌ غير موجودة في الواقع ، لأن الواقع يُقاوِم الأوهام ويُحارِبها . كما أن التركيبة الفوضوية لحركة المعاني الخرافية الصليبية في الأناجيل فاقدةٌ للهوية والصفة المميزة، لذلك تتماهى مع كل الإنتاجات الفاسدة للعقول المتحجرة . ليست بأكثر من حركة

عبثية في مدار خيالي مُفرَغ من تَفَهُّم الحاجات المجتمعية والفردية . إثباتُها غير معقول لأنها ضد العقلِ ، ولكي نُثبِت العقلَ الحر لا بد من وأدها ونَفْيِها فكرياً .

فتخلفُ الغرب العَقَدي انعكاسٌ للحالة الاحتضارية التي تمر بها قوى الشعب جراء إيمانها بالكنيسة الغربية كحلٍّ ضمن الحلول . يجب إقصاء النصوص الكنسية المناوئة للعقلانية لا من الواقع المعاش فحسب ، بل من نفوس المؤمنين بها ، وهذه مهمةٌ سهلة نسبياً استناداً إلى التاريخ السوداوي للمجامع الكنسية في محاربتها للثورية العقلية في مجال العلوم والمعارف. وعلى الرغم من تزايد انتشار الثائرين ضد النصرانية المتصهينة، والمنادين بنفي الدين بالكلية من الحضارة الغربية إلا أنهم لم يتمكنوا من شطب الصليب من أعلام كثير من الدُّول الأوروبية . كلُّ ثورةٍ يخلو أساسها من مبدأ كسر الخرافة التي تصير ديناً مقدَّساً هي ثورةٌ مقتولة في مهدها ليست ذات جدوى . وكلُّ حركةٍ لا تهدف إلى إلغاء الكبت والعمى في النصوص الدينية الغربية هي ضياعٌ للجهد والوقت .

نحن بحاجةٍ إلى توليد نقد مستمر للإنجيل الحالي كمرحلة ابتدائية مؤقتة تنتهي بفصل النصوص البشرية وتمييزها عن بعضها البعض في الإنجيل . ينبغي أن نُعَلِّم الكائن الغربي طريقة الشَّك في الإنجيل الذي بين يديه في عقائده في تقاليده في تاريخه في كيانه كآدميٍّ خُلِقَ حُرَّاً ، لأن سطوةَ وسائل الإعلام تؤدي إلى إبعاد الكائن عن الحقيقة، وإبعاد طرق الوصول إلى الحقيقة عن الكائن . والعلمانية فاشلةٌ بامتياز في هذا المجال، فعلى المفكِّرين الإسلاميين تثوير الرؤى النَّصية لدى الغرب بُغية انتشالهم من مصيدة المدلول الدِّيني السَّالب . وأولى الخطوات لتحقيق ذلك عزلُ الفرد عن تاريخه الأعمى ، وحذفُ المفردات الشعورية في التعبير السَّلبي مثل : الانحرافات الجنسية للكنيسة الغربية ، والصليب المرفوع على رايات الحملات الصليبية والموضوع على صدور المحاربين القادمين لمحاربة الإسلام ، اختلاط الأقانيم ضمن تفكير أسطوري اجتماعي يكبت

الشعور ، وفكرة الخلاص عن طريق صكوك الغُفران ، وجرائم محاكم التفتيش المشيدة بمباركة المؤسسة الكاثوليكية الكبرى في العالم (الفاتيكان) .

ما دام للوهم المصبوغ بالدِّين دورٌ في حياة أيِّ فردٍ ، فلا يمكن له أن يتحرر . عليه أولاً رفض المعطيات الجاهزة والتي تسميها الكنيسة الغربية بالمسلمات ، وبعدها إعمال عقله بصورة حرة مستقلة ليختار طريقَه الذي سيمشي فيه بملء إرادته دون هيمنة السُّلطة الكهنوتية سواءٌ كانت سياسية أو اجتماعية . يلزم إعادة النظر في المسلّمات والمرجعيات الدينية الغربية التي تعتبرها الكنيسةُ معصومةً لا يأتيها الباطلُ . وهذا لا يحصل إلا بإلغاء الاستدلال الأحادي على شرعية النص المضطرب ، واتخاذه منطقةً هلاميةً غير معصومة ، وإنما هي خاضعة لنقد العقل الجمعي باستمرار ، وهذه التراكمية هي التي ستصنع نصاً جديداً أقل تسييساً وانحرافاً وعنفاً. وهكذا نُقيم قطيعةً بين الغربيِّ كإنسان وبين موروثه العَقدي الأُسطوريِّ . عندها فقط سيتخلَّص العقلُ الغربي من الأحمال الثقيلة التي وضعتها السُّلطةُ الدينية الجبرية من أجل تبرير مشروعها الاستغلالي وأهدافها غير الشرعية .

كلُّ المسلَّمات الدينية في الغربِ التي تسير وفق المنظور الصليبي في تكريس احتقار العقل وقمعه توضع على طاولة النقاشِ والبحث والنقد دون تحفظ . فهي لا تَمُتُّ للوحي بصلةٍ ، فقد أتت من مصادر مشوَّشة خارجة على كل القيم . والتحرر منها أولى خطوات تحرير الغرب والغربيِّ من جاهلية القرن الحادي والعشرين . فإسقاط تفسير رجال الدِّين على مسار النَّص البؤري الذي يتم تقديسه عملية منكمشة على ذاتها تتقوقع على انهيارها ، وهي لا تتناسب مع عصر العقلانية الثورية ، فينبغي التمييز بين النص الثقافي الإنساني وبين المنحى الأسطوري الشعبي داخل الإنجيل .

وتُنزَع هالةُ القداسة من الإسهامات البشرية ، فبابا الفاتيكان مثلاً هو إنسان يخطئ ويصيب ، ورجال الدين هم بشرٌ لا يحق لهم أن يفرضوا وجهة نظرهم على مسارات

النَّص الإنجيلي المختلط بالإسهامات البشرية التعبوية السياسية . وليتوقف رجالُ الدِّين عن ممارسة الوصاية على العقلِ والتدخل في الحياة العامة . وعندما تسقطُ الهيمنة التراثية الغربية داخل الكنيسة الأوروبية سوف يسقط المدلول السالبي في اختلاطات المصطلح المناوئ للحق الثوري . وهنا لا بد أن أُشير إلى فوضى المصطلحات لدى الآخر، فمصطلح " المسيحية " أو " المسيحي" مُضلِّل إلى حد بعيد حيث يُوحي بأن له صلةً بسَيِّدنا المسيح _ عليه السَّلام _ ، وهو عكس ذلك. لذلك أنا أرفض استخدامه بشكل حازم لأنه لا وجود له ولا حقيقة له. وأستخدم بدلاً منه مصطلح" النصرانية ". رفضُ المصطلحات الموظَّفة لخدمة الكهنوت الاستبدادي ضروريٌّ لإحلال الثورةِ مكان ما تُسَمِّيه الكنيسةُ الغربية غيباً وإيماناً ، وهو في الحقيقة أنماط تعتمد على مخيلة الخرافة في قلب المنتجات البشرية في حِقب زمنية مختلفة ، وإسقاطات لا مسؤولة في واقع مهمَّش إلى حد بعيد .

وتصنُّع الأخلاق السَّامية والقيم الراقية في نظام محاكم التفتيش المصبوغ بالهالة الكنسية والمتحد مع مسار الإنجيل لا يُجدي نفعاً، بسبب كونه حالةً انعزالية للمفهوم الاختزالي للدِّين في عقلية التكبر الاستعلائي واحتقار الآخر. فالأناجيل ممتلئة بالنصوص التي تتعارض جُملةً وتفصيلاً مع كل شيء . إنها طبيعة مخيالية تتستر بالنصوص الشعبوية ، وتؤسس الأرضية الخصبة لرفض الآخر . وهيمنة الحملات الصليبية التي شنها الكرسيُّ البابوي المناوئة لنزعات الحرية والتسامح والفضيلة هي ارتدادات لنصوص إنجيلية ترفض الآخر المؤمن . وهنا تضيع الأخلاقُ بشتى صورها ، وتدور في متاهات يُفضي أولها إلى بدايتها دون التحرك إلى الأمام . وليست هذه المنظومة سوى إرهاصات وتأسيس فلسفي لقمع التفكير واضطهاد المعنى اللغوي الإنساني في متتالية تكاثرية تَنفي وجودَ الفرد مطلقاً ، وتنبع من جعل ما هو غير مقدَّس دِيناً مُقدَّساً واجب الاتباع ، وجعل ما هو زائف مُسلَّمةً لا تُناقَش . وهذا مرجعه إلى الاستكبار

والتباهي بنصوص تدور عليها علاماتُ الاستفهام ، ورغم هذا يتم توظيفُها لامتصاص الجوانب الروحية لدى الفرد ثم نفيه أيديولوجياً لتسهل السيطرةُ عليه وإقحامُه في الخلاص الوهمي غير المجدي ! .

إن النصرانيةَ الغربية لا تعترف بإنسانٍ خارج نطاق استغلالها، ولا تُثبت للفرد وجوداً ذاتياً . وإنما هي شكلٌ عَقدي خياليٍّ ذو نظرة تتكسر في المفاهيم الغامضة في التركيبات الإنسانية للأساطير الهشة . وإن ظهور النزعات الثائرة في الداخل النصراني مثل البروتستنتية يعكس لنا التناقضات المريعة في العقل المسيَّس لخدمة ازدراء المعاني الإنسانية في هذا الوجود . فالإنجيل الحالي بوصفه إفرازاً ثقافياً ذا خلفية بشرية خارجة عن تطور التاريخ السياسي للغرب ، ومدلولاتٍ تراثية منقطعة عن حركة الوجود البشري ، واستعلاء غموضي إقصائي ، لا يقدر على توفير الحياة الفُضلى للناسِ ، لأنه الأساس الفلسفي لهيمنة رجال الدِّين على النصوص ، وشن الحروب باسم الرب ، مثلما حدث في الحملات الصليبية ضد المسلمين في المشرق الإسلامي ، وضد البروتستنت في شمال أوروبا .

لقد دخلَ الغربُ الميثولوجي في مدارات تحويل الدِّين إلى سلعة محتكَرة ومشروع استثماريٍّ يُنفَّذ حسب عقلية احتكارية للتراثِ الصليبيِّ . ولكن السؤال الذي تتهرب منه المؤسسةُ الدينية الغربية ممثلةً في الفاتيكان : من يملك حق احتكار تأويل التراكيب الفلسفية في الأناجيل ؟! . إن المجامع الكنسية البابوية التي قامت على أساس شريعة السيف _ حيث تم قتل المسلمين في المشرق والأندلس ، وقتل اليهود في الأندلس ، وإبادة البروتستنت في الشمال الأوروبي _ غير قادرة على إعطاء الشَّرعية والمشروعية للنَّص القمعيِّ المختلِط بمصالح المرجعية السياسية ، وإذا فهمنا هذه النقطةَ لا نتعجب من كَوْن رأس الهرم السياسي في بريطانيا _ مثلاً _ هو ذاته رأس الكنيسة ! . فالبُنى الاجتماعية البشرية للأناجيل تنسحب بصورة مادية تُراثية متصدعة على الرؤى

السياسية للموروث الاجتماعي . والعجيب أن الأناجيل التي تفتقد القدرة على إثبات نفسها أو تأسيس مشروعيتها ، نراها تؤسس بمساعدة المؤسسة الحاكمة إطاراً معرفياً جديداً مصادماً للمعنى الإنساني الوجودي ، ومرجعيةً للكيانات المجتمعية الرافضة لسلطة الصليب على النتاج المعرفي العلمي . مما يقودنا إلى الانتباه إلى دور السيف والمال في تلميع النَّص المظلِم ، والسعي الحثيث لتأويله بما يتناسب مع الوُجهة السياسية العامة .

كما أن تقديس النص الثقافي المشكوك فيه وتقديس تفسيرُه ضمن ثنائية عصمة النص وفهمِه يصب في خانة تقديس رجال الدِّين . الأمر الذي يؤدي إلى توظيف الإمكانيات التراثية العشوائية لخداع العوام ضمن منهجية ركيكة . الحل الوحيد هو إخراج العقل من تسلُّط الأدلجة المتعالية في بُنية الاستحواذ والإرهاب الذي يُشن باسم الصليب . وقد يتساءل أحدُهم : كيف يمكن خلخلة تراث الفرنجة القمعي وإقصاؤه باستخدام المنهجيات العلمية ؟! . الجواب على هذا السؤال ذو شقين :_ الأول ، الاعتراف بأن المرجعية الثقافية في مفهوم الصليب السياسي وهمية غير موجودة إلا في أذهان الأنماط المتحجرة الحارسة للحاكمية النصرانية المتصهينة المبنية على مُشاهَدات أُسطورية مُغرِقة في الانكماش على ذاتها . والثاني ، إخضاع النص الإنجيلي الحالي لمتطلبات التاريخ المعاصِر ، فالهدف هو إلغاء البنى الذهنية الدينية الرافضة للعقل بشكل حاسم مؤثر وليس إعادة إنتاجها . فما طرأه الاحتمالُ سقط به الاستدلالُ ، والنصوص السوسيولوجية داخل العقلية الإنجيلية وداخل منحنيات النص الديني فاقدةٌ للقداسة إلى حد التماهي مع الألغاز والقصص الشعبية . إن الأناجيل نصٌّ أدبيٌّ شعبي نابع من إمكانيات بشرية موظَّفة سياسياً وثقافياً واجتماعياً ، ونقدها مستمر حتى سقوط التكوينات غير البناءة الحتمي النهائي . وسقوطها مسألة وقتٍ لأنها تشتمل على عوامل إلغائها في داخلها ، لا سيما وأن النص الأناجيلي تم صهينته عن طريق

تورط المؤسسة النصرانية العالمية في التراث اليهودي ، عبر اعتماد التوراة (العهد القديم) جزءاً من الكتاب المقدس، وهذا اقتحام أيديولوجي بشري أحادي لا دليل عليه البتة .

والأيديولوجية الصليبية النفعية النافية للقيم الحياتية تشكيلٌ بصريٌّ انتكاسيٌّ يضغط على التشكيلات البشرية في الحياة العامة ، ومن هنا نفهم عدم قدرة الخرافة على مواكبة العصرِ ، وما انتشارها إلا بسبب الجهات القوية التي تسندها . فالأساطيرُ ذات الطابع الديني التي يؤمن بها الإنسان البسيط ذو الثقافة الضحلة هي إفرازات أُحادية لمجتمع يتعدد في الأوهام واحتكار المنظور الفكري اللاديني .

فاللاواقعية في مفهوم الإيمان في الديانةِ المؤسَّسة على التراث السياسي ذي المنحى الإنساني تؤدي بالضرورة إلى اختزال ذهنيٍّ رافض للذهنية المتفتحة . وبالتالي يكون الإيمانُ بالوهم ضد الإيمان ، وتقديس النص الإنجيلي الحالي ضد ما جاء به سَيِّدنا المسيح . فأصحاب الأناجيل التاريخية مؤرخون بعيدون عن المنهج العلمي لأنهم احتكروا الدِّين احتكاراً كلياً وجعلوه مُلْكاً شخصياً يُوضِّح الصورَ المجتمعية اللاعقلانية، ويؤسس لمرحلة تثبيت الرؤى الفلسفية المضادة لحقيقة المكان والزَّمان، بما يتلاءم مع التصورات العَقدية المسبقة والتأصيل المشوَّش المهتز . وتكريس الخلايا الأُسطورية في البُنى اللفظية في مسارات ما يُسمَّى بالكتاب المقدَّس ، إنما جاءَ لتغييب القوى العقلية للمجموعات البشرية ، وهكذا يتم ضمانُ ألا يتعرض الموروث الفلسفي الديني للنقد والدراسة والتمحيص . كما أن تشكيل العقائد في ما يُسمَّى بالكتاب المقدَّس جاء تحت ضغط تصارع الأفكار وتجاذب الخرافات والفلسفات السائدة في الأنساقِ المتخلفة عن ركب الحضارة الواعي .

إن العقيدةَ النصرانية الغربية المسيَّسة متواليات من الهدم والبناء في مساق يتَّسم بالعشوائيةِ المفرِطة في التأويلات وتوسيع مساحة الأساطير والترميز المهووس. فصكوك

الغفران مثلاً رمزٌ لإشكالية الكبت الأيديولوجي الغربي في النِّظام التفكيكي لمجتمع متخلِّف . والتثليث الفلسفي غير العقلاني رمزٌ لإرساء التخليطات الهوسية وتحطيم توجُّه الفطرة السَّليمة نحو إلهٍ واحدٍ أحدٍ لا شريك له . حتَّى الأناجيلُ هي رمزٌ للتصور الأسطوري المكانيِّ الزَّماني وانفصال الفرد عن كينونته الفطرية إلى أن يصل إلى حالة انفصام كُلِّية عن المحيط الخارجي ، وهكذا يفقد قيمتَه كخليفة لله في هذه الأرضِ.

والثقافةُ الغربية كحالةٍ من الانتكاس الإلحادي هي تعزيز لهوية الضياع والأوهام المتجذرة . إنها إسقاطاتٌ لولبية خارج مسار التاريخ البشريِّ ، لذلك بدأت تتآكل بتسارع مطَّرد ، وما علينا إلا أن نؤسس عالَماً يحتضن هويتنا على أنقاضِ الفكرة الغربية الحاملة للسيف في مواجهة الفكرة والتي سوف يبلعها الأرشيف . لن يتقدَّم الغربُ إلا بتكوين نواة لمشروعٍ حضاريٍّ قائم على إقصاء هيمنة الفكر الأناجيلي على نفوس العوام كأداء استباقيٍّ ، يسبق التحولات العميقة الجذرية في صميم المجتمع الغربي الهش . وكما أن الثورات داخل الأيديولوجية النصرانية الغربية جاءت كرد فعل مركَّز على الممارسات الطائشة للكنيسة الكاثوليكية العليا (الفاتيكان) وتصرفات رجال الدِّين وعلى رأسهم البابا نفسه ، فالواجب علينا إقامة قطيعة نهائية حاسمة بين المنظور الإنجيلي البؤري وانحرافات الكنيسة الغربية من جهة ، وبين الكنيسة الغربية والفرد من جهة أُخرى .

إن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بتحريمها للطلاقِ مُستندةً إلى نصوص إنجيلية مضطربة ، قد أسَّست لمفهوم الانفلات الأخلاقي وهدم المنظومة الإنسانية القائمة على ثنائية الرجل والمرأة ، وتقويض اللمسات الإنسانية لأساسات المجتمع الغربي الإباحي الذي شرعن الإباحية والعلاقات الجنسية المحرمة ، حتى صارت بيوت الدعارة تملك ترخيصاً حكومياً ، ويؤخذ منها الضرائب مثل أي مؤسسة مجتمعية ، وصارت لبنات الليل نقابات تدافع عن حقوقهن ! ، مثل فرنسا (أكبر دولة كاثوليكية في أوروبا)

التي فيها نقابة لبنات الليلَ . فالأناجيلُ قامت بالتضييق على الأفراد وشرعنة الانحراف بطريق غير مباشرة . إنني على ثقة أن الغربَ لن ينعم بحريته إلا إذا رفضَ هيمنة الكنيسة على مكتسباته الحياتية ووجهة سيره في هذه الدنيا ، ونبذ السلطة الكهنوتية المضادة للعقل ، والتي يعمل كثير من رجال الدِّين على محاولة عقلنتها ، وللأسف فهم يعيشون في ترفٍ ، بينما عامة الشعب يلهثون وراء لقمة الخبز ، وقد لا يُحصِّلونها .

إن النظامَ الدِّيني السياسي الغربي قائمٌ على شريعة المسدَّس وجدلية المقدَّس والمسدَّس . فالعلمانيةُ مجرد طابع بريد لا يؤثر في طبيعة الرسالة . فهي قناعٌ لا يؤثر في تشكيل الوجه الحقيقي الدموي لأولئك الذين يشنون الحروب باسم إلههم وصليبهم ، وهم بذلك يكونون ضد رسالة المسيح رسول التسامح والأخلاق والقيم الفاضلة . وإليك بعض الأدلة على أن العلمانية الغربية مجرد دعوى : أولاً _ رفض أوروبا لدخول تركيا في الاتحاد الأوروبي لأنها دولة مُسلمة، والاتحاد الأوروبي نادي نصارى. ثانياً: وجود الصليب على أعلام كثير من دول الغرب . ثالثاً : منع الأذان من الانطلاق في الآفاق . رابعاً : منع الحجاب في كثير من البلاد . خامساً : اعتبار رأس الهرم السياسي في بريطانيا _ وهي دولة تزعم أنها علمانية _ رأساً للكنيسة ، فأين الفصل بين الدين والدولة ؟! . فأيُّ علمانية يتشدَّق بها أولئك القوم ؟! .

تبدو العناصرُ المهمشة في النظام المضطرب في البيئة الإنجيلية كنتاج هش موغل في العدمية ، لا مرجعية سماوية له . ومشروعية النقد تهدف أساساً إلى سحب البساطِ من تحت أقدام حُماة الأسطورة التي تتضح شيئاً فشيئاً في تقديس النَّص غير المقدَّس . ببساطةٍ ، إن التراث الديني الغربي ليس له سيادة إلا على العقول الجامدة المتمركزة في تمجيد التراث غير المنطقي . وهنا يبرز سؤال حيوي ، ألا وهو : كيف سيتم محو المعالم الغربية في الفهم الموجَّه مسبقاً باتجاه تكميم الأفواه وتعطيل القدرات العقلية ؟! . الجواب: يكون ذلك بطرد التفاسير المتطرفة لرجال الدين التي يفرضونها على الأناجيل

فرضاً مستغلين النظام البشري البنيوي لطبيعة الأناجيل ، وحذف التعابير القمعية من المسار الحضاري الإنساني بشكل حازم نهائيٍّ ، وعلينا حتى تلك اللحظة تعبئة المخزون الذهني في العقول المفكِّرة بمواد الثورة وقيم الغضب والرفض حتى الوصول إلى الإقصاء التام للأحكام المادية العبثية المتخلفة في المفهوم الصليبي الغربي الواهم الذي يُشكِّل جدليةً تحرث اسمَها على ظُهور ملايين المشردين والبائسين .

إننا أمام حالة من تسييس المناحي الدينية عند الآخر ، وإحلال الرؤى الجدلية المتفلسفة في أُطر القداسة والمرجعية السماوية . والنصرانية الصهيونية في الغرب المؤسَّسة على البؤر الازدواجية في النَّص التراثي الإنجيلي فكرة اقتصادية بشرية تُصنَّف على أنها نظام إقطاعيٌّ يهدف إلى تجيير أحلام الفقراء لمصلحة طبقة النبلاء والإقطاعيين ورجال الدِّين المنحرفين . هي محاولةٌ لإحلال مفهوم الطبقات والتمايز العِرْقي ، وهي غير صالحة حتى للمجتمعات البدائية ذات الثقافة الضحلة التي تُعوِّل على الكنيسة الغربية المنحرفة في فكرة الخلاص الوهمي التي صارت سوطاً على ظهور العبيد من أجل تقديمهم للمذبح والاستغلال مبتسمين فرحين بخيبتهم . الشريعة النصرانية المتصهينة تكريسٌ للبرجوازية الإقطاعية في سبيل إعادة بلورة صكوك الغفران في قوالب أكثر حداثية. فالنص الدين الإنجيلي تنويعات فلسفية غير نسقية مشوَّشة تؤرخ لأحداث غير موثوق بها بشكل غير موثوق به ! ، وهي تعزز البؤرةَ الاستعلائية التي تحتقر الآخر ، وخير مثال على ذلك أن الحروب الصليبية التي كان زعيمُها الديني والسياسي بابا الفاتيكان كانت تنادي بأعلى الصوت : يجب تحرير بيت المقدس من الكفار _ وهم يقصدون بهذه الكلمة المسلمين _ وهذا بحد ذاته إرهاب فكري مقيت ضد منهجية المسيح رسول الإسلام والسلام إلى بني إسرائيل .

لقد وقع الغربُ في مغالطات عقلية جمة ترجمت واقعَه البائس إلى معطيات مسبقة عن الأنساق التكوينية في البُنى الدراماتيكية الكنسية . لذلك أرى أن النقدَ الأدبي

ملائمٌ لخلخلة أساسات الفكر الإقصائي البشري لطبيعة الأناجيل، لأنها_ أي طبيعة الأناجيل _ متسلسلات ذات أنماط غير منطقية صادمة للمنحى الاجتماعي التقدمي . وهي _ بلا أدنى شك _ متأثرة بالخيال المسيَّس للأشخاص الذين تدخلوا في مسار حركة النص الديني ، وفرضيةٌ متعاكسة متروعة السيادة بسبب تأسيسها على منهج غير علميٍّ، وإعادة تشكيل الخرافات القديمة والأساطير في أُطر حداثية يُعاد اجترارها حسب الطلب ، وتشكيل ارتداديٌّ للتصورات الهشة عن الخالق والمخلوق ، وبؤرة فردية تحاول نيل سيادتها من إقناع التجمعات الفكرية والشعبية بجدواها، وهي بذلك تتخندق حول المفهوم الأُسطوري للأيديولوجية الغربية المستندة إلى جذور لاهوتية تُقطِّع بعضها بعضاً. وبالتالي أضحت عبئاً ثقيلاً على حركة التاريخ البشري، وسيثور التاريخُ لتأسيس مشروعية مستمدة من سلب المشروعية عنها .

ومحاولات الاستقطاب الحثيثة ترتكز على الهيمنة التي جسدتها العقائدُ البشرية الفوضوية التي تُلصق نفسها بالدِّين ليُكَوِّنا نصاً واحداً عند الآخر المضاد لحقيقة التحضر . فقناعات الحملات الصليبية العسكرية والفكرية تُعاكِس المعطيات العلمية جُملةً وتفصيلاً ، وتتعارض كلياً مع الانطلاقة الحضارية والزخم التفكيري . فلا فائدة في غربلتها ، فهي منحرفة في كل جزئياتها . ولو قُدِّر أن تُغربَل بشكل كاملٍ لتم رفضُها بالكلية . فالميت يُدفَن ولا يُفكَّر في إعادة إحيائه لأن ذلك خارج نطاق قدرتنا، والحملات الصليبية ميتة عسكرياً وفكرياً .

إشكاليةُ الأناجيل ومشكلتها أنها أفكارٌ تاريخية منتحَلةٌ تقع في يد ماكنة إعلامية شرسة منتصرة مادياً . إن العقدَ الذهنية والعوائق والمعطيات الفارغة عند الغرب الصليبي ضد النمو الطبيعي للمشاعر الإنسانية. فزلزلةُ كل المسلَّمات هو الأساس الشعوري والفرصة السانحة لالتقاء الإنسان بذاته دون خجلٍ أو غبش ، بعيداً عن تلويث الأفكار بالهلامية المؤدلجة بشكل مبرمج ومخطط له ، والاختناق والتناحر

النفسي في الكينونة البشرية الواحدة . فالتشريعاتُ الكنسية الغربية المستندة إلى احتكار فئوي لسلطة التأويل الديني قد تبدو للوهلة الأولى عميقةً ، لكنها مُغرِقة في الضحالة والسطحية وابتزاز العبث المتكرر واستبداد المعنى على حساب الألفاظ المحتمَلة ضمن عملية إغراق تاريخي غير مقبول .

وقد جاءت آلياتُ النَّص الميكانيكية في تشكيل البؤر التحريفية للإنجيل اضمحلالاً وظيفياً للكيانات غير الواعية لأبعاد الحقيقة ، حيث تتقاتل الدلالاتُ غير الواعية فيما بينها فتنكمش إلى حد التآكل الذي يُشَرْعِن الموجودات المفككة للفلسفة المدجنة في السياقات اللغوية المعتمة والموجودة في ما يسمى بالعقل الديني المهووس بإقامة إمبراطوريات الإبادة (محاكم التفتيش والحملات الصليبية للقتل والتنصير) والتي تُشبه الشركة المساهمة المحدودة ، وتنتشر فيه الهياكلُ اللاواعية بصورةٍ أُحادية هستيرية في النُّصوص التراثية العنيفة الرافضة لمبدأ التعايش والأُخُوَّة البشرية . والتركيبة النَّصية هي غُلُوٌّ إرهاصات اللاوعي والمنظور النافي للبؤرة البشرية في هذا الوجود بكل ما فيه من معارف وعلوم .

توجد إشكاليةٌ حقيقيةٌ وخلطٌ متعمد بين الموجودات البصرية والذهنية في الأداء الانهياري الشامل في الرؤى البنيوية العامة، وهذا مرجعه إلى عدم وضوح المصطلحات وتوابعها، واختلاطها غير المرتكز إلى تأصيل . فالغرب يتداول مصطلحي اللاهوت والناسوت بعبثية فجة مفضوحة على كل المستويات الفكرية ومفتوحة على كل الفلسفات والجدليات ، مستنداً إلى تصور فاسدٍ عن الذات الإلهية المقدَّسة وصفاتها المتفردة . وهذا الانحراف هو السبب الكامن وراء الانهيارات المتتابعة في البنائية الغربية للفلسفة الجدلية المادية .

والدلالة الواعية مفقودة بالكلية في الموجودات المعرفية الجافة والمتركزة في الإقصاء النصراني المتصهين للآخر ، لأن البعدَ القبلي والعشائري للنصوصِ يُشكّل النواةَ

الحاضنة لسلطة الكهنوت المصادمة لحركة التحرير والتنوير البشرية ، وسلطة الكهنوت متمحورة حول فرضيات الاستعلاء والتفوق العِرْقي وصفاء النوعِ ، التي ثبت بكل الأدلة أنها لا تتحلى بأي شكل من الحقيقة والمصداقية . مع الانتباه إلى أن التحريف الذي أصاب الإنجيل تم بصورة تخدم مصالحَ الطبقة الحاكمة سواءٌ كانت سياسية أو دينية ، لذلك صار الفكر النصراني الذي تم صهينتُه مجتمعاً طبقياً قمعياً مُغلَقاً نتيجة الأبعاد النفعية والعشائرية لبُنية التحريف وأساسها . والاحتكامُ لسلطة نصوص غير متفق عليها من شأنه تبرير قتل المخالفين في العقيدة والتنكيل بهم ورفض الحرية الدينية ، مثلما حدث في الأندلس وما محاكم التفتيش منا ببعيد . لذا فإن عملية إضفاء البهارات السياسية والنخبوية والقبلية على النَّص يؤدي بالضرورة إلى حشد كل المحاولات المبنية على الوعي النوعي باتجاه نقد التراث الأناجيلي ، وإعلاء صوتِ العقل في رفضِ تحريف كلام الله تعالى .

إن أحداً لا يريد أن ينظر في المرآة لئلا يرى قناعَه الدموي في الأُطر المحاصَرة بالقوام العقدي المسيَّس . والتشويه ما زال مستمراً في هندسة اللبنات التكريسية لمفهوم احتلال المعاني ، وتفصيل مفاهيم جديدة مصلحية على المفردة النَّصية المشكوكِ في صحتها في العقائد الدينية الغربية المتصارعة. وما سياسيةُ التبعية _ روحياً _ للمغناطيس البابويِّ الفاتيكاني إلا تفجيرٌ للسياق الخارج عن كل القيم المتسامحة والنبيلة، وإعادة تبرير ديني وفلسفي لمحاكم التفتيش واضطهاد الأقليات والحروب الصليبية المؤدلجة عن سابق إصرار وتصميم . فمنهجية المرجعية الكهنوتية الغربية المنحرفة في المتاجرة بالعلاقات المزيفة ، والطاقات الشهوانية ، وشهوات المجتمعات البدائية والمنظومات النسقية التفريغية تُعطي أحد أهم الأدلة على الرغبة المسعورة المنسقة في تحجيم ألفاظ الكتب والأسفار الدينية لصالح المعنى الجديد الذي فصَّله وبرمجه عَرَّابو التشريع الكهنوتي المتصهينون المرادف لدساتير الدول البوليسية ، وأنظمة

العصور المظلمة . حيث وَفّروا له الغِطاءَ الشرعي وفق ما تقتضيه الحالاتُ الهذيانية لمجموع المعاني وما وراء الألفاظ .

جرثومةُ النظرات الثنائية ما زالت تدور في عقولِ أولئك الذين يحملون السيف في مواجهة العقل ، ويضعون على دروعهم الصليبَ . الأبعاد تتساقط ضمن دائرة يابسة رافضة للحوار مع الموجودات المخالِفة . تتفجر الإشكالياتُ في تصورات بائدة متلازمة مع الخزين التصوري المتخيَّل والمبعثر في الأجزاء اللامعقولة التي تُعصَر من أجل تثبيت الاختلال المركزي وهي أن الأناجيل وحيٌّ إلهي . تَصَدُّعُ النواة المركزية في الأذهان ينسحب على التوابع والمباني ، أي ما بُنِيَ على التجرد من الحقيقة واعتناق ضدِّها ، مما يُنتِج انهيارات متكررة في مستويات اللاوعي الموظَّف لغاية الحجْر على التفكير ، وتحويل مساره عن الممارسات الشاذة للنصوص . المعاني تنهارُ في الوقت الذي يُحاول فيه المستفيدون من القمع انتشالها بالاستناد إلى ألفاظ موهمة يعتريها الشك الدائم .

تأصيل التعرية المستدامة للأصولِ ، وتفكيك الأنظمة القمعية المنسوبة _ ظاهرياً _ إلى علم اللاهوتِ من أجل محاصرتها تمهيداً لإزالتها ، وسحب الشرعية الموهومة من المنظومات التباعدية المتضاربة حول فقه المفاهيم، وفهم المصطلحات المجازية والحقيقية . كل هذه العوامل سوف تقود إلى ثورة شاملة في فهم الأناجيل، وبالتالي رفض كل ما يُخالف أوامر السيد المسيح رفضاً مستنداً إلى تحليل واعٍ موثَّق بالأدلة والحجج الدامغة. وهذا كله سوف يعمل على استقلال الكائن البشري المتلقي الملقَّن استقلالاً فعلياً عن هيمنة الفوضى النَّصية ومصادرة القوى الذهنية العاقلةِ . ومن الأهمية بمكان أن يتم تتويج المجهودات باستقلالية حقيقية غير خاضعة للمعطى السياسي السُّلطوي . فالساسةُ يوظّفون الدِّينَ من أجل تحقيق مكاسب وتبرير شرعية كيانات الدول والحكومات القائمة على شرع المسدس، وإقامة عقائد الصليب وتوابعها بقوة السيف،

وفرضها على القلوب المغلَقة أمام مناهج البحث العلمي ، الخائفة من التثوير والتنوير . إنها الثورة في مواجهة الانحرافات العقدية البائدة العاطلة عن الوجود العملي والخيالي .

لذلك دخل الغربُ البدائي _ في شهواته ومناهج بحثه ومصادر ثقافته _ في تجاذبات المعيار المزدوج الاعتباطي الحركي ، فاقتحم عوالم الاستخراب الذي يسميه استعماراً ، وهو في الحقيقة شكلٌ للجانب الآخر من العقيدة الدموية ، حيث يشتري المالُ حقوقَ تأويل وتوجيه النص العَقدي ضمن مناخات وتصورات غير إنسانية ترمي إلى الحط والانتقاص من السيادة المسؤولة للإنسان على عناصر الطبيعة ، تلك السيادة الخاضعة بإرادتها ورغماً عنها لسيادة الخالق على كل شيء . مما أدخل فكرَ الحملات الصليبية التي تزعم أنها تحقق أفكار السيد المسيح في متاهات الدونية والانتكاس حتى تقمصت الحالةَ الفيروسية التي لم يقتصر تأثيرُها الوبائي على ذاتها ، بل تعداه ليشمل أولئك المفتونين بها من أصحاب المصالح والأهداف المادية وتجار الحروب والمتاجرين بالبشر والطبيعة . وهذا مرجعه إلى الانهيار النفسي والضحالة في التفكير والاستخفاف بالتوجه الروحي ، ونزعة الأنا المتحدة بالوهم . وباختصارٍ ، فإن مسارات المعطيات الأناجيلية تكرس المعطى التاريخي والتشريعي لحضارة تنفي نفسها لكي تُثبت نفسها . إنها أشبه ما تكون بخدعة غير معقولة متواطئة مع السلطة السياسية ، أو مملكة للخطيئة المتجذرة ذات التبعات الثقيلة في الأذهان الغربية ، لا سيما وأن النص الأناجيلي في الغرب يتم فهمُه سياسياً بشكل فوضوي تخيلي أسطوري يسير باتجاه مضاد للفطرة الإنسانية، فحريٌّ بنا أن نعمل على استئصاله بمساعدة العقل التخيلي والعقل الواقعي .

*

وأثرت علاقةُ التشويش بين العناصر الفلسفية في تشكيل النص الدِّيني الإفرنجي والعناصر المجتمعية على حياة الكائنات خصوصاً المرأة ، وما قامت به النصرانية المتصهينة من قمعٍ للمرأةِ نابعٌ _ في الأصل _ من الاستناد إلى الخلفية غير السوية لرجال الدِّين الذين يستخدمون الأناجيل كأداة ضغط على المرأة لتكريس اضطهادها

واحتقارها وجعلها سلعةً رخيصةً تتقلَّب بين أيدي القادرين على الدفع وتجار الرقيق الأبيض . إنني لا أجد غضاضةً في القول إن العقائد الشعبية بوصفها إشكالية كبت سياسي ذهني أيديولوجي قد أرست ثقافة البنى التجريدية للانهيار الفلسفي العنيف ، وحشرت المرأةَ في زاوية التسلع واعتبارها إحدى منتجات ثقافة الجسد المؤدلج ، حيث تصير الأنثى دُميةً فاقدة لأنوثتها بشكل مريع .

فالمذهب الكاثوليكي يُحرِّم الطلاقَ تحريماً باتاً ، حتى أنه لا يعتبر الخيانة الزوجية سبباً وجيهاً للطلاق ! ، وكل ما يحصل في حالة الخيانة الزوجية هو التفريق جسدياً بين الزوجين مع اعتبار العلاقة الزوجية قائمة . أما المذهبان الآخران الأرثوذكسي والبروتستنتي فيُبيحان الطلاق في حالات محددة منها الخيانة الزوجية ، لكنهما يُحرِّمان على الرجل والمرأة كليهما أن يتزوجا بعد ذلك ! . يجب منح المرأة حقها في الطلاق ، وحقها في المطالبة بكامل حقوقها ، خاصةً حقها في رفض العيش مع رَجُل لا تُريده . يجب تحرير المرأة على وجه البسيطة بالإسلام الذي قدَّم رؤية معصومةً للخلاص البشري وحفظ حقوق الأفراد في إطار الجماعة دون أن يطغى طرفٌ على آخر .

إن السلوكات الشاذة للكنيسة الغربية تدفع المرأةَ دفعاً إلى الانحراف الأخلاقي ، حيث يتم قتلُ الحب والقيم النبيلة في داخلها بسبب عدم تقدير مشاعرها ، وتصنيفها كآلةٍ للتكاثرِ مجردة من كل الحقوق . إلى متى سيظل رجالُ الدِّين يتحكمون بالتأويل الإنجيلي ويحتكرون وجهة العلاقة بين الرجل والمرأة ؟! . لقد آن الأوان لرفضِ القيم غير الإنسانية وإبعادها عن دائرة التحكم في حياة ملايين الناس الذين يُعانون ويضيعون بسبب تحريف الكثير من النصوص التي لم تعد ملائمةً لهذا الزَّمن . ولنصرخْ بأعلى صوتٍ : إن هيمنة ثلة من البشر على كتاب ديني ، وادعاء الحق المطلق في تأويله ، واحتكار تفسيره وتوجيهه ضد العقل المستنير المنفتح على الحضارة ، وضد الإنسانية وضد المدنية . أيتها المرأةُ لا بد أن تقولي كلمتك .

*

ولنقم باستعراض موجز جداً لأهم الأحداث في تاريخ النصرانية المتصهينة المظلم في العصور الحديثة ، لكي نحصل على رؤية شاملة لعناصر المعاملات المكوِّنة للأنساق في العلاقات المحمومة وغير الطبيعية بين السُّلطات الرئيسية : الدينية والسياسية والمجتمعية .

كانت حركةُ الانشقاق البروتستانتي أهم حدث على الإطلاق في تاريخ النصرانية. إذ أنها طفرةٌ خطيرةٌ مدوية في طريقة التعامل مع السُّلطة الإقصائية ، وانتقالة نوعية في تحدي الموروث الديني المبعثر في خيالات رجال الدِّين ودكتاتورية الحكام السياسيين الذين يُنَسِّقون مع المرجعية الكنسية بُغية تدجين الأتباع ليسهل قيادتهم كالأغنام التي تُسَمَّن قبل ذبحها. انشقاق في مفهوم سيادة البُنى النمطية التقليدية المصادمة للتنوير ، نتج بفعل ثورة معرفية مناوئة للاعتيادية المتخلفة . صحيحٌ أنها ثورةٌ خلخلت القيم السائدة إلا أنها محصورة في دوائر الأساطير شأنها شأن العقائد الأناجيلية التي تمثل مركزية الأسطورة وهشاشة الانتقال السلس من المعرفة السالبة إلى الوهم المتذبذب . فمن المستحيل أن تخرج ثورة طاهرة من بيئة فاسدة رَحِم نجسة . فأي نَصٍّ يضاد رسالة السيد المسيح وإن تم تقديسُه ، فهو مرفوض جملةً وتفصيلاً لاحتوائه المعارف المغلوطة والمعطيات غير الثابتة .

وجاء الانشقاق الشرس بعد إرهاصات عنيفة متمثلة في انتقاد السلوكيات الشاذة للكنيسة الكاثوليكية البابوية محور المركزية السُّلطوية الاعتباطية، وتصرفات رجال الدِّين وعلى رأسهم البابا الذين حوَّلوا الكنيسة الغربية إلى شركة استثمارية لنهب ثروات المجتمع بواسطة المتاجرة بالدِّين وإخضاعه لمنطق السوق والربح والخسارة والتسلع والتسويق والبيع والشراء ، وأبرز مثال على ذلك صكوك الغفران . فلم يكن الدِّين عندهم إلا صفقةً وسيفاً مرفوعاً على الرِّقاب من أجل استتراف وامتصاص ثروات وممتلكات البشر حتى القطرة الأخيرة . فهذه الفوضى المجتمعية وانعدام المنحى

الواعي في التعامل مع التجمعات البشرية أدى إلى انهدام وتمزق في شخصية الأفراد ، وتحويلهم إلى دُمى يلعب بها الفهمُ المتعاكس المتصلب للتراث المخجِل .

وقد حصل شرخٌ واسع في الدِّيانة الإفرنجية أدى إلى ظهور كيانٍ مستقل ومذهب منشق عن المسار الكنسي التقليدي . وهذا المولود الجديد وُلِد في الدويلات الألمانية على يد راهب اسمه مارتن لوثر (وُلِد عام ١٤٨٣ م) . وهذا الخضم الراكض في التبعيض الجزئي للفلسفة المنحرفة اختُصِر في الذات الشخصية الاعتبارية لأحد الرهبان الخارجة عن اتجاهات الذوات المجتمعية للناسِ والبيئة . لكأنما المذهبُ مُلْكٌ شخصي غير شرعي راح يتوزع على ورثة غير شرعيين. وليس مستغرباً أن يكون غير شرعي ، إذ أنه انطلق من بيئة متحجرة غير منفتحة على الإسهامات العقلية المعرفية. وهكذا بيئة خرساء لا تمثل إلا نفسها، محالٌ أن تنطق باسم الكائن البشري وتختار وتقرر نيابةً عنه . فالبيئة الفاسدة سمومٌ تتغلغل إلى خلايا ساكنها تدريجياً حتى تقضيَ عليه تماماً ، حيث تُعطِّل مسيرة الإبداع وتكافح التفكير البناء المثمِر . إن العناصر الإرهابية الظلامية تجد مرتعاً خصباً في بيئة مغلَقةٍ مفتوحةٍ على القمع والاضطهاد وفقدان التسامح . لا يمكن أن يخرج كائنٌ سويٌّ من هذه البئر المليئة بالآفات والثغرات .

وعلى الرغم من كون هذا المولود مسخاً إلا أنه أسقط هيمنة الكنيسة واحتكارها للحقيقة حتى يومنا الحالي. إن هذا المشروع الدِّيني الانفصالي يمتلك مرجعيات مغايرة لما اعتاده الفهمُ التقليدي ، مرجعيات أعادت صياغة النهائي الحاسم واتخذت من الشك المنهجي في حدود ومعالم طبيعة تلقي النَّص مساراً لها ، لذلك حوربت وقُمعت بشتى الأساليب الناعمة والوحشية . فالصراع العَقدي في الداخل النصراني جاء كرد فعلٍ هجومي لطائفة المهمشين الذين فُرض عليهم تأويلٌ بالغ الخصوصية بعيد كل البعد عن مصالحهم المادية ومناطق نفوذهم وسيطرتهم . وإنني أتوقع أنه لو كانت الكنيسة الكاثوليكية الغربية تُدرك مآلات هذا الانشقاق وآثاره الممتدة ، وتعي الانفجارات

المنطلقة من هكذا حدث ، لكانت سعت بكل أساليبها الملتوية إلى عقد صفقة ما وفق صيغة محددة تتقاسم مناطق النفوذ بينها وبين المعارِضين ، مثلما فعلت بريطانيا وفرنسا في معاهدة سايكس بيكو سيئة السمعة .

لكن السؤال الحيوي في هذا الموضوع هو لماذا ظهرت حركة التحولات الجذرية الاقتلاعية من البيئة التاريخية في الدويلات الألمانية بالذات ؟. إنني أُرجع ذلك إلى سبب جوهري مركزي خفيٍّ تدور في مداره باقي الأسباب ، وهو الصراع بين شمال أوروبا (ألمانيا والدول الإسكندنافية) الشاعر بالإقصاء والتهميش ، وبين جنوبها الكاثوليكي (فرنسا ، إيطاليا ، إسبانيا) النائم في أحضان المتاجرين بالدِّين لتحقيق مصالح ضمن علاقة تشبه نظام التطفل . والشعور بالغُبن أدى إلى قيام مثل هذا الانقلاب . فالخاسر في أي معادلة هو الذي يقوم بالثورة .

تبادل المصالح والمنافع المادية وصل إلى طريق مسدود ، وشعر كل طرف أن موروثاته التاريخية التي يستمد منها شرعيته المزعومة مهددة ، وبالتالي لا مفر من المواجهة لأن الجنسوية الأيديولوجية _ وهذا المصطلح أعني به تلاحم التاريخ والعقيدة والمصلحة الحياتية الدنيوية لتشكيل كيان واحد ذي رأس واحدة _ وسَّعت رقعةَ القداسة عبر إضفائها على نتاجات بشرية عادية غارقة في الخطيئة التي تُروَّج على أنها الخلاص المطلق النهائي . وطرفا المعادلة النزاعية يقفان على جانبين متقابلين وكلٌّ منهما يمسك بالجنسوية الأيديولوجية ظناً منه أنه على الصراط المستقيم .

أما ما ركَّز عليه مارتن لوثر من تعاليم منها : التركيز على ما يُسمى فكرة الخلاص بالإيمان ، ومهاجمة أكاذيب الكنيسة التي ادَّعت أن البابا يملك سلطةَ غفران الذنوب عن طريق إصدار صكوك الغفران لقاء مبلغ من المال ، فهي أقنعة خادعة استخدمها مارتن لوثر كأدوات حرب في نزاعه مع الكنيسة من أجل تحقيق مصالح شخصية ونفوذ أوسع ، وليس من أجل سواد عيون الإنسان النصراني العادي . وإنني

أرى أن مارتن لوثر كان محتالاً ، حيث سيَّس الدِّينَ في لعبته الثورية الانقلابية. فالبروتستنتية والكاثوليكية وجهان لعملة واحدة اشتركتا في حرب صُبغت بهالة القداسة والألوهية .

والدليل على كلامي أن انتقاد لوثر لممارسات الكنيسة وأعمالها الشريرة، وشن الهجوم عليها من خلال كتابة بيانه المشهور الذي ينتقد فيه معتقداتِ الكنيسة جاء في عام ١٥١٧م ، أي بعد أن أرسلَ البابا الرهبانَ لبيع صكوك الغفران لحاجة البابا للأموال لبناء كنيسة " القديس بطرس " في روما . فإذا علمنا أن لوثر دخل الدَّيرَ راهباً عام ١٥٠٥م ، فبالتالي جاء انتقادُه للكنيسة بعد اثني عشر عاماً ، فماذا كان يفعل طوال هذه الفترة ؟ ، ولماذا لم يأت انتقادُه في فترة مبكرة ؟ . لقد شعر أن مكانته مهددة وأنه لا وسيلة لتحقيق نفوذ أكبر إلا بشق عصا الطاعة والخروج على زعيم الكنيسة بابا الفاتيكان . نحن أمام جماعة تتغطى بالدِّين ليسهل اختراقُها لمجتمع العوام الذي يشكل الغالبية العظمى في أي تجمع بشري مُوجَّه عن بُعد باستخدام الماكنة الإعلامية والتلويح بالسيف والمال .

وتلقَّف الفكرةَ فيلسوفٌ يُدعى كَالفِن حيث استهواه ركوبَ الموجة ، فأسَّس في جنيف عام ١٥٤١م مجلساً كنسياً للسيطرة على جميع مظاهر الحياة اليومية للناسِ ، وإحكام قبضته على البلاد والعباد ، وتنفيذ مخططاته الاستعبادية في محاولة لإعادة سياسة الاستخراب في قالب جديد بعيد عن الصورة النمطية التقليدية . فانتشر المذهبُ الكالفني في هولندا وإسكتلندا عبر تقديم إغراءات وتنازلات تستترف العامة بطريقة سلسة بالغة النعومة. فوضعُ كالفن لنظريته البروتستنتية الخاصة ونشرُ نظريته الخاصة في كتابه " مبدأ الدِّين المسيحي" جاء انعكاساً لحالة الفوضى التأويلية المائعة التي يتم توجيهها وتصويبها نحو الأهداف المادية لتحقيق مكاسب استغلالية ترتدي ثوب الدِّين .

وهكذا يظهر جلياً أن أهدافاً سياسية إمبريالية من نوع خاص كانت وراء هذه التحركات ضد الكنيسة ، لا كما يظن بعض الدارسين أن الإخلاص والتقوى والأمانة العَقدية والعلمية جاءت فجأةً إلى لوثر وكالفن . فأي تقوى وأي إخلاص في عقائد الحملات الصليبية ؟! . إن الذين يشنون الحروب ، ويدفعون بالشباب في نيرانها من أجل تحقيق مصالحهم الذاتية ، ويظلون في قلاعهم مختبئين يُعرِّفون التقوى _ في قرارة أنفسهم _ على أنها قتل المعارِض في حربهم التي يُقَدِّسونها ويقودونها باسم إلههم . إن المنحرفين يلبسون ثياب الحملان ، ولكن ناراً تتأجج في دواخلهم على الأغيار . فأين انتقاد لوثر وكالفن لسلسلة محاكم التفتيش (محاكم الاستجواب) التي قَتَّلت المخالفين عَقدياً ونكَّلت بهم بكل قسوة ووحشية ؟. لماذا اكتفوا بالصمت المخزي وأغمضوا عيونهم وأغلقوا أفواههم عن هذا الموضوع بكل خيانة وعارٍ ؟ . هل تناسوا محاكمَ التفتيش التي أنشأها البابا غريغوروس التاسع عام ١٢٣١م لمكافحة الذين أعملوا عقولَهم وخرجوا عن الدِّين ، وهذا حقهم الإنساني الشرعي ، ومحاكم التفتيش الإسبانية التي أُنشئت في إسبانيا بموافقة البابا سيكستس الرابع عام ١٤٧٨م لمطاردة المسلمين واليهود ، وديوان التفتيش الروماني الذي أنشأه البابا بولس الثالث عام ١٥٤٢م لمقاومة الحركة البروتستنتية بالقسوة والتفنن بالتعذيب حتى الموت . إن محاكم التفتيش الصليبية إرهاب في أبشع صوره بزعامة طائفة من بابوات الفاتيكان .

وصدق الإمام الشافعي حين يقول :

وَدَعِ الذينَ إذا أتَوكَ تَنَسَّكُوا   وإذا خَلَوْا فهم ذئابُ خِراف

وجاءت اللطمة الثانية الموجعة للكنيسة والبابا بحدوث الانشقاق في الكنيسة الإنكليزية الذي شكَّل منعطفاً حرجاً ومرحلةً مفصليةً ألقت بظلالها القاتمة على كل معطيات الحياة اليومية في أوروبا الصليبية . وكان زعيم هذا الانشقاق هنري الثامن ملك إنكلترا الذي كان متزوجاً من الملكة كاترين قريبة الإمبراطور شارل الخامس ،

فأراد هنري الثامن من البابا أن يُلغيَ زواجَه من كاترين إلا أن البابا رفضَ لأن كاترين قريبة الإمبراطور شارل الخامس حامي الكنيسة الكاثوليكية، فخشي البابا أن يُغضِب هذا الأمرُ حامي الكنيسة . وألبس البابا قرارَه غطاءً دينياً لكسب تعاطف الشعب . فما كان من هنري الثامن إلا أن أعلن الانفصالَ الدِّيني عن الكنيسة الكاثوليكية ، ووافق البرلمان الإنكليزي الشكلي على هذا ، وأصدر قانوناً يقضي بفصل كنيسة إنكلترا عن الكنيسة الكاثوليكية في روما ، وأعلن هنري الثامن نفسه رئيساً أعلى للكنيسة الإنكليزية التي سمحت للملك بطلاق زوجته والزواج من آن بولين . فهذا السبب المضحك جعل المذهبَ البروتستنتي ينتشر في إنكلترا بشكل واسع . وهكذا نرى أن مصالح شخصية ومنافع ذاتية كانت وراء انطلاق هذه المذاهب الفاسدة . وتم تتويجُ هذا الهذيان بقرار إليزابيث الأولى الجمع بين المذهبين البروتستنتي والكاثوليكي فيما عُرِف بالمذهب الإنكليكاني . والسؤال الخطير هو أين كان البابا والكرادلة عندما تزوَّج هنري الثامن ست نساء على التوالي ؟ مع العلم أن ديانتهم تُحرِّم التعدد . هذا يدل على أن من بيده السُّلطة يسير مع الدِّين ظاهرياً ما داما يحققان نفس المصلحة ، ثم يتم إقصاء الدِّين بالكلية إذا عارض توجهات الحاكم .

وبعد هذه الأحداث السوداوية المضحكة المبكية استيقظت الكنيسة الكاثوليكية وبدأت حملةً أسمتها حركةَ الإصلاح الكاثوليكي ، عبر لجانٍ كنسية تبيح قتل المخالفين وإجراءات قمعية متمثلة بمحاكم التفتيش ، وتبشيرية متمثلة بإقامة المدارس المشبوهة . لكن هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح ، إذ أنه بحلول عام ١٥٤٥م صار الشمال الأوروبي بروتستنتياً والجنوب كاثوليكياً، وقاد هذا إلى حروب دينية طاحنة أكلتْ أوروبا من عام ١٥٤٥م حتى عام ١٦٤٨م ، ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر .

*

إنها حملةٌ شرسةٌ تلك التي تشنها قوى الشر في العالم على الإسلامِ والمسلمين. وهذا يعكس صورة الغرب الكافرِ في كرهه للحق والحقيقةِ التي جاءت بها رسالة الإسلام ولا دين سماوياً إلا الإسلام . قال الله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران : ١٩]. وها نحن نرى النصارى المتصهينين في الغرب رغم الاختلافاتِ الشديدةِ فيه والتيارات والمذاهب والأفكار المتناحرة ، نراهم قد توحَّدوا على هدف محدد وهو محاربة الله ودينه الأوحد . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [المجادلَة : ٥] . وعلينا كمسلمين بوصفنا وحدنا على الصراطِ المستقيم أن نجاهد في سبيل الله من يقتلنا ويهاجم ديارنا ، ونعليَ راية التوحيد كي ترفرف على كوكب الأرضِ .

إن كوكبَ الأرضِ يجثمُ على صدره أثقالٌ أسطوريةٌ من اختراعات الأفاكين لغاية في أنفسهم . والإنسانُ لن يلتقي بإنسانيته إلا بإزالة العقبات في الدرب العالمي الذي وضعت قوى الشر عنده أوتاد خيامها مؤقتاً على أملِ الإقامة هناك ، والتحكم بسير البشرية . الوضعُ يحتاج إلى جهودٍ مُضنيةٍ وعمل متواصل لتخليص العالم من هيمنة العناصر الشاذة عن طريق الله تعالى .

وقد وصل المسلمون إلى الحضيضِ بابتعادهم عن إسلامهم العظيم الذي لا ينزلُ عن القمة . ونحن المسلمين نتحملُ المسؤولية كاملةً لأننا حصرنا تفكيرنا في البطن والفَرْج ، في الراتب الشهري والانحناء للمدراء ، في اللحن المنسق والرقصة المتلائمة معه .وحالة تغييب العقل المسلم تتم استناداً إلى برمجية مخطط لها بعناية ، تُجرى بشكل تقابلي ارتدادي . بمعنى أن المادية العالمية تضع خُططاً محددة الأهداف والرؤى وتعممها على أذنابها في المشارق والمغارب لينفذوا دون اعتراضٍ ، أو يقدموا ملاحظات لخدمة مصالح " الأعمام سام " فهو لم يعد عماً واحداً لأنهم يتكاثرون على جثث الضعفاء . والنظرة التقابلية تتمحور حول فكي الكماشة. وحوشٌ تقف على هذا الجانب

ووحوشٌ على الجانب المقابل وبينهما بشرٌ يُسحقون . أما النظرة الارتدادية فلأن بداية الخيط مع الإمبراطور وحينما يهزه تتوالى الارتدادات إلى الجالسين في نهاية القاعة فيقومون لأمر سيدهم الصَّولجان .

عندما تأتي مومسٌ إلى رجل محترم ويقومان بالفاحشةِ. المومسُ لا تخسرُ شيئاً لأن الثوب الأسود لا يُرى فيه البقع الداكنة ، أما الرجل المحترم فهو الخاسر فسمعته تلطخت كالثوب الأبيضِ تظهر فيه أدنى علامة . وهذا هو الحاصل في عالمنا . فالأنظمة الغربية حين تعتنقُ العلمانية كمنهج لم تخسر شيئاً ، لأنه ليس بعد الكفر ذنبٌ ، وقد كفرت منذ قرونٍ ، وسجلها حافلٌ بمعاداة الذات الإلهية تعالت وتقدست. إنما المسلمون إذ يحذون حذو الغرب في كُفره يفقدون الدارين . وكأنهم يقولون لربهم لا نريدُ دينكَ . والله غني عن العالمين. وجهنم تتسع لمن يبتغيها . والجنة تحن لطالبها .

هل يظن الأعرابُ الحمقى أن الإسلامَ فقيرٌ إليهم ؟. الإسلام غير خاضع للزمان ولا للمكان ولا للمعطيات المعاصرة ، ولا يتأثر بالماضي ولا بالحاضر ولا بالمستقبل . أيها الآدمي إن وجدتَ هدفك في فرج امرأة ، فراجع أمورك ومعتقداتك . وإن عَبَدت البشرَ فارجع عن غَيِّك . وإن ظننتَ أن مكاتب الشركاتِ الكبرى المكيفة صيفاً ستنقذك من النار ، فقد أصبتَ كبد الغَباء . تعالوا إلى الإسلامِ الخلاص .

النظام الأرضي المفروض من الإنسانِ على الإنسانِ والبيئةِ ، تتكشفُ خيوطه في عواصم صنع القرار الدولي من أجل صياغة حضارة جديدة مهجنة ولقيطةٍ . وما يسمى بالعولمة تعبيرٌ رقيقٌ عن الاندفاع الهستيري للأخذ ، وهو المختفي بتأججه خلف العبارة الناعمة والعنوان السلس . أي حضارةٍ يريدون ؟ . وأي شعوبٍ سيعيدون إنتاجها حسب مواصفات الرؤية الغَازِيَةِ التي يبشروننا بها ؟ .

إن لم ترفع خنجرك فسيعتبرون أنك رفعتَ يدك تأييداً لقرارات السادةِ الجدد . من ظن أن الحربَ قد تنتهي فهو مخطيءٌ . لأن الصراع بين الأديان موجودٌ ، فالحرب

بين الإسلامِ وديانات الضلال الأخرى لا مناصَ منه . وهذا أمرٌ إلهيٌّ لا يملكُ أحدٌ أن يعلن خلافه . فالضدان لا يجتمعان ، والجنة ليست جهنم . وحبيب الله تعالى ليس كعدوه .

والحربُ بين الأديانِ مُعلنةٌ مذ ذهبت فئاتٌ من الناسِ يخترعون أدياناً من عقولهم المريضة ويؤلفون شعائر وأنظمة وجاهليات منقطعة عن السماء . ولسان حالهم يقول لا نريد الإسلامَ الذي ارتضاه الله تعالى لنا ، وإنما نريد اختراع الدِّين الذي يتلائم مع مصالحنا وصنع الآلهة التي أبدعتها عقولُنا. ويأتي أقوام من جلدتنا إما أنهم جاهلون أو يتجاهلون ويرددون أسطورة" الأديان السَّماوية " . وهذا أكبر الأساطير التي تُحارِب الله تعالى . لأنه ليس هناك دينٌ سماويٌّ إلا الإسلام العظيم . فمن يصر على مقولة الهذيان "الأديان السماوية" بعدما تبين له الحق الواضح ، فإنه يُستتاب فإن تاب تابَ وإلا فإنه يُقام عليه حد الردة، بسبب تكذيبه للقرآن الكريم في كثير من الآيات قطعية الدلالة غير محتملة التأويل[١] .

ثم جاء متحذلقون قائلين: ((إنما الصراعُ بين أتباع الأديان وليس بين الأديان)) . وهذه مقولة مردودة. لأن أتباع الديانات يتلقون عقائدهم من دياناهم ويحملونها معهم. فالصدام بين البشر هو صدامٌ بين العقائد التي يحملونها ، فما استقر في قلب المرء وعقله ينعكس على سلوكه . لذلك المصادماتُ بين المسلمين والنصارى في الحروب الصليبية هو صدامٌ بين الإسلام والنصرانية الغربية ، بين الحق المطلق المتمثل في الرؤية الإسلامية للوجود الآدمي ، وبين الباطل المطلق المتمثل في الديانات الأخرى . والمصادمات بين المسلمين والهندوس صدامٌ بين عقيدتين . وقِسْ على هذا باقي المصادمات . مما يُستنتجُ منه أن العقائدَ تتحاربُ فيما بينها لتظل العقيدة الحقيقية والصواب الكامل وهو الإسلام .

---

(١) لقد وضحتُ هذه المسألة في أكثر من موقع في الكتاب .

والكفارُ في كل مراحل وجودهم ينتهجون في سياساتهم منهج " أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب ". مع ملاحظة أنه حيثما كانت المصلحة كان الأخ. أي أن الأخ وابن العم والغريب مصطلحات فضفاضة لدى الكفار تتغير باستمرار وتلبس لكل جريمة قناعها الخاص بها. فالأخ عندهم قد يصبح ابن عم وربما غريباً إذا اقتضت المصلحة ذلك . وهذا المنهج مضاد للشريعة الإسلامية الغراء، كيف لا وهي التي أسست مبدأ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فعن أنس _ رضي الله عنه _ قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((انْصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً)) فقال رَجُلٌ : يا رسولَ الله أنصرُه إذا كان مظلوماً فرأيتَ إذا كان ظالماً كيف أنصرُه ؟ قال : ((تحجزه أو تمنعه من الظُّلم فإنَّ ذلك نَصْرُه))[1].

وذُرْ مع الحق حيثما دار واعرف الحق تعرف رجالَه،حيث أن الرجالُ يُعرفون بالحق وليس الحق يُعرف بالرجال . كما أن الغايةَ لا تبرر الوسيلة . وبسبب سطوة التيارات المادية الجدلية ظهرت المذاهب النفعية التي تبرر استغلال الإنسان بحجة أن الهدف الأساسي يُذيب أي وسيلة _ شريفة أو وضيعة _ ، وهكذا صار الإنسان مجرد دُمية يُقضى عليها من أجل عدة دراهم . ولم يكن ظهور ميكافيللي[2] إلا حلقةً في سلسلة إرهابية ترسَّخت في الغرب المادي الذي حوَّل الكائناتِ إلى مشاريع استثمارية مشبوهة وغارقة في الغش والتحايل والتدليس ، وبالتالي تُقاد كالأغنام إلى انتحارها البطيء وموتها المتوقع في كل لحظة . إن ميكافيللي نتاجٌ بيئة اجتماعية عامة اقتنعت بحتمية الوصول إلى الهدف وإن مَرَّ الطريق على جثث الملايين والمسحوقين . وما ظهورُه

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٥٥٠) برقم (٦٥٥٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٨) برقم (٢٥٨٤) .

(٢) نقولا ميكافيللي (١٤٦٩م _ ١٥٢٧ م) ، ركَّز تعاليمَه على مبدأ " الغاية تُبرِّر الوسيلةَ " وفيه ينصح الحكام والأمراء بان يلجأوا إلى أية وسيلة للحفاظ على سُلطتهم ولو كانت هذه الوسيلةُ مؤذية وغير محمودة . من أهم آثاره كتاب الأمير .

إلا شكلٌ للبُنْية السياسية التي سادت في عصره متمثلة في طواغيت حكموا البلاد عن طريق سرقتها وإفقار أهلها . وتناسَوْا أن الهدفَ النبيلَ يجب أن يكون دربُ الوصول إليه نبيلاً . وظهوره صورةٌ لفساد الحياة الدينية في أوروبا وتحالف السُّلطتان السياسية والدينية من أجل استغلال الشعب بواسطة تسييس النصرانية الغربية وصهينتها بشكل يخدم مصالح عِلْية القوم ، واستخدام الدِّين أفيوناً تُحقَن به الشُّعوب وتُخَدَّر لمنعها من الثَّورة وتغيير الواقع .

والإسلامُ هو ثورةٌ على الجاهليات بشتى صورها لأنه يملك مقومات الاستمرارية الذاتية رغم ظهور علماء السَّلاطين في بعض المواقع الحساسة . وعبثاً حاول المرتزقةُ تطويع الإسلام ليصير أداةً لَيِّنة في أكف الحكام وعلماء السوء يوجهونه حيثما أرادوا . والدَّولتان الأموية والعباسية حاولتا تسييس الدِّين بشكل مكثف في بعض الحالات ، ولكنْ اصطدمت جهودُهما اليائسة بوجود علماء مخلصين اختاروا الآخرة على الدنيا .

لذا فالصِّراع جوهرٌ ثابتٌ حقيقي كحقيقة وجود الإنسان وليس عَرَضاً مؤقتاً . بل إن الصراع بين الخير والشر هو أساس الوجود البشري ونواة المنظومة الإنسانية . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . أي ولولا أن الله تعالى يُسخِّر للقوي المعتدي الظالِم من هو أقوى منه لطغى في الأرض وتجبَّر وأهلكَ الحرثَ والنسل ، وبالتالي يعم الدمار والهلاك والفساد . فقدرُنا أن نولد في الصراع ونموت في الصراع . والحق والباطل لا يجتمعان مطلقاً ، والصراع بينهما حتميٌّ ونهائيٌّ . والعاقبة لا محالة للحق المتجسد حصرياً في الإسلام . ولكنْ علينا أن نُثبت وجودَنا ونُرِيَ اللهَ تعالى أننا نستحق لقب مسلمين . لذلك وجدنا تحالفات ونزاعات كثيرة في المجتمع الإنساني الداخل في خضم الصراع ، مع العلم أن الصراع ليس بالضرورة أن يكون عسكرياً . إذ أنه يتنقل بين النواحي المدنية والعسكرية ، بين عالَم القلم وعالَم السيف ، بين الفكرة والرُّمح ، بين الكتاب والقنبلة .. إلخ .

ولنستعرض أجزاء من جغرافية الصراع على الخارطة الأرضية الملتهبة . وعلينا الانتباه _ بدايةً _ إلى أن هناك تحالفات كثيرة مختلفة عَقديّاً تكونت من أجل محاربة الإسلام . في حين أن الدولة الإسلامية لم تتحالف مع غير المسلمين في القتال . وهذا المنهج سَنَّه النَّبيُّ ﷺ الذي لم يستعن بغير المسلمين في القتال . وإنما استخدمهم في مجالات أخرى كإرسال عينٍ أو دليل . فالنبيُّ ﷺ أرسل بشر بن سفيان عيناً إلى قريش ليأتيه بأخبارهم ، وقد كان يومها على الشِّرك[1] . فلا يجوز في الوضع الطبيعي الاستعانة بالكفار في القتال بتاتاً ، لقول النَّبي ﷺ : ((فلن أستعينَ بمشرك))[2] . والأمر ليس متوقفاً على المشركين بل ينسحب على غير المسلمين سواء كتابيين أو غير كتابيين . فالجهاد إنما يكون لإعلاء كلمة الله تعالى ، وهذا لا يتأتى إلى بوجود عقيدة صحيحة ، والعقيدة الصحيحة لا توجد إلا عند المسلم .

إننا نجد تحالف اليهود والمشركين من أجل هدم الدولة الإسلامية بقيادة رسول الله سيدنا محمد ﷺ في الجزيرة العربية . وهذا التحالف اليهوشِرْكي بُني على أساس داخلي متمثل في العداوة القلبية وتأصيل نفسي وأفكار مسبقة تناوئ الآخر تُرجمت فيما بعد إلى سلوك فعلي. قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة : ٨٢] . وقد قُدِّم اليهودُ على المشركين ، لأن اليهود أهل كتاب لديهم علم وبالتالي يتحدثون عارفين ما يقولون ، خالطين مكرهم ودهاءهم الفائقين مع انحرافهم المتعمد عن المنهج السماوي ، في حين أن العرب عبدة أصنام ليس لديهم كتاب يستندون إليه ، وإنما يستندون على أفكارهم الوثنية الجاهلية التي لا تصل إلى

---

(١) فقه السيرة ، البوطي ، ص ٢١٨ .

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٠) برقم (١٨١٧) ، رواه أحمد (٦/ ٦٧) برقم (٢٤٤٣١) ، وابنُ حِبَّان (١١/ ٢٨) برقم (٤٧٢٦)، والنَّسائي (٥/ ٢٣١) برقم (٨٧٦٠)، وأبو داود (٣/ ٧٥) برقم (٢٧٣٢) ، وابن ماجة (٢/ ٩٤٥) برقم (٢٨٣٢) .

رتبة الحجة . كما أن العرب ـ بعكس اليهود ـ ليس لديهم حصيلة متفوقة في المكر والكذب والنفاق والخداع والغش ، على الرغم من كونهم وثنيين . فأخلاقهم العربية والمروءة والقيم الرجولية والقبلية كانت تمنعهم من كثير من الخصال السيئة . لذا كان العربُ تبعاً لليهود في محاولاتهم العبثية لتقويض دعائم الإسلام والتشكيك والطعن بنبوة محمد رسول الله .

فاليهود هم الآباء المؤسسون للخداع والمكر ومحاولة قلب الحقائق وتزويق الكلام الذي ينطوي على أغراض خبيثة . ولأن المجتمع ـ بشكل عام ـ جزءٌ من الكينونة البشرية ، والمجتمع الجاهلي ـ بشكل خاص ـ منبثق عن التوجهات البشرية والإنتاجات المعرفية للإنسان الجاهلي ، بات المجتمع انعكاساً لحالة التخلف الإنساني في تلك المرحلة . وليس أدل على التعاون اليهوشِرْكي من الوقائع التي مهَّدت لغزوة الخندق . إذ أن عظماء بني النضير أرسلوا جمعاً منهم إلى مكة المكرمة وقابلوا رؤساء قريش، وحرَّضوهم على حرب رسول الله وقتاله .

والصراع بين الصليبيين والمسلمين تجلى في الحروب الصليبية التي كانت تُشن باسم الرَّب . وكان بابا الفاتيكان هو القائد الروحي لها . وإليك صراعٌ آخر بين عنصرين مختلفين وهما اليهود والنصارى من أجل تصفية الحسابات . وكالعادة ، يبدأ الصراع بتنظير فكري . قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] . ومن يقرأ التلمودَ سيجد أنه يأمر ـ صراحة ـ بقتل النصارى : ((باستطاعتك ، بل من واجبك أن تقتل أفضل المسيحيين)) . وأيضاً النصارى لم يُقصِّروا إذ أنهم ذَبَّحوا المسلمين واليهودَ وقَتَّلوهم تقتيلاً . وليس أدل على ذلك من محاكم التفتيش الإسبانية التي أُنشئت بموافقة البابا سيكستس الرابع عام ١٤٧٨م لمطاردة المسلمين واليهود .

وحصل _ بعدها _ صراع غاية في الدموية بين البروتستنتية والكاثوليكية دمَّر أوروبا من عام ١٥٤٥م حتى عام ١٦٤٨م . ثم حدث تقارب وتعاون حثيث بين الغرب النصراني الكافر واليهود الملعونين من أجل سرقة فلسطين الوقفِ الإسلامي المقدس . ثم الصراع والحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي . وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي _ بفضل الله تعالى _ صار التعاون حثيثاً بين روسيا الأرثوذكسية وأوروبا الكاثوليكية وأمريكا البروتستنتية من أجل إبادة المسلمين والقضاء عليهم . وهذا يتَّضح في مأساة الشيشان والتغاضي عن الجرائم الأرثوذكسية ضمن منظومة تواطؤ ذات أبعاد نصرانية خالصة . حتى أن الهندوس عبدة البقر أبوا إلا أن يشاركوا في جرائم إبادة المسلمين والتنكيل بهم وقتلهم وتشريدهم وهدم مساجدهم وسرقة الأرض الإسلامية (كشمير)[١] .

ولم يُقصِّر الاستخرابُ النصراني المعاصر والذي يُسمى _ زوراً _ بالاستعمار ، في قتل المسلمين وزرع الفتن والفُرقة والتخلف بينهم . وإن بريطانيا وفرنسا الصليبيتين قدمتا مشروعاً نصرانياً مُعادياً ، وحملةً صليبية جديدة في سايكس بيكو . ولنتذكر ما قامت به فرنسا الكاثوليكية في الجزائر ، ومع هذا رفضت العدوة فرنسا عن الاعتذار عن الماضي الاستخرابي أو إدانته .

وتكررت المأساة في البوسنة والهرسك لإبادة المسلمين وإنهاء وجودهم في أوروبا ضمن خطة صليبية نصرانية بابوية . إن هذه المجزرة راح ضحيتها ما يزيد على مائتي ألف مسلم بوسني جرى قتلهم وذبحهم علناً أمام الكاميرات التلفزيونية ، وفي الوقت نفسه تمت فيه أكبر عمليات الاغتصاب الجماعي للنساء ، إلى جانب طرد مليوني

---

(١) انظر كتاب " فصول من مأساة كشمير " لشعيب عبد الفتاح .

مسلم وتشريدهم بالقوة . ومما لا شك فيه أن الغرب الكافر لم يتدخل في البوسنة من أجل سواد عيون المسلمين ، ولكنه تدخَّل حين شعر بتهديد مصالحه[1] .

أما الحروبُ التي خاضها المسلمون فكانت للدفاع عن النفس ، وفتح البلاد لا لزرع الموت فيها بل لإحيائها عن طريق عرض الإسلام الذي حرر فارسَ من عبادة النار ، وحرر الرومَ من تقديس غير المقدَّس ، وحوَّل المغولَ والتتارَ والبربرَ من همجية التخلف والسادية إلى حَمَلة رسالة بإنسانية ومنطق ، وتحويل العرب الذين كانوا حيوانات ضائعة في الصحاري ، والذي كان وجودهم كعدمه إلى رجالٍ أصحاب عقيدة يحملونها ويعرضونها بالإقناع والحجة ويُدافعون عنها . إذن من الحق أن نقول بملء الفم الفتوحات الإسلامية التي أحيت الموتى . والشعب هو الضمير الحقيقي الذي يُعبر عن التطلعات الإنسانية . لذلك لا يوجد شعب قاوم الإسلامَ . وأتحدى الجامعات ومراكز البحوث والدراسات والمؤرخين والأدباء والمفكرين في الكرة الأرضية أن يأتوا بمثال واحد على أن شعباً قاوم الإسلام . ولكن الذين حاربوا الإسلامَ هم مجموعة المتنفذين من الطواغيت وأعوانهم وجيوشهم الذين خافوا على عروشهم ومناصبهم ، وخافوا أن ترفع الرعيةُ رأسَها ، وأن تعترض الضحيةُ على جلادها . لذلك كان لزاماً على المسلمين إزالة السور الحاجب للشمسِ لترى البشريةُ شمس الله بدون طواغيت تقوم بإغلاق أعين الناس ، ثم تأمرهم أن يتبعوها وفق سياسة ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إلا مَآ أَرَى وَمَآ أَهْدِيكُمْ إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[غافر : ٢٩] ، والتي سَنَّها إمامُ الطواغيت فرعون اللعين .

نلحظُ من التقسيم السابق لخارطة الحروب الدينية في العالم عدة أمور . الأول أن المسلمين كانوا المعتدَى عليهم ، والأمور تُحاك ضدهم . الثاني : أن المسلمين أصحاب رسالة وصوتهم أعلى من صوت سيوفهم وقائدهم المصطفى ﷺ نبي الحق والقوة ، نبي

---

(١) انظر كتاب " مجزرة البوسنة وتخاذل الغرب " ، دافيد ريف .

البيان والسيف . سواء كان بين ظهرانيهم أم لا. لأن العقيدة توجه السيف ، والسيف يحمي العقيدة . الثالث : أنهم لم يبحثوا عن عقيدة أخرى تساندهم وتُعاونهم لأن عقيدتهم هي الحق الوحيد الكامل المتكامل ، فهل هناك عاقلٌ يكون معه اللهُ تعالى ، فيأبى ويبحثُ عن شيطانٍ يدعمه ؟! .

ومن المقولات المضادة للحقيقة قولهم " الأديان جميعها تحض على التسامح " . وإذا ما سمعتَ هذه العبارة فاعلم أنها كلام عبثي صادر من جاهل دون دليلٍ نقلي ولا عقلي . فجميع الأديان سوى الإسلام تعد هرطقة وهباء منثوراً لاشتمالها على عقائد كفرية تسير ضد إرادة الله تعالى . ومن عادى الخالقَ تعالى فمن الأسهل عليه أن يُعاديَ المخلوق . ومن لم يحترم مقام ربه العظيم ، فكيف سيحترمك أيها الإنسانُ وكيف سيقدر حقوقك ويتسامح معك ؟! . وأيضاً ألا يُعتبر التلمود من أساسات اليهودية ؟ . الجواب : بلى . إذن قوموا بقراءة التلمود لتعلموا الحقد والضغينة والكراهية ممزوجة بكومة خُرافات . وماذا عن التوراة الحالية منبع الإرهاب الجنوني ؟ . فإليك بعض النصوص الإرهابية وهي غيض من فيض . فالحث على معاداة الآخر واحتقاره واعتباره لا يستحق الشفقة كل ذلك موجود في التوراة الحالية بشكل فظيع : ((لا تقطعْ لهم عهداً ولا تُشفقْ عليهم)) [تثنية ٧: ٢]. وتكريس الإبادة الجماعية في الحروب بشكل وحشي واستعباد الآخرين واعتبارهم في مستوى الحيوانات ولا تستحق الحياة ، وذنبهم أنهم من الأغيار _ غير اليهود _ : ((حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحتْ لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك ...فاضرب جميعَ ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كُلُّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي

ليست من مدن هؤلاء الأمم ههنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما))[تثنية ٢٠: ١٠_١٧] .

والعجيب أن النصارى يؤمنون بهذه النصوص الداعية للإرهاب ويعتبرونها مقدسةً ضمن ما يسمونه العهد القديم (التوراة). والأناجيل ليست أحسن حالاً من التوراة الحالية . فالإرهاب وقتل الآخرين متجذر في نصوص بشرية كثيرة منها النص الأكثر شراسةً وعنفاً المنسوب كذباً وزوراً إلى سَيِّدنا المسيح : ((لا تظنوا أني جئتُ لأُرسيَ سلاماً على الأرض . ما جئتُ لأُرسيَ سلاماً بل سيفاً . فإني جئتُ لأجعل الإنسان على خلافٍ مع أبيه والبنت مع أمها والكنَّة مع حماها . وهكذا يصير أعداءَ الإنسان أهلُ بيته)) [متَّى ١٠: ٣٤و٣٥] . والتدمير مستمر وللأسف فإنه يُنسَب كذباً إلى سَيِّدنا المسيح : ((جئتُ لأُلقيَ على الأرض ناراً فكم أُريد أن تكون قد اشتعلت ؟)) [لوقا ١٢: ٤٩] . والانقسام وخراب المجتمع أيضاً له نصيب في الأناجيل التي يزعمون أنها تحث على السلام واحترام الآخر : ((أتظنون أني جئتُ لأُرسيَ السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا ، بل بالأحرى الانقسام)) [لوقا ١٢: ٥١] . وتدمير القيم النفسية والعائلية واحتقار الأبوين أيضاً له نصيب في هذه النصوص غير الإنسانية المرعبة : ((إنْ جاء إليَّ أحد ولم يُبغض أباه وأُمَّه وزوجتَه وأولادَه وإخوتَه وأخواتِه بل نفسَه أيضاً فلا يمكنه أن يكون تلميذاً لي)) [لوقا ١٤: ٢٦] .

وأيضاً ألا يعد البابا عظيم الكاثوليك وزعيمهم والقائد السياسي الروحي الأعلى للحملات الصليبية ؟ الجواب : بلى . فلماذا قاد الإبادة الجماعية بحق المسلمين باسم عقيدته ؟ . قد يقول أحدهم إنه سلوكٌ شخص فردي لا يمثل النصرانية . أقول إن هناك مجلساً في الفاتيكان من الكرادلة الكِبار ورجال الدين النصراني على مستوى عالٍ جداً من الثقافة برئاسة " البابا " ، وهم أعلم النصارى على وجه الأرض ، وكلهم متبحرون في دراسات الأناجيل والأسفار والرسائل و ما يسمى بالعهد القديم والعهد

الجديد ، ولم يُقْدِمُوا على هذا العمل إلا بالاستناد إلى كتبهم الوضعية التي يقدسونها. فلم يظهر الأمر كنزوة ، وإنما جاء قراراً جماعياً من أكابر علماء النصارى مستنداً إلى عقيدتهم ، فما كان ليتم الإجماع على أمر لولا وضوحه في عقيدتهم ، وبالتالي أمرت النصرانيةُ أتباعها بتدمير بيت المقدس وقتل المسلمين بلا شفقة أو رحمة مُطبقين نصوصهم المقدسة بكل إيمان وإخلاص وتسامح ! ، حيث غاصت خيولُ الفرنجة في دماء المسلمين إلى الركب ، وهكذا تحققت حقوق الإنسان والديمقراطية ! .

وبعد كل هذا يأتوننا بوجوههم الصفراء المبتسمة مكراً وحقداً رافضين الاعتذار بكل وقاحة وهمجية . وهذا غير مستغرب من أتباع العقائد الوضعية . وأضف على هذا إصدار الفاتيكان قراراً بتبرئة اليهودِ ، ومن يتستر على مجرم فهو شريكُه . ومن يُخفي قتلةَ الأنبياء فهو مشتركٌ معهم . وبالدليل القاطع والنصوص الموثقة التي تأخذ بتلابيب الكفار تبين أن اليهودية والنصرانية الغربية تحثان على الإرهاب وتدمير الإنسان وعناصر الطبيعة .

الذين يَخرجون علينا بمشاريع وصفقات حوار الأديانِ يُضيِّعون وقتهم . وهذه المشاريعُ عمليات تجميل لإقناع السذج بالوحدة البشرية ، إنها لا تعدو عن كونها مادةً إعلامية للكاميرات والمراسلين والصحافة. فحكم الكون يجب أن يكون بيد الإسلامِ، وهو الآن مُغَيَّبٌ عن المشهد الكوني لا غائب. فعلامَ نتحاورُ وهناك اختلالٌ في الموازين والمفاهيم ؟ وهل هناك أفق حواري ونحن واقعون في مصيدة احتلالهم وتنكيلهم وغزوهم العسكري والثقافي والاقتصادي . واجبٌ إعادةُ الأمور إلى نصابها ووضعها الطبيعي تحت مظلة الإسلامِ ولا أحدٌ يُظلَم ساعتئذ، بل عندها لا يلزمنا حوارٌ أصلاً مع الآخر، لأنه يعيش في كنف الدولة الإسلامية متمتعاً بكامل حقوقه. الأَولى أن نعملَ على إرجاعِ الحاكمية لله تعالى . أما الحوار مع الفرنجة الجدد الذين يشنون الحروب الصليبية تحت الإشراف الروحي للعقل المدبر سماسرة الكنيسة الغربية في شتى العصورِ

فهوانٌ ما بعده هوان ، والأدهى من هذا أن الفاتيكان يرفضُ الاعتذار عن حملاته الصليبية وجرائمه بحق المسلمين إلى الآن، وحتى لو اعتذر فلن نقبل ذلك منه . فدماءُ المسلمين لا تُمحى بكلمات عاطفية . في حين برَّأ الفاتيكانُ اليهودَ الحاليين من " دم المسيح ! " ضارباً الأناجيل عرضَ الحائط. فأي وحدةِ أديان يتشدق بها أولئك العائشون في الوهم والخيالات ؟. الكفرُ ملةٌ واحدةٌ هذه وحدة الأديانِ ، فالشر ينجذبُ إلى الشر ويتجمع لتشابه المصيرِ. والإسلام يَجْذِبُ ولايَنْجَذِبُ لأنه الحقيقة الوحيدة الخالدة .

هذا الكتاب يدرس واقع المسلمين والبشرية ، وكيفية الخروج من المأزقِ الراهن . ويقدم دراسةً تستشرف المستقبلَ وتحدياته والطريق إلى تجاوزها بأسلوبٍ علمي لا يغفل جهودَ أعدائنا المتواصلةِ، لأن معرفة العدو وأهدافه جزء مهم من معركةٍ تحرير العالم من سطوة الكفر وسلطته . إذن ، فلتكن حركةً إسلاميةً لتحرير العالم الواقع تحت احتلال الشيطان ، وليكن حلاً إسلامياً شاملاً مجاهِداً من أجل أسلمة المكونات الوجودية للإنسان تاريخاً وثقافةً وحضارةً ومجتمعاً بالتي هي أحسن. ولنكن الوقودَ الثائر والثورة. ولنجعل أجسادَنا خيل المعركة، وذواتنا فرسانها.

*

وفي الختام ، فقد ارتأيتُ ترقيم التناقضات التي استخلصتها ليعرفَ القارئ عدد الكوارث والمصائب التي حدثت جراء تحريف كلامِ الله تعالى . مع التنبيه إلى أن هناك مئات التناقضات الأخرى ، ولكني حاولتُ قرع ناقوس الخطر وتنبيه الآخر المعانِد ، وذكر بعض التناقضات ، والأمر متسعٌ جداً حيث أن ما قدَّمتُه غيضٌ من فيض . واللهَ أسألُ أن يوفقنا لما فيه الخير وأن يُثبِّتنا على هذا الدِّين السَّماوي الأوحد . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

*

من الكوارث الفظيعة عدمُ اتفاق النَّصارى على نسب سَيِّدنا المسيح ﷺ ، لذا ستشاهد تناقضات فاضحة صارخة في سلسلة النَّسب . وإنني لأعجب كيف يدَّعي أولئك القوم أن سَيِّدنا المسيح هو ابنُ الله تعالى ثم بعد ذلك تراهم ينسبونه إلى بشرٍ ، وحتى هذا النَّسبُ متضاربٌ بشدة. والجدير بالذِّكر أن إنجيلين فقط ذكرا نسبَ المسيح هما إنجيل مَتَّى وإنجيل لوقا . والغريبُ أن أمراً بهذه الأهمية لم يأتِ على ذكره إنجيلان هما إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا مما يُثير أكثر من علامة استفهامٍ حول عدم وجوده بالمرةِ في سِفْرين يُفترض أنهما يؤرخان لحياة المسيح . وإنني أُرَجِّح أن مرقس ويوحنا لم يكونا يعلمان حول نسب المسيح، وبالتالي آثرا عدم المرور على ذكره كي لا يُفتضح أمرُهما، لا سيما أنهما لم يلتقيا بالمسيح أبداً . وأيضاً أصحاب الأناجيل الأربعة ليسوا من تلاميذ المسيح بالاتفاق ولم يُشاهداه . وبين رفع المسيح إلى السماء وكتابة الأناجيل تاريخٌ طويلٌ جداً يمتاز بالغموضِ وانعدام وضوح الرؤية .

((هذا سِجلُّ نَسَبِ يَسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيم : إبراهيمُ أنجب إسحاق . وإسحاقُ أنجب يعقوب . ويعقوبُ أنجب يهوذا وإخوته)) [متى ١: ١و٢] .

((وكان _ أي السَّيد المسيح _ معروفاً أنَّهُ ابنُ يوسُف بنِ عالي بن متثات بن لاوي بن مَلْكي بن يَنَّا بن يوسُف)) [لوقا ٣: ٢٣و٢٤] .

[١] فرقٌ مُذهل بين النَّسبين ظاهرٌ للعَيان لا يحتاج إلى عالِم في الدراسات الإنجيلية . والتناقضات مستمرة في سلسلة النَّسب ، ولو رجعتَ إلى التكملة في إنجيل متى وإنجيل لوقا لرأيتَ العجب العُجاب .

((ويُوحنَّا هذا هُوَ الذي قيلَ عنه بلسانِ النَّبي إشعياءَ القائل: صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ ، واجعلوا سُبلَه مستقيمةً !)) [مَتَّى ٣: ٣] .

((ها أنا أُرسِلُ قُدَّامكَ رَسولي الذي يُعِدُّ لكَ الطَّريقَ ، صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ ، واجعلوا سُبُلَهُ مستقيمةً !)) [مرقس ١: ٢و٣] .

((كما كُتِبَ في كتاب أقوالِ النَّبي إشَعياءَ : صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ واجعلوا سُبُلَهُ مستقيمةً)) [لوقا ٣: ٤] .

((فقال : أنا صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّة : اجعلوا الطريقَ مستقيمةً أمامَ الرَّبِّ ، كما قالَ النَّبيُّ إشَعْياءُ)) [يوحنَّا ١: ٢٣] .

[٢] نُلاحِظ أن هناك اتفاقاً على أن النَّبي إشَعْياءَ هو مصدر هذه الكلمات لدى الأناجيل الأربعة. لكن الصِّيغَ _ كما هو موجود أعلاه _ بالغة الاختلاف . والاختلاف الأبرز تلك العبارة الواردة عند يوحنا " اجعلوا الطريقَ مستقيمةً أمام الرَّبِّ " ، مع أن باقي الأناجيل اتَّفقت على عبارة " أعدوا طريقَ الرَّبِّ واجعلوا سُبُلَه مستقيمة " . وهذا يعكسُ لنا حجم الاختلاف والتناقض الواضح في صياغة العبارات . حتى أن صياغة العبارات التي تتحدث عن هذه الحادثة الواحدة مختلفٌ وتتكرر الصِّيغ بحيث نستنتج أن هؤلاء الأربعة لم يكونوا معاصرين لبعضهم ، ولم يكونوا معاصرين للسَّيد المسيح ﷺ ، إذْ لو كانوا كذلك لانسجمت عباراتُهم بشكلٍ دقيقٍ . كما أن هذا التناقضَ وكل التناقضاتِ القادمة تدحض فرضية أن الرُّوحَ القُدُس قد أوحى لهؤلاء الأربعة . فالرُّوح القدس _ عليه السَّلام _ لا يتناقض ، فكيف ينسبون هذا التناقض وما سيأتِي من اختلافات إليه .

((أنا أُعَمِّدُكم بالماءِ لأجلِ التَّوبةِ ، ولكنَّ الآتِيَ بعدي هو أقدرُ مِنِّي ، وحذاءَه لا أستحقُّ أن أحمِل . هُوَ سَيُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ وبالنَّارِ)) [متى ٣: ١١] .

((سيأتِي بعدي من هو أقدرُ منِّي ، مَن لا أستحقُّ أن أنحنِيَ لأَحِلَّ رِباطَ حذائه . أنا عَمَّدتُكم بالماء ، أمَّا هُوَ فسوفَ يُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُس)) [مرقس ١: ٧و٨] .

((أنا أُعَمِّدُكم بالماءِ ، ولكن سيأتِي مَن هُوَ أقدرُ منِّي ، مَن لا أستحقُّ أن أَحُلَّ رِباطَ حذائه : هو سَيُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ وبالنَّار)) [لوقا ٣: ١٦] .

((أنا أُعمِّدُ بالماءِ ! ولكنَّ بينَكم مَن لا تعرفونَه ، وهُوَ الآتِي بعدي ، وأنا لا

أستحقُّ أن أَحُلَّ رِباطَ حذائه .)) [يوحنا ١: ٢٦و٢٧] .
[٣] اعتمد مرقسُ على الفعل الماضي " عمَّدتُكم " ، ولكنَّ مَتَّى ولوقا استخدما الفعل المضارع " أُعمِّدكم " . في حين أن يوحنا استخدم " أُعمِّد " .
[٤] اتَّفق الأربعة على أن التعميد بالماء مع الاختلاف في الصِّيغة .
[٥] مَتَّى ذكرَ عِلَّةَ التعميد وسببه: " لأجل التَّوبة " ، أما الآخرون فلم يذكروه نهائياً .
[٦] اتَّفق الجميعُ على أن سَيِّدنا المسيح سيأتي بعدَ سَيِّدنا يحيى ، إلا أن يوحنا أضاف عبارةً غريبة جداً يقصد بها سَيِّدنا المسيح " ولكن بينَكم من لا تعرفونه " . فكيف يمكن أن يقول سَيِّدنا يحيى (يوحنَّا المعمدان) أن السَّيد المسيح بينكم وأيضاً سيأتي من بعدي ؟! . إن العبارة غير منسجمة البتة .
[٧] خالف مَتَّى الثلاثةَ وذكرَ عبارة " وحذاءَه لا أستحقُّ أن أحمِل " ، والباقون يتحدثون عن عدم استحقاق أن يحل رباطَ الحذاء ، وليس عدم استحقاق حمله كما عند مَتَّى .
[٨] إن العبارةَ التي تتحدث عن الحِذاء أشك في كونها صحيحةً ، وإنما هي من نسج الرُّواةِ وأصحاب الأناجيل ليُعَظِّموا المسيح _ وهو بالتأكيد عظيمٌ وفي غِنىً عن التَّلفيق والأكاذيب _ والسبب وجود التناقض في الصيغة الكلامية واختلاف السِّياق _ كما وضَّحناه في النقطة الخامسة السَّابقة _ وأيضاً هذه الألفاظ المتعلقة بالأحذية ليست من مستوى الأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام _ ولا تليق بمكانة أسلوبهم الكلامي العظيم ، وألفاظهم المتفردة بالعظمة والجلالة بين البشر ، وامتلاكهم للفصاحة والبلاغة .
[٩] لم يذكر يوحنا هل كان التَّعميد بالرُّوح القدس والنار أما بالرُّوح القُدُس فقط _ حسب اعتقاد أصحاب الأناجيل _ . بيد أن الآخرين اختلفوا في هذه المسألة كما يتَّضح لك من خلال النُّصوص .
((وإذا صَوتٌ مِنَ السَّماوات يقول : هذا هُوَ ابْني الحبيبُ الَّذي بهِ سُرِرتُ كُلَّ

سُرورا!)) [متَّى ٣: ١٧] .

((وإذا صَوتٌ مِنَ السَّماواتِ يَقول: أنتَ ابْني الحبيبُ بِكَ سُرِرتُ كُلَّ سُرور!))
[مرقس ١: ١١] .

[١٠] إن فرقاً واضحاً بين العبارتين ، لا سيما أن بعض الكلمات تغيرت وتبدَّلت ! .

((ثُمَّ صَعِدَ الرُّوحُ بيسوعَ إلى البَرِّيَّةِ لِيُجَرَّبَ مِن قِبَلِ إبليس. وبعدما صامَ أربعين نهاراً وأربعين ليلةً جاعَ أخيراً)) [مَتَّى ٤: ١و٢] .

((وفي الحالِ اقْتادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلى البَرِّيَّةِ ، فقضى فيها أربعين يوماً وهو بين الوحوشِ والشَّيطانُ يُجَرِّبُه وكانت الملائكةُ تخدمُه)) [مَرقُس ١: ١٢و١٣] .

((أمَّا يَسوع فعادَ منَ الأُردنِّ مُمتلئاً منَ الرُّوحِ القُدُس . فاقتادَهُ الرُّوحُ في البَرِّيَّةِ أربعين يوماً وإبليسُ يُجَرِّبُه ، ولم يأكلْ شيئاً طَوال تلكَ الأيَّام فلمَّا تَمَّت جاعَ))
[لوقا ٤: ١و٢] .

[١١] هذه النُّصوصُ تدحض مزاعم النَّصارى حول أُلوهية المسيح ، إذْ لو كان إلهاً فكيف يستطيع الشَّيطان أن يُجرِّبه ؟! وما هذا الإلهُ الذي يصوم ويجوع ؟! .

[١٢] عند مَتَّى " صَعِدَ الرُّوحُ بيسوع " ، والآخرون استخدموا كلمة " اقتاد " . ويوجد فرقٌ لغويٌّ لا يعرفُه إلا العالمون باللغةِ . فصعدَ تعني : علا . واقتاد تعني : قادَه مُسيطراً عليه .

[١٣] عند مَتَّى" صعدَ الرُّوحُ بيسوعَ إلى البَرِّية " ، مما يعني أن البَرِّية في منطقة عالية ، وهذا المعنى غائبٌ عن باقي الأناجيل .

[١٤] لم يذكرْ مرقس لفظة " إبليس " بل استخدم لفظة " الشَّيطان " على عكس الآخَرَيْن .

[١٥] ذكرَ مَتَّى " أربعين نهاراً وأربعين ليلة " وهذا التَّفصيل غائبٌ عن الآخَرَيْن .

[١٦] عند مرقس " اقتادَ الرُّوحُ يسوعَ إلى البَرِّية " ، وعند لوقا " فاقتاده الرُّوحُ في

البَرِّية ". والفرقُ أن الأول قاده باتجاه البَرِّية وهذا يلزم أن يكونا غير داخِلَيْن فيها بعكس المعنى الآخر .

[١٧] عند مرقس " وكانت الملائكةُ تخدمُه " وهذه غير موجودة عند مَتَّى ولوقا .

((فتقدَّمَ إليهِ الْمُجَرِّبُ وقالَ له : إنْ كنتَ ابنَ اللهِ، فَقُلْ لهذه الحجارةِ أن تَتَحَوَّلَ إلى خُبْزٍ!)) [مَتَّى ٤: ٣] .

((فقالَ له إبليسُ : إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ ، فَقُلْ لهذا الحجرِ أن يَتَحَوَّلَ إلى خُبْز)) [لوقا ٤: ٣] .

[١٨] مَتَّى استعملَ لفظة " المجرِّب " ، في حين أن لوقا استعمل لفظة " إبليس " .

[١٩] مَتَّى استعمل صيغة الجمع " الحجارة " ، ولوقا استعمل صيغة المفرَد " الحجر" .

[٢٠] لفظة " ابن الله " تحتمل معنيين : مادي ومعنوي ، فالأول مرفوضٌ والثاني مقبولٌ .

((فأجابَهُ قائلاً: قد كُتِب: ليسَ بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسانُ بل بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فَمِ اللهِ!)) [مَتَّى ٤: ٤] .

((فردَّ عليه يسوعُ قائلاً : قد كُتِب : ليسَ بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسانُ ، بل بكلِّ كلمةٍ من اللهِ!)) [لوقا ٤: ٤] .

[٢١] عند مَتَّى لفظة مُنكَرَةٌ وهي " فم الله " ، حيث أن فيها مُشابهةً للمخلوقات ، وإسناد الأعضاء إلى اللهِ المنَزَّه عن الجوارح والأعضاء . لذلك غابت هذه اللفظةُ المسمومة عن السِّياق الوارد عند لوقا بسبب قُبحها .

((ثُمَّ أخذَه إبليسُ أيضاً إلى قِمَّةِ جَبَلٍ عالٍ جدَّاً ، وأراهُ جَميعَ ممالكِ العالَم وعَظَمَتَها)) [مَتَّى ٤: ٨].

((ثُمَّ أصعدَه إبليسُ وأراه ممالكَ العالَم كُلَّها في لحظةٍ من الزَّمن))[لوقا ٤ :٥].

[٢٢] اختلاف الشكل والمضمون بين لفظتي " أخذه " و " أصعده " .

[٢٣] عبارة " قمة جبل عال " موجودة عند مَتَّى ، وغير موجودة عند لوقا .

[٢٤] زاد لوقا عبارة " في لحظة من الزَّمن " ، وهي غير موجودة عند مَتَّى ! .

((وقالَ له : إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ ، فاطرَحْ نفسَكَ إلى أسفل لأنَّهُ قد كُتِب : يُوصي ملائكتَهُ بكَ فيحملونَكَ على أيديهم لكي لا تَصدمَ قَدَمَكَ بحَجَر !))[مَتَّى ٤: ٦] .

((وقالَ له : إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فاطرَحْ نفسَكَ من هُنا إلى الأسفل فإنَّهُ قد كُتِب : يُوصي ملائكتَهُ بِكَ لِكَي يحفظوك ، فعلى أيديهم يحملونَك لئلا تَصدمَ قَدَمَكَ بحجرٍ)) [لوقا ٤: ٩و١٠و١١] .

[٢٥] زاد لوقا عبارة " من هُنا " التي لا توجد عند مَتَّى .

[٢٦] زاد لوقا عبارة " لكي يحفظوك " .

[٢٧] اختلاف الصِّيغتان " فيحملونك على أيديهم " و " فعلى أيديهم يحملونك " .

((فقالَ له يَسوعُ : وقد كُتب أيضاً : لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهَكَ !)) [مَتَّى ٤: ٧] .

((فردَّ عليه يَسوعُ قائلاً : قَد قيل : لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهَكَ !)) [لوقا ٤: ١٢] .

[٢٨] الاختلاف بين " فقال له يسوع " و " فردَّ عليه يسوع قائلاً " .

[٢٩] الاختلاف بين " وقد كُتب " و " قد قِيل " .

((وقالَ له : أُعطيك هذه كلها إنْ جَثَوْتَ وَسَجَدْتَ لي !)) [مَتَّى ٤: ٩] .

((وقالَ له : أُعطيكَ السُّلطةَ على هذه الممالكِ كلها وما فيها من عَظَمة ، فإنها قد سُلِّمَت إليَّ وأنا أُعطيها لمن أَشاء . فإنْ سجدتَ أمامي تصير كلها لك !)) [لوقا ٤: ٦و٧] .

[٣٠] زيادات كثيرة عند لوقا تظهر في النَّص .

[٣١] ذكر مَتَّى كلمةَ " جَثَوْتَ " وهي غير موجودة عند لوقا .

[٣٢] عند مَتَّى " وسجدتَ لي " أما عند لوقا " سجدتَ أمامي " ، وبينهما فرقٌ صارخٌ .

((فقالَ له يَسوعُ اذهَب يا شيطان ! فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهِكَ تسجدُ ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)) [مَتَّى ٤: ١٠] .

((فردَّ عليه يَسوعُ قائلاً : قد كُتِب : للرَّبِّ إلهك تسجد ، وإياه وحدَه تعبد !)) [لوقا ٤: ٨] .

[٣٣] الاختلاف بين " فقال له يسوع " و " فردَّ عليه يسوعُ قائلاً " .

[٣٤] زاد مَتَّى عبارة " اذهب يا شيطان " التي لا توجد عند لوقا .

((فتركه إبليسُ ، وإذا بعضُ الملائكةِ جاؤوا إليه ، وأخذوا يخدمونه)) [مَتَّى ٤: ١١] .

((وبعدما أنجزَ إبليسُ كلَّ تجربةٍ انصرف عن يَسوعَ إلى أن يحينَ الوقتُ)) [لوقا ٤: ١٣] .

[٣٥] ذكر مَتَّى لفظة " الملائكة " غير الموجودة عند لوقا .

((من ذلك الحينِ بدأ يَسوعُ يُبَشِّرُ قائلاً: تُوبوا،فقدِ اقتربَ مَلَكُوتُ السَّماوات)) [مَتَّى ٤: ١٧] .

((يُبَشِّرُ بإنجيلِ اللهِ قائلاً : قد اكتملَ الزَّمانُ واقترب ملكوتُ اللهِ فتوبوا وآمنوا بالإنجيل !)) [مرقس ١: ١٤و١٥] .

[٣٦] عند مَتَّى " ملكوت السَّماوات " ، وعند مرقس " ملكوت الله " .

[٣٧] عند مرقس عبارة " يُبَشِّر بإنجيل الله " غير الموجودة عند مَتَّى .

[٣٨] عند مرقس عبارة " وآمنوا بالإنجيل " غير الموجودة عند مَتَّى .

((فترَكا القاربَ وأباهما وتبعاه حالاً)) [مَتَّى ٤: ٢٢] .

((فدَعاهما في الحال ليتبعاه فترَكا أباهما زَبَدي في القارب مع الأُجراء وتبعاه)) [مرقس ١: ٢٠] .

((وبعدما رَجَعوا بالقاربين إلى البَر ، تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوا يسوع))

[لوقا ٥: ١١] .

[٣٩] عند مَتَّى لفظة " القارب " بالمفرَد ، وعند لوقا بصيغة المثنَّى .

[٤٠] مرقس ذكرَ اسم أبيهما " زَبَدي " في حين أن الآخرَيْن لم يذكراه .

[٤١] مرقس قال إن في القارب أجراء ، وهذه الملاحظة لم تُذْكَرْ عند الآخرَيْن .

((وذهبَ يَسوعُ إلى بيتِ بُطرُس فوجدَ حماتَهُ طريحةَ الفِراش تُعاني من الحمَّى))

[مَتَّى ٨: ١٤] .

((وكانت حَماةُ سِمعان طريحةَ الفِراش تُعاني من الحمَّى)) [مرقس ١: ٣٠] .

((وكانت حَماةُ سِمعان تُعاني حُمَّى شديدة فطلبوا إليه إعانتَها))[لوقا ٤: ٣٨].

[٤٢] تَفرَّدَ مَتَّى بذكرِ اسم بطرس ، مع أن الآخرَيْن ذكرا اسم " سِمعان " ، وربما يقول أحدهم إن سمعان نفس بطرس استناداً إلى النَّص: ((سِمعان الذي دُعِيَ بطرس)) [مَتَّى ١٠: ٢] . فأقولُ إننا نبحث عن الاسم بذاته وليس عن أسمائه الأخرى أو ألقابه .

[٤٣] لم يذكر لوقا عبارة " طريحة الفِراش " ، لأن مثل هذه التفاصيل غائبة عنه .

((فلمسَ يدَها فذهبَتْ عنها الحمَّى ونَهَضَتْ وأخَذَتْ تخدمُه)) [مَتَّى ٨: ١٥] .

((فاقتربَ إليها وأمسك بيدِها وأنهضها فذَهَبَتْ عنها الحمَّى حالاً وقامت تخدمُهم)) [مرقس ١: ٣١] .

((فوقفَ بجانب فِراشها ، وزجرَ الحمَّى فذهبَتْ عنها فوَقفتْ في الحال وأَخذ تخدمُهم)) [لوقا ٤: ٣٩] .

[٤٤] عند مَتَّى " تخدمُه " وعند الآخرَيْن " تخدمهم " .

[٤٥] عند مَتَّى " فلمسَ يدَها " ، وعند مرقس " وأمسك بيدها " . واللمس غير الإمساك .

[٤٦] عند لوقا " وزجرَ الحمَّى " . وهذا المعنى غائبٌ عن الآخرَيْن .

[٤٧] عند مَتَّى " ونَهضتْ " أي من تلقاء نفسها ، وعند مرقس " وأنهضها " أي بمساعدة السَّيد المسيح ﷺ .

((وعندَ حُلولِ المساء أحضرَ إليه النَّاسُ كثيرين من المسكونين بالشَّياطين فكان يطردُ الشَّياطين بكلمةٍ منه وشَفى المرضى جميعاً)) [مَتَّى ٨: ١٦] .

((وعندَ حُلول المساء لَمَّا غَرَبت الشَّمسُ أحضرَ الناسُ إليه جميع من كانوا مرضى ومسكونين بالشياطين حتَّى احتشدَ أهلُ المدينةِ كلهم عند الباب . فشَفى كثيرين كانوا يُعانون من أمراض مختلفة وطردَ شياطين كثيرة ولكنَّه لم يَسْمَحْ للشَّياطين بأن يتكلموا لأنَّهم عرفوا مَن هُوَ)) [مرقس ١: ٣٢و٣٣و٣٤] .

((ولَمَّا غَرَبت الشَّمسُ أخذَ جميعُ الذين كان عندَهم مرضى مُصابون بعِلَلٍ مُختلفة يُحضرونهم إليه فوضعَ يديه على كل واحدٍ منهم وشفاهم وخَرَجت أيضاً شياطين من كثيرين وهي تصرخ قائلةً : أنتَ ابنُ اللهِ ! . فكان يزجرُهم ولا يدعهم يتكلَّمون إذ عرفوا أنَّه المسيح)) [لوقا ٤: ٤٠و٤١] .

[٤٨] عند لوقا " ولما غَرَبت الشمس " أما الآخران فاستخدما عبارة " وعند حُلول المساء ".

[٤٩] عند مَتَّى أنه كان يطرد الشياطين بكلمة منه ، وعند لوقا أنه كان يشفي بوضع يديه على كل واحد منهم .

[٥٠] عند لوقا عبارةٌ مدسوسة " أنتَ ابنُ اللهِ ! " ، وهي مُقحَمة في السِّياق إقحاماً مفضوحاً ، وهذه محاولة بائسة لإضفاء الألوهية على سَيِّدنا المسيح ، لذلك لم يذكرها مَتَّى ومرقس .

[٥١] توجد زيادات واضحةٌ واختلافات في السِّياق تتَّضح لمن يراها ويتأمل كلماتها .

((وإذا رَجُلٌ مُصابٌ بالبَرَص تَقَدَّم إليه وسجدَ له قائلاً : يا سَيِّد، إن كُنتَ تُريد ، فأنتَ قادرٌ أن تُطَهِّرَني !)) [مَتَّى ٨: ٢] .

((وجاءَه رَجُلٌ مُصابٌ بالبَرَص يَتَوَسَّل إليه فارتمى على رُكبتيه أمامَه وقال : إن أردتَ فأنتَ تقدر أن تُطَهِّرَني !)) [مرقس ١ : ٤٠] .

((ما إن رأى يسوعَ حتى خَرَّ على وجهه وتَوَسَّل إليه قائلاً : يا سَيِّد ، إن شئتَ فأنتَ قادرٌ أن تُطَهِّرَني !)) [لوقا ٥: ١٢] .

[٥٢] اختلاف سياق الكلام في الحالات السَّابقة .

[٥٣] عند مَتَّى عبارةٌ دخيلةٌ " وسجدَ له " ، في محاولة واهية من مَتَّى لتأليه السَّيد المسيح ، أما مرقس فاستخدم عبارة " فارتمى على رُكبتيه أمامه ". وبينهما فرقٌ ، فالأولى تزعم أن المسيح استساغ السجود له مع أنه هو القائل: ((فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهكَ تسجدُ ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)) [مَتَّى ٤: ١٠] . أما الارتماء على الرُّكبتين أمام شخصٍ فلا يستلزِم بالضرورة أن يكون سجوداً للشخص . وتابع لوقا أخاه مَتَّى في محاولة تأليه المسيح فاستخدم عبارة مختلفة متناقضة " خَرَّ على وجهه " .

[٥٤] لم يستعمل مَتَّى عبارة تُفيد التَّوسُّل كما فعلَ مرقس ولوقا .

((وقال له يَسوع : انتبه ! لا تُخبِر أحداً ، بل اذهَبْ واعرِضْ نفسَكَ على الكاهنِ، وَقَرِّب التَّقدمةَ التي أمر بها موسى فيكون ذلك شَهادةً لهم !))[مَتَّى ٨: ٤].

((وفي الحال صرفَه يسوعُ بعدما أنذرَه بشدةٍ قائلاً : انتبه ! لا تُخبِر أحداً بشيء ، بل اذهَبْ واعرضْ نفسكَ على الكاهن وقَدِّم لقاء تطهيرك ما أمر به موسى فيكون ذلك شهادةً لهم !)) [مرقس ١: ٤٣و٤٤] .

((فأوصاه : لا تُخبِرْ أحداً ، بل اذهبْ واعرضْ نفسكَ على الكاهن وقدِّمْ لقاء تطهيرك ما أَمر به مُوسى فيكون ذلك شهادةً لهم !)) [لوقا ٥: ١٤] .

[٥٥] اختلاف الكلمات في الحالات الثلاثة بصورة واضحة للعَيان : " وقال له يسوعُ " ، " صرفَه يسوعُ " ، " فأوصاه " .

[٥٦] عند مَتَّى " انتبه ! " ، وعند مرقس " أنذرَه " . وهاتان اللفظتان غابتا بالكُلِّية

عن لوقا .

((فأسرعَ التّلاميذُ إليه يوقظونه قائلين : يا سَيِّد نَجِّنا ! إنَّنا نهلِك !)) [متَّى ٨: ٢٥] .

((فأيقظوه وقالوا له : يا مُعلِّم ، أما يَهُمُّكَ أننا نهلِك ؟)) [مرقس ٤: ٣٨] .

((فتقدَّموا إليه وأيقظوه قائلين : يا سَيِّد، يا سَيِّد، إننا نَهلِك !))[لوقا ٨: ٢٤] .

[٥٧] عند متى " يا سَيِّد " ، وعند مرقس " يا مُعلِّم " .

[٥٨] عند لوقا تم تكرار " يا سَيِّد " مرتين .

[٥٩] تفرَّد متَّى بزيادة لفظة " نَجِّنا " لإضفاء صفة الألوهية المزعومة على سَيِّدنا المسيح ، حيث رَسَمَ متَّى صورةً لتلاميذ يتوجهون إلى المسيح بطلب النجاة ، ولا يتوجهون إلى الله تعالى .

[٦٠] تفرَّدَ مرقسُ بذكر عبارة " أما يهمك أننا نهلك ؟" وهي غير موجودة عند زميليه . (أقصدُ بكلمة زميليه أي أنهما زميلان في الكذب على المسيح ، وليس بمعنى أنهما معاصران لبعضهما ، فأنا أجزمُ _ استناداً لكل الأدلة التي أُقدمها _ أن أصحاب الأناجيل لم يعرفوا بعضهم ، ولم يلتقوا وجهاً لوجه) .

((فقالَ لهم : لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان ؟ . ثُمَّ نهضَ وزَجَرَ الريحَ والبَحر فسادَ هدوءٌ تام)) [متَّى ٨: ٢٦] .

((فنهضَ وزجرَ الرِّيح وقال للبحرِ : اصمُتْ اخرَسْ ! . فسكنت الريحُ وسادَ هدوءٌ تام. ثُمَّ قال لهم : لماذا أنتم خائفون هكذا ؟ كيف لا إيمان لكم ؟))[مرقس ٤: ٣٩و٤٠] .

((فنهضَ وزجرَ الريحَ والماءَ الهائج فسكنا وساد الهدوء . ثُمَّ قال لهم : أين إيمانكم ؟)) [لوقا ٨: ٢٤و٢٥] .

[٦١] تناقضت الأناجيلُ واختلفت في العبارة التي قالها سَيِّدنا المسيح لتلاميذه .

[٦٢] تفرَّد مرقس بالقول إن المسيح قال للبحر : اصمت اخرَسْ ! . وهي غير موجودة عند زميليه .

((فتعجَّبَ الناسُ وقالوا : تُرى ، مَن هذا حتى إن الريحَ والبحر يُطيعانه ؟)) [متَّى ٨: ٢٧] .

((فخافوا خَوْفاً شديداً وقال بعضُهم لبعض : مَن هُوَ هذا ، حتى إن الريحَ والبحرَ يُطيعانه ؟)) [مرقس ٤: ٤١] .

((وإذ خافوا ذُهلوا وقال أحدُهم للآخر : مَن هُوَ هذا إذن حتى إنه يأمر الرياحَ والماءَ فتُطيعه ؟)) [لوقا ٨: ٢٥] .

[٦٣] اختلاف الصِّيغ الثلاثة بشدة . فلفظة " البحر " عند متَّى ومرقس صارت " الماء " عند لوقا . ولفظة " الريح " عند متَّى ومرقس صارت " الرياح " عند لوقا .

((ولَمَّا وَصَلَ يسوعُ إلى الضَّفَّة المقابلة ، في بلدة الجدريين ، لاقاه رَجُلان تسكنهما الشَّياطين كانا خارِجَيْن من بين القبور ، وهما شرسان جداً حتى لم يكن أحدٌ يجرؤ على المرور من تلك الطريق)) [متَّى ٨: ٢٨] .

((ثُمَّ وَصَلوا إلى الضفة المقابلة من البحيرة ، إلى بلدة الجراسيين . وحالما نَزَلَ من القارب لاقاه من بين القبور إنسانٌ يسكنه روحٌ نجس)) [مرقس ٥: ١و٢] .

((ووصَلوا إلى بلدة الجراسيين وهي تقع مُقابل الجليل . فلمَّا نَزَلَ إلى البَر لاقاه رَجُلٌ من المدينة تسكنه الشياطين منذ مدة طويلة)) [لوقا ٨: ٢٦و٢٧] .

[٦٤] هناك تناقض في اسم البلدة . هل هو بلدة الجدريين أم الجراسيين ؟! .

[٦٥] تفرَّدَ مرقس بذكر لفظة " البحيرة " .

[٦٦] تفرَّدَ لوقا بذكر معلومة أن البلدة تقع مقابل الجليل .

[٦٧] والتناقض الصارخ أن متَّى يذكر أن رَجُلَيْن تسكنهما الشياطين . في حين أن زميليه يذكران أنه شخصٌ واحدٌ وليس اثنين ! .

((فجاءَه بعضُهم يحملون مشلولاً مطروحاً على فِراش ، فلمّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمشلول : اطمئن يا بُنَيَّ ! قد غُفِرَت لكَ خطاياك)) [مَتَّى ٩: ٢] .

((وجاءَه بعضُهم بمشلولٍ يحملُه أربعة رجالٍ . ولكنهم لم يَقدروا أن يَقتربوا إليه بسبب الزِّحام . فَنَقبوا السَّقفَ فوقَ المكان الذي كان يسوعُ فيه حتى كشفوه ثُمَّ دَلُّوا الفِراشَ الذي كان المشلولُ راقداً عليه. فلمَّا رأى يَسوعُ إيمانَهم قال للمشلول: يا بُنَيَّ قد غُفِرت لكَ خطاياك!)) [مرقس ٢: ٣و٤و٥] .

((وإذا بعضُهم يحملون على فِراشٍ إنساناً مشلولاً حاولوا أن يَدخلوا به ويضعوه أمامَه . ولَمَّا لم يجدوا طريقاً لإدخاله بسبب الزِّحام ، صعدوا به إلى السَّطح ودَلَّوْه من بين اللَّبن على فِراشه إلى الوسط قُدَّام يسوع . فلمَّا رأى إيمانَهم ، قال : أَيُّها الإنسان قد غُفِرَت لك خطاياك !)) [لوقا ٥: ١٨و١٩و٢٠] .

[٦٨] ذكرَ مرقسُ أن عدد الرجال الذين كانوا يحملون المشلول أربعة ، وهذه المعلومة غائبةٌ عن زميليه .

[٦٩] اختلفت عبارات الثَّلاثة وتناقضت . عند مَتَّى " اطمئن يا بُنَيَّ " ، وعند مرقس" يا بُنَيَّ " ، وعند لوقا " أيها الإنسان " .

((فقال بعضُ الكَتَبة في أنفسهم : إنَّهُ يُجَدِّفُ !)) [مَتَّى ٩: ٣] .

((فأخذوا يُفكِّرون في قلوبهم : لماذا يتكلَّم هذا الرَّجلُ هكذا ؟ إنَّه يُجدِّف !))
[مرقس ٢: ٦و٧] .

((فأخذَ الكَتَبةُ والفَرِّيسيون يُفكِّرون قائلين : مَن هذا الذي ينطقُ بكلام التَّجديف ؟)) [لوقا ٥: ٢١] .

[٧٠] يتبيَّن لنا اختلافٌ شاسعٌ بين الصِّيغ الكلامية الثلاثة : " إنه يُجدِّف " ، " لماذا يتكلَّم هذا الرجلُ هكذا ؟ "، " مَن هذا الذي ينطق بكلام التَّجديف ؟ " .

((وأدركَ يَسوعُ ما يُفكِّرون فيه فسألهم : لماذا تُفكِّرون بالشَّرِّ في قلوبكم ؟))

[مَتَّى ٩: ٤] .

((وفي الحال أدركَ يسوعُ بروحه ما يُفكّرون فيه في قلوبهم فسألهم : لماذا تُفكّرون بهذا الأمر في قلوبكم ؟)) [مرقس ٢: ٨] .

((ولكنَّ يسوعَ أدركَ ما يُفكّرون فيه فأجابهم قائلاً : فيمَ تُفكّرون في قلوبكم ؟)) [لوقا ٥: ٢٢] .

[٧١] اختلافٌ شاسعٌ بين الصِّيغ الكلامية الثلاثة .

((ما هُوَ الأسهلُ : أن يُقال : قد غُفِرَتْ لكَ خطاياك أم أن يُقال : قُمْ وامْشِ ؟)) [مَتَّى ٩: ٥] .

((أيُّ الأمرين أسهل _ أن يُقال للمشلول : قد غُفِرَتْ لك خطاياك أو أن يُقال له : قُم احملْ فِراشكَ وامشِ ؟)) [مرقس ٢: ٩] .

((أيُّ الأمرين أسهل : أن أقول : قد غُفِرَتْ لك خطاياك ! أم أن أقولَ : قُم وامشِ ؟))[لوقا ٥: ٢٣] .

[٧٢] اختلافٌ شاسعٌ بين الصِّيغ الكلامية الثلاثة .

((وفيما كان يسوعُ مارّاً بالقُرب مِن مكتب جباية الضَّرائبِ رأى جابياً اسمه مَتَّى جالساً هناك)) [مَتَّى ٩: ٩] .

((وفيما هُوَ سائرٌ رأى لاوي بن حَلفى جالساً في مكتب الجِباية))[مرقس ٢: ١٤] .

((وخرجَ بعد ذلك فرأى جابي ضرائب اسمه لاوي جالساً في مكتب الجِباية)) [لوقا ٥: ٢٧] .

[٧٣] التناقض الفظيع والاختلاف الفاضح بين شخصيتين . فيبدو أن مَتَّى حاول خداع الأغبياء عن طريق انتحال شخصية جابي الضرائب ، في حين أن زميليه يذكران أن جابي الضرائب هو " لاوي " !، فمن هو جابي الضرائب " مَتَّى " أم " لاوي " ؟! .

مُحالٌ أن يجتمعَ ضِدَّان في نفس الوقت ونفس الموقف .

((وعندما رأى الفَرِّيسيون ذلك ، قالوا لتلاميذه : لماذا يأكلُ مُعلِّمكم مع الجباة والخاطئين)) [مَتَّى ٩: ١١] .

((فلمَّا رأى الكَتَبَةُ والفَرِّيسيون يسوعَ يأكلُ مع الجباةِ والخاطئين قالوا لتلاميذِه : لماذا يأكل مع الجباة والخاطئين)) [مرقس ٢: ١٦] .

((فتذمَّرَ كَتَبَةُ اليهود والفَرِّيسيون على تلاميذِه قائلين : لماذا تأكلون وتشربون مع جُباة وخاطئين ؟)) [لوقا ٥: ٣٠] .

[٧٤] عند لوقا أن تلاميذ سَيِّدنا المسيح كانوا يأكلون ويشربون مع الجباة والخاطئين في حين أن مَتَّى ومرقس نسبا هذا الفعل إلى سَيِّدنا المسيح وليس التلاميذ .

[٧٥] لم يذكر مَتَّى لفظة " الكَتَبَة " التي أثبتها مرقسُ ولوقا .

[٧٦] تَفَرَّد لوقا بذكر " اليهود " ، في حين أن هذه المفردة سقطت أو أُسْقِطَت من كلام مَتَّى ولوقا ، مما يدلنا على أيدٍ خفية من مصلحتها عدم توجيه التُّهم إلى اليهودِ .

((وإذ سمعَ يسوعُ كلامَهم قال : ليس الأصحَّاءُ همُ المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى ! اذهبوا وتعلَّموا معنى القول : إني أطلب رحمةً لا ذَبيحة . فإني ما جئتُ لأدعوَ أبراراً بل خاطئين)) [مَتَّى ٩: ١٢و١٣] .

((فسمعَ يسوعُ وأجاب : ليس الأصحاءُ هم المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى . ما جئتُ لأدعوَ أبراراً بل خاطئين !)) [مرقس ٢: ١٧] .

((فردَّ عليهم يسوعُ قائلاً : ليس الأصحاءُ هم المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى ! ما جئتُ لأدعوَ إلى التَّوبة أبراراً بل خاطئين)) [لوقا ٥: ٣١و٣٢] .

[٧٧] زاد مَتَّى عبارة " إني أطلب رحمةً لا ذبيحة " ، وهي غير موجودة عند زميليه .

[٧٨] زاد لوقا لفظة " التَّوبة " وهي غير موجودة عند زميليه .

((ثُمَّ تقدَّمَ تلاميذُ يوحنا إلى يسوع يسألونه : لماذا نصوم نحن والفَرِّيسيون ولا

يصوم تلاميذُك ؟)) [مَتّى ٩: ١٤] .

((وكان تلاميذُ يوحنا والفَرِّيسيون صائمين فجاء بعضُهم إلى يسوع يسألونه : لماذا يصوم تلاميذُ يوحنا وتلاميذُ الفَرِّيسيين ، وأمَّا تلاميذك فلا يصومون ؟))[مرقس ٢: ١٨] .

((وقالوا له : إنَّ تلاميذَ يوحنا يصومون كثيراً ويرفعون الطَّلبات وكذلك يفعل أيضاً تلاميذُ الفَرِّيسيين وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون !)) [لوقا ٥: ٣٣] .

[٧٩] اختلاف كبير مكشوفٌ بين الصِّيغ الثلاثة ، خصوصاً النَّص الذي أورده لوقا .

((إذا رئيسٌ للمجمع قد تقدَّمَ وسَجَدَ له قائلاً : ابنتي الآن ماتت ولكن تعال والمسها بيدك فتحيا !)) [متَّى ٩: ١٨و١٩] .

((وإذا واحدٌ من رؤساء المجمع واسمه يايرُس قد جاءَ إليه . وما إن رآه حتى ارتمى عند قدميه، وتوسَّل إليه بإلحاح قائلاً : ابنتي الصغيرة مُشرفة على الموت. فتعال والمسها بيدكَ لتُشفى فتحيا !)) [مرقس ٥: ٢٢و٢٣] .

((وإذا رَجُلٌ اسمه يايرُس وهو رئيس للمجمع قد جاء وانطرح عند قدمي يسوعَ وتوسَّل إليه أن يُرافقه إلى بيته لأن له ابنةً وحيدة عُمُرها حوالي اثنتي عشرة سنة وقد أشرفت على الموت)) [لوقا ٨: ٤١و٤٢] .

[٨٠] لم يعرف متَّى أن اسمَ الرَّجل هو يايرُس ، لذلك لم يذكره .

[٨١] تفرَّدَ متَّى بذكر عبارة " وسَجَدَ له " ليقنع العُميان بأن المسيح إلهٌ يُسجَد له .

وقد انكشف تدليس متَّى من خلال مقارنة النصوص . إذ أن هناك فرقاً بين السجود لشخص وبين الارتماء على قدميه أو الانطراح عليهما .

[٨٢] ذكرَ متَّى أن البنتَ قد ماتت ، لكن زميليه قالا إنها مُشرفةٌ على الموتِ أي أنها لم تمت بعد. وهذا تناقض واضح .

((ولم يَدَعْ أحداً يُرافقه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب)) [مرقس ٥ :

٣٧] .

((لم يَدَعْ أحداً يدخل معه إلا بطرس ويوحنا ويعقوب وأبا الفتاة وأمها)) [لوقا ٨: ٥١] .

[٨٣] أضافَ لوقا عبارة " وأبا الفتاة وأمها " ، وهي عبارة تستند إلى معلومة غائبة عن مرقس ولم يتطرق إليها متَّى .

((ثُمَّ دَعا إليه تلاميذَه الاثني عشر وأعطاهم سُلطةً على الأرواح النَّجسة ليطردوها ويَشفوا كلَّ مرض وعِلَّة)) [متَّى ١٠: ١] .

((ثُمَّ صعدَ إلى الجبلِ ودعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه . فعيَّنَ اثني عشر ليلازموه ويُرسلهم ليُبشِّروا)) [مرقس ٣: ١٣و١٤] .

((وفي تلك الأيام خرجَ إلى الجبل ليُصلِّيَ وقضى الليلَ كله في الصلاة لله . ولَمَّا طلعَ النَّهارُ استدعى تلاميذَه واختار منهم اثني عشر سَمَّاهم أيضاً رُسُلاً)) [لوقا ٦: ١٢و١٣] .

[٨٤] لم يأت مَتَّى على ذكر الجبل على عكس زميليه .

[٨٥] تفرَّد لوقا بذكر سبب الخروج إلى الجبل وهو الصَّلاة .

[٨٦] تفرَّدَ مَتَّى بالقول إن السيد المسيح أعطى تلاميذَه سُلطةً على الأرواح النجسة ليطردوها .

[٨٧] تفرَّدَ لوقا بالقول إن سَيِّدنا المسيح سَمَّى تلاميذَه رُسُلاً .

[٨٨] بالنسبة لأسماء الرُّسل الاثني عشر . فهي عند متَّى [١٠: ١_ ٤] مع ذكر تَدَّاوس . وهي عند مرقس [٣ : ١٦ _ ١٩] مع ذكر تَدَّاوس . وهي عند لوقا [٦: ١٤_ ١٦] بدون ذكر تَدَّاوس وإنما ذُكر شخصٌ آخر : يهوذا أخو يعقوب ! .

((ولَمَّا رآهم الفَرِّيسيون قالوا له : ها إنَّ تلاميذَكَ يفعلون ما لا يَحِلُّ فعلُه في السَّبت !)) [مَتَّى ١٢: ٢] .

((فقالَ الفَرِّيسيون ليسوع : انظُرْ ! لماذا يفعل تلاميذُكَ ما لا يَحِلُّ فعلُه يومَ السَّبت ؟))[مرقس ٢: ٢٤] .

((ولكنَّ بعضَ الفَرِّيسيين قالوا لهم : لماذا تفعلون ما لا يَحِلُّ فِعلُه في السَّبت ؟)) [لوقا ٦: ٢] .

[٨٩] عند لوقا أن بعضَ الفَرِّيسيين قالوا ذلك وليسوا كلهم ، وهذا مخالفٌ لزميليه .

[٩٠] مَتَّى لم يُورِدِ الكلام في سياق السؤال كما فعلَ زميلاه .

[٩١] زاد مرقس لفظة " انظر " غير الموجودة عند زميليه .

((فأجابهم: أما قرأتُم ما فَعَلَه داودُ ومرافقوه عندما جاعوا ؟)) [مَتَّى ١٢: ٣] .

((فأجابهم : أما قرأتُم ما فعله داودُ ومرافقوه عندما احتاجوا وجاعوا ؟)) [مرقس ٢: ٢٥] .

((فردَّ عليهم يسوعُ قائلاً : أما قرأتُم ما فعله داودُ حينما جاع مع مرافقيه ؟)) [لوقا ٦: ٣] .

[٩٢] اختلاف الصِّيغ الكلامية في الحالات الثلاث بشكل سافرٍ .

((أمَّا الفَرِّيسيون فلمَّا سمعوا بهذا قالوا : إنه لا يطرد الشَّياطين إلا ببعلزبول رئيسِ الشَّياطين !)) [متَّى ١٢: ٢٤] .

((وأمَّا الكتبةُ الذين نزلوا من أُورشليم فقالوا : إنَّ بعلزبول يسكنُه وإنَّه برئيس الشَّياطين يطرد الشَّياطين !))[مرقس ٣: ٢٢] .

[٩٣] متَّى نسبَ القولَ إلى الفَرِّيسيين أمَّا مرقس فنسبه إلى الكتبة ، وبينهما فرقٌ .

[٩٤] مَتَّى لم يأت على ذكر أُورشليم بعكس مرقس .

[٩٥] اختلاف صيغة الكلام المنسوب إلى الفَرِّيسيين والكتبة في الحالتين .

((مَن ليس معي فهو ضِدِّي)) [متَّى ١٢: ٣٠] .

((فإنَّ مَن ليس ضِدَّنا فهو معنا)) [مرقس ٩: ٤٠] .

[٩٦] تناقضٌ فاضحٌ بين العبارتين .

((فقالَ له واحدٌ من الحاضرين : ها إنَّ أُمَّكَ وإخوتَكَ واقفون خارجاً يطلبون أن يُكلِّموك !)) [متَّى ١٢ : ٤٧] .

((فقالوا له : ها إنَّ أُمَّكَ وإخوتَكَ في الخارج يطلبونكَ !)) [مرقس ٣: ٣٢] .

[٩٧] عند متَّى القائلُ شخصٌ واحدٌ " فقال له واحدٌ " ، لكن مرقس نسبَ الكلام إلى مجموعة من الناس " فقالوا " .

[٩٨] اختلاف صيغتا القول في الحالتين بصورة جَلِيَّة .

((لأنَّ كلَّ من يعملُ بإرادةِ أبي الذي في السَّماوات هو أخي وأُختي وأُمِّي !)) [مَتَّى ١٢: ٥٠] .

((لأنَّ كلَّ من يعمل بإرادة الله هو أخي وأُختي وأُمِّي !)) [مرقس ٣ : ٣٥] .

[٩٩] عند مَتَّى عبارة " أبي الذي في السَّماوات " وهي مؤشرٌ على لُهاث مَتَّى من أجل إثبات الأبوة الحسية المرفوضة حيث يحاول جاهداً إعطاء دليل على أن المسيحَ ابنُ اللهِ تعالى ، كما أن هناك محاولة لإثبات المكان للهِ تعالى أي في السَّماواتِ وهذا الأمر مرفوضٌ ، لذلك غابت هذه العبارةُ تماماً عن النص الذي أورده مرقس حيث يقول : ((بإرادة الله)) ، ولم يقل : ((بإرادة أبي الذي في السماوات)) .

((فأثمرَ بعضُه مئة ضِعف وبعضه ستين وبعضه ثلاثين . مَن له أُذنان فليسمع !)) [متَّى ١٣: ٨و٩].

((فأعطى بعضُه ثلاثين ضِعفاً وبعضه ستين وبعضه مئة . ثُمَّ قال : مَن له أُذنان للسمع فليسمع)) [مرقس ٤: ٨و٩] .

((ولَمَّا نبتَ أنتجَ ثمراً مئة ضِعف . قال هذا ونادى : مَن له أُذنان للسمع فليسمع !)) [لوقا ٨: ٨] .

[١٠٠] التقديم والتأخير في الألفاظ عند متَّى ومرقس .

[١٠١] لم يأت متَّى على ذكر لفظة " للسمع " كما فعلَ زميلاه .

[١٠٢] اكتفى لوقا بذكر " مئة ضعف " ولم يذكر الثلاثين والستين .

((فأجاب : لأنَّه قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا أسرار ملكوتِ السَّماوات أمَّا أولئك فلم يُعطَ لهم ذلك)) [متَّى ١٣: ١١] .

((فقال لهم : قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا سِرَّ ملكوت الله . أما الذين من خارج فكل شيء يُقَدَّم لهم بالأمثال [مرقس ٤: ١١] .

((فقال : لكم قد أُعطيَ أن تعرفوا أسرار ملكوت الله . أمَّا الآخرون فأُكلِّمهم بأمثال)) [لوقا ٨: ١٠] .

[١٠٣] اختلاف وتناقض الصِّيغ الثلاثة .

((فإنَّ من عنده يُعطى المزيدَ فيفيض وأمَّا من ليس عنده فحتى الذي عنده يُنتزَع منه)) [متَّى ١٣: ١٢] .

[١٠٤] العبارة السابقة غير موجودة عند مرقس ولوقا .

((فهم يَنظرون دون أن يُبصروا ويسمعون دون أن يَسمعوا أو يَفهموا)) [متَّى ١٣: ١٣] .

((حتى إنَّهم : نظراً يَنظرون ولا يُبصرون وسمعاً يَسمعون ولا يَفهمون لئلا يَتوبوا فتُغفَر لهم خطاياهم)) [مرقس ٤: ١٢] .

((حتى إنَّهم : يَنظرون ولا يُبصرون ويَسمعون ولا يَفهمون)) [لوقا ٨: ١٠] .

[١٠٥] اختلاف وتناقض الصِّيغ الثلاثة .

((ففيهم تَمَّت نبوءةُ إشَعياءَ حيث يقول : سمعاً تَسمعون ولا تَفهمون ونظراً تَنظرون ولا تُبصرون))[متَّى ١٣: ١٤] .

[١٠٦] تفرَّدَ مَتَّى بذكر هذه النبوءة المنسوبة إلى إشَعياء ، وهي موجودة بالمعنى لا باللفظ عند مرقس ، لكنها غير منسوبة إلى إشعياء . ولم يأت لوقا على ذكرها .

((فيُنتج الواحدُ مئة والآخر ستّين وغيره ثلاثين)) [متّى ١٣ : ٢٣] .

((فيُثمرون ، بعضهم ثلاثين ضِعفاً وبعضهم ستين وبعضهم مئة)) [مرقس ٤ : ٢٠] .

[١٠٧] التقديم والتأخير في الكلمات بشكل متعاكس عند متّى ومرقس .

[١٠٨] لم يأت لوقا على ذكر هذه التفصيلات الرّقمية نهائياً .

((ولَمَّا عادَ إلى بلدته ، أخذَ يُعَلِّم اليهودَ في مجامعهم، حتى دُهشوا وتساءلوا : مِن أين له هذه الحكمة وهذه المعجزات ؟ أليس هُوَ ابنَ النَّجار ؟ أليست أمُّه تُدعى مَريم وإخوته يعقوب ويوسُف وسِمعان ويهوذا ؟ أوَليست أخواتُه جميعاً عندنا ؟ فمن أين له هذه كلها ؟)) [متّى ١٣ : ٥٤و٥٥و٥٦] .

((ولَمَّا حَلَّ السَّبتُ أخذ يُعَلِّم في المجمَع فدُهش كثيرون حين سمعوه وقالوا : مِن أين له هذا ؟ وما هذه الحكمة الموهوبة له وهذه المعجزات الجارية على يديه ؟ أليس هذا هُوَ النَّجار ابن مَريم وأخا يعقوب ويُوسي ويَهوذا وسِمعان ؟ أوَليست أخواتُه عندنا هنا ؟)) [مرقس ٦ : ٢و٣] .

[١٠٩] لم يأت متّى على ذكرِ السَّبت .

[١١٠] تفرَّدَ مرقس بالقول : ((وما هذه الحكمة الموهوبة له وهذه المعجزات الجارية على يديه)) .

[١١١] عند متّى " أليس هو ابنُ النَّجار " ، وعند مرقس " أليس هذا هو النجار ابن مريم " .

[١١٢] عند متّى " ويوسُف " وهذا الاسم مفقودٌ عند مرقس الذي وضع بدلاً منه اسماً آخر وهو " يُوسي " .

[١١٣] يزعم أصحاب الأناجيل أن سَيِّدنا المسيح ابنُ اللهِ تعالى ، وها هو متّى يقول : ((أليس هو ابنُ النَّجار ؟)) وهذان تناقضان واضحان من جانبين على خطأ وضلال.

فالحق أن المسيحَ بن مريم _ عليهما السَّلام _ كلمةُ الله ورُوحٌ منه ولا أب له .

((لأنَّ يُوحنَّا كان يقول له : ليس حَلالاً لكَ أن تتزوَّجَ بها !))[متَّى ١٤: ٤] .

((فإنَّ يوحنا كان يَقول له : ليس حلالاً لكَ أن تتزوَّجَ بزوجةِ أخيك !)) [مرقس ٦: ١٨] .

[١١٤] تفرَّدَ مرقس بذكر عبارة " بزوجة أخيك " وهي غير موجودة عند متَّى ، وبالتالي تناقض الاثنان واختلفا في قول سَيِّدنا يحيى _ عليه السَّلام _ .

((وعندما حَلَّ المساءُ اقتربَ التلاميذُ إليه وقالوا : هذا المكانُ مُقفِرٌ وقد فاتَ الوقتُ . فاصْرِف الجموعَ ليذهبوا إلى القُرى ويشتروا طعاماً لأنفسهم)) [متَّى ١٤: ١٥] .

((ولَمَّا مضى جُزءٌ كبير من النَّهار تقدَّمَ إليه تلاميذُه وقالوا : المكانُ مُقفرٌ والنهار كاد ينقضي . فاصْرِف الجمعَ ليذهبوا إلى القُرى والمزارع المجاورة ويشتروا لهم ما يأكلون)) [مرقس ٦: ٣٥و٣٦] .

((ولَمَّا كادَ النهارُ ينقضي تقدَّمَ إليه الاثنا عشر وقالوا له : اصْرِف الجمعَ ليذهبوا إلى القُرى المجاورة وإلى المزارع فيبيتوا هناك ويجدوا طعاماً لأننا هنا في مكان مُقفر !)) [لوقا ٩: ١٢] .

[١١٥] تناقضاتٌ عديدةٌ وردت في هذه الأقوال المتناقضة والمختلفة والتي تزيدَ ألفاظاً تارةً ، وتنقص ألفاظاً تارةً أُخرى . وما عليك إلا أن تتأمل فيها لتعرف حجم الكوارث التي وقعَ فيها أصحابُ الأناجيل .

((ولكنَّ يسوعَ قالَ لهم : لا حاجةَ لهم أن يَذهبوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا)) [متَّى ١٤: ١٦] .

((فردَّ قائلاً : أعطوهم أنتم ليأكلوا !)) [مرقس ٦: ٣٧] .

((فقال لهم : أعطوهم أنتم ليأكلوا !)) [لوقا ٩: ١٣] .

[١١٦] تناقضات واختلافات في النصوص الثلاثة التي تتحدث عن نفس الحادثة في نفس الوقت.

((فقالوا : ليسَ عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتين)) [متَّى ١٤: ١٧] .

((فقالوا له : هل نذهبُ ونشتري بمئتي دينار خُبزاً ونُعطيهم ليأكلوا ؟)) [مرقس ٦: ٣٧] .

((أجابوا : ليس عندنا أكثرُ من خمسة أرغفة وسمكتين إلا إذا ذَهَبنا واشترينا طعاماً لهذا الشعب كله)) [لوقا ٩: ١٣] .

[١١٧] تناقضات واختلافات في النصوص الثلاثة .

((فأكلَ الجميعُ وشبعوا ثُمَّ رفع التلاميذُ اثنتي عشرة قُفَّةً ملأُوها بما فَضَلَ من الكِسَر)) [متَّى ١٤: ٢٠] .

((فأكلوا جميعاً وشَبعوا ثم رفعوا اثنتي عشرة قفة مملوءة من كِسَر الخبز وبقايا السَّمك)) [مرقس ٦: ٤٢و٤٣] .

((فأكلَ الجميعُ وشَبعوا ، ثم رُفع من الكِسَر الفاضلة عنهم اثنتا عشرة قفة)) [لوقا ٩: ١٧].

[١١٨] تناقضات واختلافات في النصوص الثلاثة .

((وكان عددُ الآكلين نحو خمسة آلاف رَجُل ما عدا النِّساءَ والأولاد)) [متَّى ١٤: ٢١] .

((وأمَّا الذين أكلوا من الخبز فكانوا خمسة آلاف رَجُل)) [مرقس ٦: ٤٤] .

[١١٩] تناقض واختلاف وغموضٌ في النَّصيْن . فمرقس لم يأت على ذكر النساء والأولاد . ومتَّى قرَّر أن الآكلين أكثر من خمسة آلاف إذ أن الرجالَ الذين أكلوا _ حسب متَّى _ خمسة آلاف ، ولم يَحْسِبْ عدد النساء والأولاد ، فهذا يدل على أن الآكلين أكثر من خمسة آلاف . وفي ذلك تناقض مع معلومات مرقس ولوقا .

((لماذا يُخالِف تلاميذُكَ تقاليدَ الشُّيوخ فلا يغسلون أيديَهم قبل أن يأكلوا ؟))
[متَّى ١٥: ٢] .

((لماذا لا يسلك تلاميذُك وفقاً لتقليد الشيوخ بل يتناولون الطعامَ بأيدٍ نجسة ؟))
[مرقس ٧: ٥] .

[١٢٠] اختلاف فاضحٌ بين النَّصين .

((فأجابهم : ولماذا تُخالِفون أنتم وصيةَ الله من أجل المحافظة على تقاليدكم ؟))
[متَّى ١٥: ٣] .

((وقال لهم : حقاً أنكم رفضتم وصيةَ اللهِ لتحافظوا على تقليدكم أنتم !))
[مرقس ٧: ٩] .

[١٢١] اختلاف واضح بين النصين .

((فقد أوصى اللهُ قائلاً : أكرِمْ أباك وأملك . ومَن أهان أباه أو أمه فليكن الموتُ عِقاباً له)) [متَّى ١٥: ٤] .

((فإنَّ موسى قال : أكرِمْ أباك وأُمَّك ! وأيضاً : مَن أهان أباه أو أمه فليكن الموتُ عِقاباً له !)) [مرقس ٧: ١٠] .

[١٢٢] نجد أن الكلامَ عند متَّى منسوبٌ إلى اللهِ تعالى ، وعند مرقس منسوب إلى سَيِّدنا موسى ، فأيهما الصواب ؟! .

((ليس يدخلُ الفمَ يُنَجِّس الإنسان ، بل ما يخرجُ مِنَ الفم هو الذي يُنَجِّس الإنسان)) [متَّى ١٥: ١١] .

((لا شيء من خارج الإنسان إذا دخله يُمكن أن يُنَجِّسه . أما الأشياء الخارجةُ مِن الإنسان فهي التي تُنَجِّسه. مَن له أُذنان للسمع فليسمع))[مرقس ٧: ١٥و١٦] .

[١٢٣] اختلاف الصيغتين ،كما أن مرقس زاد عبارة" من له أُذنان للسمع فليسمع " وهي غير موجودة عند متَّى .

((وقال له بطرس : فسِّر لنا ذاك المَثل !)) [متَّى ١٥: ١٥] .

((استفسرَه التلاميذُ مَغزى المَثل)) [مرقس ٧: ١٧] .

[١٢٤] عند متَّى أن بطرس (مفرَد) طلب تفسير المَثل ، أما عند مرقس فإن التلاميذ (جمع) استفسروا عن المثل . وهذا تناقض فاضحٌ واضحٌ .

((مِمَّا يجعل يَجعلُ الأطعمةَ كلها طاهرة)) [مرقس ٧: ١٩] .

[١٢٥] عبارة شاذة مرفوضة تُصادِم العقلَ أضافها مرقسُ من عنده وتفرَّدَ بها، وهي غير موجودة عند متَّى .

((فمن القلبِ تنبع الأفكارُ الشريرة ، القتل ، الزِّنى ، الفِسق السرقة ، شهادة الزُّور ، التجديف)) [متَّى ١٥: ١٩] .

((فإنَّه من الداخل ، من قلوب الناس ، تنبع الأفكارُ الشريرة ، الفِسق ، السرقة ، القتل ، الزنى ، الطمع ، الخبث ، الخِداع ، العَهارة ، العَين الشريرة ، التجديف ، الكبرياء ، الحماقة)) [مرقس ٧: ٢١و٢٢] .

[١٢٦] زاد مرقسُ كلماتٍ كثيرة لا تجدها عند متَّى ، فحصل التناقض المفضوح .

((وأمَّا تناول الطَّعام بأيدٍ غير مغسولة فلا يُنَجِّس الإنسان !))[متَّى ١٥: ٢٠].

[١٢٧] عبارة شاذةٌ اخترعها متَّى وتفرَّد بذكرها ، وهي غير موجودة عند مرقس .

((ثم غادرَ يسوعُ تلك المنطقةَ وذهبَ إلى نواحي صُور وصيدا)) [متَّى ١٥: ٢١] .

((ثم تركَ يسوعُ تلك المنطقةَ وذهبَ إلى نواحي صُور)) [مرقس ٧: ٢٤] .

[١٢٨] لم يأت مرقسُ على ذكر صيدا بعكس متَّى .

((ولكنَّ المرأةَ اقتربت إليه وسَجدتْ له)) [متَّى ١٥: ٢٥] .

[١٢٩] عبارة شاذةٌ تفرَّد بها متَّى دون مرقس في محاولةٍ يائسة منه لإثبات ألوهية المسيح .

((فأجابَ : ليسَ من الصواب أن يُؤخَذ خُبزُ البنين ويُطرَح لجِراء الكلاب !))
[متَّى ١٥ : ٢٦] .

((ولكنه قالَ لها : دعي البنينَ أولاً يشبعون ! فليس من الصواب أن يُؤخَذ خُبزُ البنين ويُطرَح لجِراء الكلاب)) [مرقس ٧: ٢٧] .

[١٣٠] تناقض الاثنان . فقد أوردَ مرقسُ عبارةً تفرَّدَ بها" دعي البنين أولاً يشبعون !" وقد غابت تلك العبارة عن متَّى .

((فأجابها يسوعُ : أيتها المرأةُ ، عظيمٌ إيمانكِ ! فليكن لكِ ما تطلبين)) [متَّى ١٥ : ٢٨] .

((فقال لها : لأجل هذه الكلمةِ اذهبي فقد خرجَ الشيطانُ من ابنتكِ !))[مرقس ٧: ٢٩] .

[١٣١] اختلاف وتعارضٌ بين الصيغتين .

((فسألهم : كَم رَغيفاً عندكم ؟ . أجابوا : سبعةٌ وبعضُ سمكاتٍ صِغار !))[متَّى ١٥ : ٣٤] .

((فسألهم : كَم رغيفاً عندكم ؟ . أجابوا : سبعةٌ !)) [مرقس ٨: ٥] .

[١٣٢] زاد متَّى من عنده عبارة " وبعض سمكات صغار " ، حيث تفرَّدَ بذكرها .

((ثم أخذَ الأرغفةَ السبعة والسمكات)) [متَّى ١٥ : ٣٦] .

((ثم أخذَ الأرغفةَ السبعة)) [مرقس ٨: ٦] .

[١٣٣] في هذا المقام لم يأت مرقس على ذكر السمكات .

((وجاءَ إلى نواحي مَجَدان)) [متَّى ١٥ : ٣٩] .

((وجاءَ إلى نواحي دَلْمانوثَّة)) [مرقس ٨: ١٠] .

[١٣٤] اختلافٌ وتناقضٌ بين متَّى ومرقس في تحديد اسم المكان .

((ولن يُعطَى آيةً إلا ما حدثَ للنَّبيِّ يُونان)) [متَّى ١٦ : ٤] .

((لن يُعطَى هذا الجيلُ آيةً !)) [مرقس ٨: ١٢] .

[١٣٥] عند متَّى يوجد استثناء لم ينتبه إليه مرقسُ .

((وقال لهم يسوعُ : انتبهوا ! خُذوا حِذركم من خَمير الفَرِّيسيين والصَّدُّوقيين)) [متَّى ١٦: ٦] .

((وأوصاهم قائلاً : انتبهوا ! خُذوا حِذركم من خَمير الفَرِّيسيين وخَمير هيرودس))[مرقس ٨: ١٥] .

[١٣٦] تناقض الاثنان ! فمتَّى أورد لفظةَ " الصَّدُّوقيين " ، ومرقسُ أورد لفظةَ " هيرودس " ! .

((فقال لهم : يا قليلي الإيمان ، لماذا تُحاجُّون بعضكم بعضاً لأنكم لم تتزودوا خُبزاً ؟)) [متَّى ١٦: ٨] .

((وقال لهم : لماذا يُحاجُّ بعضُكم بعضاً لأنه ليس عندكم خُبز ؟)) [مرقس ٨: ١٧] .

[١٣٧] اختلاف مكشوفٌ بين الصيغتين .

((يقول بعضُهم إنك يوحنا المعمدان وغيرهم إنك النَّبيُّ إيليا، وآخرون إنك إرميا، أو واحدٌ من الأنبياء)) [متَّى ١٦: ١٤] .

((يقول بعضُهم إنك يوحنا المعمدان وغيرهم إنك إيليا وآخرون إنك واحدٌ من الأنبياء))[مرقس ٨: ٢٨] .

((يقول بعضُهم إنك يوحنا المعمدان وآخرون إنك إيليا وآخرون إنك واحدٌ من الأنبياء القُدامى وقد قام !)) [لوقا ٩: ١٩] .

[١٣٨] زادَ متَّى عبارةَ " وآخرون إنك إرميا " ، وهي غير موجودة عند زميليه .

[١٣٩] زاد لوقا عبارةَ " وقد قام " وهي غير موجودة عند زميليه .

((فأجاب سِمعانُ بطرسُ قائلاً : أنتَ هو المسيحُ ابن اللهِ الحيِّ !)) [متَّى ١٦:

١٦] .

((فأجابه بطرسُ : أنتَ المسيح !)) [مرقس ٨: ٢٩] .

((فأجابه بطرسُ : أنتَ مسيحُ الله !)) [لوقا ٩: ٢٠] .

[١٤٠] اختلاف فاضحٌ بين الصِّيغ ، مع تَعَمُّد متَّى الكذبَ في محاولة منه لإثبات خُرافة أن المسيح هو ابنُ الله تعالى .

((اغرُبْ مِن أمامي يا شيطان ! أنتَ عقبةٌ أمامي لأنكَ تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس !)) [متَّى ١٦: ٢٣] .

((اغرُبْ مِن أمامي يا شيطان لأنك تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس!))[مرقس ٨: ٣٣] .

[١٤١] تفرَّدَ متَّى بذكر عبارة " أنتَ عقبة أمامي " .

((فبدأ بطرسُ يقول ليسوع : يا رَبِّ)) [متَّى ١٧: ٤] .

((فبدأ بطرسُ يقول ليسوع : يا سَيِّد)) [مرقس ٩: ٥] .

((قال بطرسُ ليسوع : يا مُعَلِّم)) [لوقا ٩: ٣٣] .

[١٤٢] اختلافٌ وتناقضٌ مُريع بين ثلاثة ألفاظ " رب " ، " سَيِّد " ، " معلم " . وهذا يقودنا إلى الاعتقاد الجازم بأن متَّى أضاف لفظة " رب " من عنده كمحاولة ضمن محاولاته الكثيرة الفاشلة لإثبات ألوهية المسيح .

((هذا هو ابني الحبيبُ الذي سُرِرْتُ به كلَّ سُرور . له اسمعوا !)) [متَّى ١٧: ٥] .

((هذا هو ابني الحبيبُ . له اسمعوا !)) [مرقس ٩: ٧] .

((هذا هو ابني الذي اخترتُه . له اسمعوا !)) [لوقا ٩: ٣٥] .

[١٤٣] اختلافٌ واضحٌ بين الصِّيغ الثلاثة .

((قد جاءَ إيليا ولم يَعرفوه بل فعلوا به كلَّ ما شاؤوا)) [متَّى ١٧: ١٢] .

((إنَّ إيليا قد أتى فعلاً وقد عَملوا به أيضاً كلَّ ما شاؤوا ، كما جاء عنه في الكتاب)) [مرقس ٩: ١٣] .

[١٤٤] اختلاف الصِّيغتين مع ملاحظة أن مرقس تفرَّدَ بذكر عبارة" كما جاء عنه في الكتاب " .

((وقال : يا سَيِّد ، ارحم ابني لأنه مُصابٌ بالصَّرع وهو يتعذب عذاباً شديداً . وكثيراً ما يسقط في النار أو في الماء . وقد أحضرتُه إلى تلاميذك فلم يستطيعوا أن يشفوه)) [متَّى ١٧: ١٥و١٦] .

((فرَدَّ عليه واحدٌ من الجمع قائلاً : يا مُعلِّم أحضرتُ إليك ابني وبه روحٌ أخرس حيثما تملَّكه يصرعه فيُزبد ويصر بأسنانه ويتيبَّس وقد طلبتُ من تلاميذك أن يطردوه فلم يقدروا)) [مرقس ٩: ١٧و١٨] .

((وإذا في الجمع رَجُلٌ نادى قائلاً : يا مُعلِّم أتوسَّل إليك أن تنظر إلى ابني فإنه ولدي الوحيد. وها إنَّ روحاً يتملَّكه فيصرخ فجأةً ويَخبطه الرُّوحُ فيُزبد ، وباجهد يُفارقه بعد أن يُرَضِّضه . وقد التمستُ مِن تلاميذك أن يطردوه فلم يقدروا))[لوقا ٩: ٣٨و٣٩و٤٠] .

[١٤٥] عند متَّى " يا سَيِّد " ، وعند زميليه " يا مُعلِّم " .

[١٤٦] عند متَّى " ارحم ابني " ، وعند مرقس " أحضرتُ إليك ابني " ، وعند لوقا " أتوسَّل إليك أن تنظر إلى ابني " .

[١٤٧] الاختلاف في تحديد مرض وعلة الشخص. فعند متَّى " لأنه مصاب بالصرع " وعند مرقس " وبه روحٌ أخرس " ، وعند لوقا " روحاً يتملَّكه " .

[١٤٨] تفرَّد متَّى بذكر عبارة " وكثيراً ما يسقط في النار أو في الماء " .

[١٤٩] اختلاف أعراض هذه الحالة . فعند مرقس " حيثما تملَّكه يصرعه فيُزبد ويصر بأسنانه ويتيبَّس " ، وعند لوقا " وها إنَّ روحاً يتملَّكه فيصرخ فجأة ويخبطه الروح

فيُزبد " . وهذه التفاصيل غائبة عن متَّى تماماً .

[١٥٠] تناقضت صيغُ الأقوال بين الثلاثة . فعند متَّى " وقد أحضرتُه إلى تلاميذك فلم يستطيعوا أن يشفوه "، وعند مرقس" وقد طلبتُ من تلاميذك أن يطردوه فلم يقدروا" وعند لوقا " وقد التمستُ مِن تلاميذك أن يطردوه فلم يقدروا ".بالإضافة إلى اختلاف مفضوح بين الصِّيغ والجمل والكلمات .

((فأجاب يَسوعُ قائلاً : أيها الجيلُ غير المؤمن والأعوج ، إلى متى أبقى معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ أحضروه إلَيَّ هنا !)) [متَّى ١٧: ١٧] .

((فأجابهم قائلاً : أيها الجيلُ غير المؤمن! إلى متى أبقى معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ أحضروه إلَيَّ !)) [مرقس ٩: ١٩] .

((فأجاب يَسوعُ قائلاً : أيها الجيل غير المؤمن والمنحرف ! إلى متى أبقى معكم وأحتملكم ؟. وقال للرَّجل : أحضِر ابنكَ إلى هنا !)) [لوقا ٩: ٤١] .

[١٥١] عند متَّى " أيها الجيلُ غير المؤمن والأعوج " ، وعند مرقس " أيها الجيلُ غير المؤمن " ، وعند لوقا " أيها الجيل غير المؤمن والمنحرف " .

[١٥٢] زاد لوقا من عنده لفظة " وأحتملكم " غير الموجودة عند زميليه .

[١٥٣] هناك تناقض كبير ، فعند متَّى ومرقس يتم توجيه الكلام إلى التلاميذ ، أما عند لوقا فتم توجيه عبارة " أحضر ابنك إلى هنا " إلى الرَّجل وليس التلاميذ . وهذا تلاعب وتضاد واضح .

((وزجر يسوعُ الشيطان فخرج من الصَّبي وشُفيَ من تلك الساعة))[متَّى ١٧: ١٨] .

((زجرَ الرُّوحَ النجس قائلاً له : أيها الروح الأخرس الأصم إني آمرك فاخرج منه ولا تعد تدخله بعد ! . فصرخ الروحُ وصرعَ الصَّبي بشدة ثم خرج))[مرقس ٩: ٢٥و٢٦] .

((فزجر يسوعُ الرُّوحَ النجس ، وشفى الولدَ وسلَّمه إلى أبيه))[لوقا ٩: ٤٢] .

[١٥٤] زاد مرقسُ تفاصيل كثيرة ليست عند زميليه . كما أن متَّى ولوقا تناقضا في نَصَّيهما واختلفا .

((ثم تقدَّم التلاميذُ إلى يسوعَ على انفراد وسألوه : لماذا عجزنا نحن أن نطرد الشياطين ؟))[متَّى ١٧: ١٩] .

((وبعدما دخل يسوعُ البيت سأله تلاميذُه على انفراد : لماذا لم نقدر نحن أن نطرد الرُّوحَ ؟)) [مرقس ٩: ٢٨] .

[١٥٥] ذكر متَّى لفظةَ " الشياطين " ، أما مرقسُ فذكر " الرُّوح " .

[١٥٦] ذكر مرقسُ أن المسيح وتلاميذه دخلوا بيتاً ، وهذه المعلومة غائبة عن متَّى .

((أجابهم : لقلة إيمانكم . فالحقَّ أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل بزرة خَردل لكنتم تقولون لهذا الجبل : انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يستحيل عليكم شيء)) [متَّى ١٧: ٢٠] .

((فأجاب: هذا النوعُ لا يُطرَد بشيء إلا بالصلاة والصوم!))[مرقس ٩: ٢٩].

[١٥٧] اختلافٌ فاضحٌ وتناقض مذهل بين النَّصين .

((في تلك الساعة تقدَّم التلاميذُ إلى يسوع يسألونه : من هو الأعظم ، إذن ، في ملكوت السماوات ؟)) [متَّى ١٨: ١] .

((سأل تلاميذَه : فيم كنتم تتجادلون في الطريق . فسكتوا إذا كانوا في الطريق قد تَجادلوا في مَن هو الأعظم بينهم)) [مرقس ٩: ٣٣و٣٤] .

((وحدث بينهم جِدالٌ في مَن هو الأعظم فيهم)) [لوقا ٩: ٤٦] .

[١٥٨] عند متَّى أنهم أقدموا على سؤال المسيح ، أما عند زميليه فلم يرد أنهم سألوا سيدنا المسيح ، وإنما كانوا يتجادلون فيما بينهم . وهذا تناقضٌ لا يَخفى .

((فدعا إليه ولداً صغيراً وأوقفه وسطهم ، وقال : الحقَّ أقول لكم : إن كنتم لا

تتحولون وتصيرون مثل الأولاد الصِّغار فلن تدخلوا ملكوتَ السماوات أبداً))[متَّى ١٨: ٢و٣] .

((ثم أخذَ ولداً صغيراً وأوقفه في وسطهم وضمَّه بذراعيه وقال لهم : أيُّ مَن قَبِلَ باسمي واحداً مثل هذا مِن الأولاد الصِّغار فقد قَبِلني . ومَن قَبِلني فلا يقبلني أنا ، بل ذاك الذي أرسلني)) [مرقس ٩: ٣٦و٣٧] .

((أخذَ ولداً صغيراً وأوقفه بجانبه وقال لهم : أيُّ مَن قَبِل باسمي هذا الولدَ الصغير فقد قَبِلني ، ومَن قَبِلني يقبل الذي أرسلني ، فإنَّ مَن كان الأصغرَ بينكم جميعاً فهو العظيم)) [لوقا ٩: ٤٧و٤٨] .

[١٥٩] اختلاف بيِّن بين النصوص الثلاثة .

((فسألوه : هل يَحِلُّ للرَّجل أن يُطَلِّق زوجتَه لأي سبب ؟)) [متَّى ١٩: ٣] .

((وسألوه ليُجرِّبوه : هل يحل للرَّجل أن يُطَلِّق زوجتَه ؟)) [مرقس ١٠: ٢] .

[١٦٠] زاد متَّى من عنده " لأي سبب " .

((فسألوه : فلماذا أوصى مُوسى بأن تُعطى الزَّوجةُ وثيقةَ طَلاقٍ فتُطَلَّق ؟))[متَّى ١٩: ٧] .

((فقالوا : سمحَ مُوسى بأن تُكتَب وثيقةُ طلاقٍ ثم تُطلَّق الزوجة)) [مرقس ١٠: ٤] .

[١٦١] تناقض فاضح . فعند متَّى جاءت العبارةُ على شكل سؤال من الفَرِّيسيين ، وعند مرقس جاءت على شكل جواب منهم .

((والذي يتزوج بمطلَّقة يرتكب الزِّنى)) [متَّى ١٩: ٩] .

((وإن طلَّقت الزوجةُ زوجها وتزوَّجت من آخر ترتكب الزِّنى !))[مرقس ١٠: ١٢] .

[١٦٢] تناقض النَّصان . فعند متَّى ذُكرت لفظة " مطلَّقة " بشكل عام ، وعند مرقس

تم التحديد والتخصيص في حالة الزوجةُ التي تُطلّق زوجَها .

((دَعُوا الصِّغارَ يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السَّماوات !)) [متَّى ١٩: ١٤] .

((دَعُوا الصِّغارَ يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوتَ الله !)) [مرقس ١٠: ١٤] .

[١٦٣] عند متَّى " ملكوت السماوات " ، وعند مرقس " ملكوت الله " .

((وإذا شابٌّ يتقدَّم إليه ويسأل : أيها المعلِّم الصالح ، أيَّ صلاحٍ أعمل لأحصل على الحياة الأبدية ؟)) [متَّى ١٩: ١٦] .

((وبينما كان خارجاً إلى الطريق أسرعَ إليه رَجُلٌ وجثا له يسأله : أيها المعلِّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياةَ الأبدية ؟)) [مرقس ١٠: ١٧] .

[١٦٤] أورد متَّى لفظة " شابٌّ " ، في حين أن مرقس أورد لفظة " رَجُل " .

[١٦٥] تفرَّد مرقسُ بزيادة عبارة " وجثا له " من عنده ، ليُضفيَ هالة القداسة والأُلوهية على سيِّدنا المسيح . كما أن هناك تناقضات عديدة واختلافات شديدة في السِّياقين .

((فأجابه : لماذا تسألني عن الصالح ؟ واحدٌ هو الصالح))[متَّى ١٩: ١٧] .

((ولكن يسوع قال له : لماذا تدعوني الصالح ؟ ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله)) [مرقس ١٠: ١٨] .

[١٦٦] تناقضات شديدة بين السِّياقين .

((إنه من الصعب على الغني أن يدخل ملكوت السماوات)) [متَّى ١٩: ٢٣].

((ما أصعب دخول الأغنياء إلى ملكوت الله !)) [مرقس ١٠: ٢٣] .

[١٦٧] أورد متَّى لفظةَ " الغني " بصيغة المفرد ، أما مرقس فأوردها بصيغة الجمع .

[١٦٨] عند متَّى " ملكوت السماوات " ، وعند مرقس " ملكوت الله " .

((ها نحن صاعدون إلى أُورشليم حيث يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويُسلّمونه إلى أيدي الأمم فيسخرون منه ويجلدونه ويصلبونه)) [متَّى ٢٠: ١٨و١٩] .

((ها نحن صاعدون إلى أُورشليم وسوف يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويُسلّمونه إلى أيدي الأُمم فيسخرون منه ويَبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه)) [مرقس ١٠: ٣٣و٣٤] .

((ها نحن صاعدون إلى أُورشليم وسوف تتم جميع الأمور التي كتبها الأنبياءُ عن ابن الإنسان : فإنه سيُسلَّم إلى أيدي الأُمم فيُستهزأ به ويُهان ويُبصَق عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه)) [لوقا ١٨: ٣١و٣٢و٣٣] .

[١٦٩] اختلافٌ مُدهِش بين الصِّيغ الثلاثة . فعند متَّى " فيسخرون منه ويجلدونه ويصلبونه " ، وعند مرقس " فيسخرون منه ويَبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه " ، وعند لوقا " فيُستهزأ به ويُهان ويُبصَق عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه " .

[١٧٠] تفرَّد لوقا بزيادة عبارة غريبة شاذة " وسوف تتم جميع الأمور التي كتبها الأنبياء عن ابن الإنسان " . بالإضافة إلى تناقضات عديدة اقرأها واضحك ! .

((فتقدَّمت إليه أمُّ ابني زَبَدي وهما معها وسَجَدَت له تطلب منه معروفاً . فقال لها: ماذا تريدين ؟ أجابت : قُل أن يجلس ابناي هذان : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك في مملكتك)) [متَّى ٢٠: ٢٠و٢١] .

((عندئذ تقدَّم إليه يعقوبُ ويوحنا ابنا زَبَدي ، وقالا له : يا معلّم نرغب في أن تفعل لنا كلَّ ما نطلب منك . فسألهما : ماذا ترغبان في أن أفعل لكما ؟ قالا له : هبنا أن نجلس في مجدك : واحد عن يمينك وواحدٌ عن يسارك !)) [مرقس ١٠: ٣٥و٣٦و٣٧] .

[١٧١] ذكرَ متَّى أن أمَّ ابني زبدي هي التي طلبت من سَيِّدنا المسيح ، أما مرقس

فيذكر أن ابني زبدي هما اللذان طلبا من المسيح .

[١٧٢] تفرَّد متَّى بزيادة شاذة من عنده " وسجدت له " في محاولة منه لإضفاء الألوهية على المسيح ، وهذه العبارة غائبة تماماً عن مرقس . أضف إلى ذلك تناقضات واضحة تتضح لمن يقرأ النَّصين .

((وفيما كان يسوع وتلاميذُه يُغادرون أريحا تبعه جمعٌ كبير . وإذا أعميان كانا جالِسَين على جانب الطريق)) [متَّى ٢٠: ٢٩و٣٠] .

((وبينما كان خارجاً من أريحا ومعه تلاميذُه وجمعٌ كبير كان ابنُ تيماوس ، بارتيماوس الأعمى جالساً على جانب الطريق يستعطي)) [مرقس ١٠: ٤٦] .

((ولَمَّا وصلَ إلى جوار أريحا كان أحدُ العُميان جالساً على جانب الطريق يستعطي)) [لوقا ١٨: ٣٥] .

[١٧٣] ذكر متَّى أنهما أعميان (مُثنَّى) ، أما مرقس ولوقا فذكرا أنه أعمى واحد (مفرَد) .

[١٧٤] ذكر مرقسُ أن اسم هذا الأعمى هو بارتيماوس ، في حين أن هذا الاسم غاب عن لوقا بالكُلِّية .

((صرخا : ارحمنا يا رب يا ابن داود !)) [متَّى ٢٠: ٣٠] .

((أخذ يصرخ قائلاً : يا يسوع ابنَ داود ارحمني !)) [مرقس ١٠: ٤٧] .

((فنادى قائلاً : يا يسوعُ ابنَ داود ارحمني !)) [لوقا ١٨: ٣٨] .

[١٧٥] عند متَّى " صرخا " أي أنهما اثنان ، وعند مرقس " أخذ يصرخ " ، وعند لوقا " فنادى " .

[١٧٦] زاد متَّى عبارةً شاذة من عنده وتفرَّد بها وهي " يا رب " ، في محاولة منه لإضفاء الأُلوهية على سَيِّدنا المسيح .

[١٧٧] عند متَّى " ارحمنا " ، وعند مرقس ولوقا " ارحمني " .

((ووصلوا إلى قرية بيت فاجي عند جبل الزيتون)) [متَّى ٢١: ١] .

((وصلوا إلى قرية بيت فاجي وقرية بيت عَنيا عند جبل الزيتون))[مرقس ١١: ١] .

((ولَمَّا اقترب من بيت فاجي وبيت عَنيا عند الجبل المعروف بجبل الزيتون)) [لوقا ١٩: ٢٩] .

[١٧٨] لم يذكر متَّى " قرية بيت عَنيا " التي ذكرها زميلاه .

[١٧٩] استخدم متَّى ومرقس الفعل " وصلوا " ، أما لوقا فاستخدم الفعلَ " اقترب " وكما هو معلومٌ أن الوصول شيء والاقتراب شيء آخر . كما أن متَّى ومرقس تحدثوا عن جمع لأنهما استخدما " وصلوا " ، أما لوقا فيتحدث عن مفرَد " اقترب " .

((ادخلا القريةَ المقابلة لكما تجدا في الحال أتاناً مربوطة ومعها جحش)) [متَّى ٢١: ٢] .

((اذهبا إلى القرية المقابلة لكما وحالما تدخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً)) [مرقس ١١: ٢] .

((اذهبا إلى القرية المقابلة لكما وعندما تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً)) [لوقا ١٩: ٣٠] .

[١٨٠] ذكر متَّى أن هناك أتاناً ومعها جحش ، في حين أن زميليه لم يذكرا الأتان (الحمارة) .

[١٨١] ذكرَ متَّى أن الأتان هي المربوطة ، في حين أن زميليه ذكرا أن الجحش هو المربوط .

((أفما قرأتُم ما قيل لكم على لِسان الله)) [متَّى ٢٢: ٣١] .

((أفما قرأتُم في كتاب موسى ، في الحديث عن العُلَّيقة)) [مرقس ١٢: ٢٦] .

((فحتى موسى أشارَ إلى ذلك في الحديث عن العلَّيقة)) [لوقا ٢٠: ٣٧] .

[١٨٢] تفرَّد متَّى بعبارة شاذة " لسان الله " مؤسساً بذلك عقائد التشبيه والتجسيم ومشابهة الخالق للمخلوق ، وهذه العبارة المنكَرة لم ترد عند زميليه . أضف إلى ذلك تناقضات واختلافات في النصوص الثلاثة تتضح للقارئ .

((فأجابه : أحِبَّ الرَّبَّ إلهكَ بكل قلبكَ وكل نفسك وكل فكرك !)) [متَّى ٢٢ : ٣٧] .

((فأجابه يسوع : أولى الوصايا جميعاً هي : اسمع يا إسرائيل ، الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحدٌ _ فأحِبَّ الرَّبَّ إلهكَ بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قُوَّتك)) [مرقس ١٢: ٢٩و٣٠] .

[١٨٣] أخفى متَّى عن تعمُّد عبارة " الرب إلهنا ربٌّ واحد " لذلك لم يذكرها ، لكن مرقس فضحه بأن ذكرها . وهذا يدل على أن متَّى يحاول إغفال وحدانية الله تعالى ، لكي يُحقق أهدافه في تأسيس عقائده الباطلة في التثليث والآلهة المتعددين .

((فصَلُّوا لكي لا يكون هربُكم في شتاء أو في سبت)) [متَّى ٢٤: ٢٠] .

((فصلُّوا لكي لا يقع ذلك في شتاء)) [مرقس ١٣: ١٨] .

[١٨٤] زاد متَّى " أو في سبت " ، وهذه العبارة غير موجودة عند مرقس .

((ولولا أنَّ تلك الأيام ستُختَصر)) [متَّى ٢٤: ٢٢] .

((ولولا أنَّ الرَّبَّ قد اختصر تلك الأيام)) [مرقس ١٣: ٢٠] .

[١٨٥] اختلاف واضح بين النَّصين .

((أجابهم : ادخلوا المدينةَ واذهبوا إلى فلان وقولوا له : المعلّم يقول إن ساعتي قد اقتربت وعندكَ سأعمل الفصحَ مع تلاميذي)) [متَّى ٢٦: ١٨] .

((فأرسل اثنين من تلاميذه قائلاً لهما : اذهبا إلى المدينة وسيلاقيكما هناك رَجُلٌ يحمل جَرَّة ماء فاتبعاه . وحيث يدخل قولا لربِّ البيت : إن المعلّم يقول : أين غرفتي التي فيها سآكل الفصحَ مع تلاميذي ؟)) [مرقس ١٤: ١٣و١٤] .

[١٨٦] ذكرَ متَّى أن سَيِّدنا المسيح أرسل التلاميذ ، والدليل هو استخدام الأفعال " ادخلوا " و " اذهبوا " . لكن مرقس يقول إنه أرسل اثنين من تلاميذه . وهذا تناقض لا يَخفَى .

[١٨٧] اختلاف التفاصيل وتناقضه بين النَّصين .

((إنَّ واحداً منكم سيُسلِّمني)) [متَّى ٢٦: ٢١] .

((إنَّ واحداً منكم سيُسلِّمني وهو يأكل الآن معي)) [مرقس ١٤: ١٨].

((ثم إنَّ يدَ الذي يُسلِّمني هي معي على المائدة)) [لوقا ٢٢: ٢١] .

[١٨٨] اختلاف واضحٌ بين النصوص الثلاثة .

((وأخذَ كلٌّ منهم يسأله : هل أنا يا رب ؟)) [متَّى ٢٦: ٢٢] .

((وبدأوا يسألونه واحداً بعد الآخر : هل أنا ؟)) [مرقس ١٤: ١٩] .

[١٨٩] زاد متَّى من عنده عبارة " يا رب " لإضفاء الأُلوهية على المسيح ، لكن أمرَه افتُضح بمقارنة النَّصين عند متَّى ومرقس .

((فقال لبطرس : أهكذا لم تقدروا أن تسهروا معي ساعةً واحدةً ؟))[متَّى ٢٦: ٤٠] .

((فقال لبطرس : هل أنت نائمٌ يا سمعان ؟ ألم تقدر أن تسهر ساعةً واحدة ؟)) [مرقس ١٤: ٣٧] .

[١٩٠] اختلاف السِّياقين بشكل واضح .

((فتقدَّمت إليه خادمةٌ وقالت : وأنتَ كنتَ مع يسوع الجليليِّ)) [متَّى ٢٦: ٦٩] .

((نظرت إليه وقالت: وأنتَ كنتَ مع يسوعَ الناصريِّ !))[مرقس ١٤: ٦٧].

((فدقَّقت النظرَ فيه وقالت : وهذا كان معَه !)) [لوقا ٢٢: ٥٦] .

((فسألت الخادمةُ البوابةُ بطرس : ألستَ أنتَ أحدَ تلاميذ هذا الرَّجل ؟))

[يوحنا ١٨: ١٧] .

[١٩١] اختلاف وتناقض فظيع بين النصوص الأربعة .

((بعد انتهاء السَّبت ذهبت مريمُ المجدلية ومريم الأخرى تتفقَّدان القبر))[متَّى ٢٨: ١] .

((ولَمَّا انتهى السَّبت اشترت مريمُ المجدلية ومريمُ أم يعقوب وسالومة طيوباً عطرية ليأتين ويدهنَّه ... أتين إلى القبر)) [مرقس ١٦: ١و٢] .

[١٩٢] ذكرَ مرقسُ أن سالومة حضرتْ ، في حين أن متَّى لم يأت على ذكرها بالمرة .

الفهرس